فاضل العزاوي

الأعمال الشعرية

الجزء الثاني

منشورات الجمل

مكتبة الفكر الجديد

فاضل العزاوي

الأعمال الشعرية

الجزء الثاني

منشورات الجمل

مكتبة
الفكر
الجديد

فاضل العزاوي، شاعر وناثر، ولد في العام ١٩٤٠ في مدينة كركوك في العراق. درس الأدب الإنكليزي في جامعة بغداد والصحافة والعلوم السياسية في جامعة لايبزج وحاز على درجة الدكتوراه عن أطروحة حول الثقافة العربية. عمل في الصحافة العراقية والعربية وأصدر مجلة «الشعر ٦٩». نشر ما يقرب من عشرين مجموعة شعرية ورواية وكتاباً نقدياً (**مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة**، رواية ١٩٦٩؛ **القلعة الخامسة**، رواية ١٩٧٢؛ **سلاماً ايتها الموجة، سلاماً أيها البحر**، شعر ١٩٧٤؛ **الشجرة الشرقية**، شعر ١٩٧٦؛ **الاسفار**، شعر ١٩٧٦؛ **رجل يرمي احجاراً في بئر**، شعر ١٩٩٠؛ **آخر الملائكة**، رواية ١٩٩٢؛ **صاعداً حتى الينبوع**، أعمال شعرية ١٩٩٣؛ **في نهاية كل الرحلات**، شعر ١٩٩٤؛ **بعيداً داخل الغابة**، نقد ١٩٩٤؛ **كوميديا الأشباح**، رواية ١٩٩٥؛ **الروح الحيّة، جيل الستّينات في العراق** ١٩٩٧؛ **فراشة في طريقها إلى النار**، شعر ١٩٩٨)؛ **الأسلاف**، رواية ٢٠٠١، فضلاً عن الكتب التي ترجمها عن الإنكليزية والألمانية (**صاحب الفخامة الديناصور**، رواية ١٩٩٥؛ **سماء وأرض**، مختارات شعرية ١٩٩٦؛ **دماغ لينين**، رواية ١٩٩٨). كما ترجم العديد من أعماله إلى اللغات الإنكليزية والألمانية والفرنسية. غادر العراق في ١٩٧٧ ويعيش منذ العام ١٩٨٣ في برلين ككاتب متفرغ ينشر أعماله باللغات العربية والإنكليزية والألمانية.

فاضل العزاوي: الأعمال الشعرية، الجزء الأول

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

كافة حقوق النشر والاقتباس

محفوظة لمنشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا) ـ بغداد ٢٠٠٧

© *Al-Kamel Verlag 2006*

Postfach 210149. 50527 Köln. Germany

Tel: 0221 736982. Fax: 0221 7326763

E-Mail: KAlmaaly@aol.com

مكتبة الفكر الجديد

في كل بئر يوسف يبكي

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

إخاء

في بُرج
يتسلقُ السماء
داخل غرفة زجاجية مغلقة
جلس هيكل عظمي لصقي
ووضع يده على كتفي متمتماً:
ـ أنت أخي.
ثم قدم لي فراشة
قاصدة النار.

هابطاً في الظلام
متعثراً بالأدراج
جاءني العالمُ ووضع قلبه في كفي
فأحرق أصابعي
مثل جمرةٍ
مغلفة بالرماد
وملطخة بالدم البشري.

مكتبة
الفكر
الجديد

هدنة دائمة
بين الإنسان وما قبله
هدنة دائمة بين الريحِ والشجرة.

أطفِىءِ النار
دعِ الفراشةَ تَعُد إلى وردتها!

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

وليمة

في الصحراء
في الصحراء الموحشة
وكنتُ هائما على وجهي
جائعاً منذ قرون
إلتقيتُ أعرابياً فتحَ لي صدره
بمدية كانت معه
وقال لي: ادخلْ، مرحباً يا أخا العرب
أنا حاتم الطائي!
نزعتُ حذائي في الباب
وجلستُ قريباً من قلبه.
وا أسفاه!
كان جرذٌ ما
قد التهم قبلي
أحشاءه كلها.

١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

تقاطعات

. . . السفينة التي لم تصل
. . . البيت الذي لم يُشيَّد
. . . الطريق التي لم تُسلك
. . . الرسالة التي لم تصل
. . . البئر التي لم تُحْفَر
. . . الشجرة التي لم تُزرع
. . . السيجارة التي لم تُدخَّن
. . . القهوة التي لم تُشرب
. . . الموت الذي لم يأت
. . . والحياة التي لم تبدأ.

في كل سفينة مسافر متسلل
في كل بيت ذكريات ضائعة
في كل طريق قافلة عائدة
في كل رسالة جملة منسية
في كل بئر يوسفٌ يبكي
في كل شجرة تفاحة محرمة

مكتبة الفكر الجديد

في كل سيجارة هندي أحمر
في كل قهوة مرارة
في كل موت ملاك مخمور
في كل حياة مشيعون ينتظرون.

هناك في مخفر الحدود
موظف يعرفك جيدا
صافِحْه أو ابتسمْ له
ثم اعبرْ بهدوء!

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

في الأسر

من أغنية شعبية قديمة
هبط فوق سطحِ بيتنا في بغداد
عبد وعبدة
كانا مربوطين بالحبال ظهراً إلى ظهرٍ
في ثياب بيض ممزقة
وكانا يبكيان.

أعتقدُ انهما كانا ينتظران سفينةً يقودها قراصنة
أعتقدُ انهما كانا يحدقان في أفقٍ من أشجار
أعتقدُ انهما كانا يفكران في جزيرةٍ نائية.

عندما صعدتُ اليهما وفككتُ وثاقهما
إلتهبا فجأة بين يدي
وتحولا إلى رماد.

١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

في ساحة الشرف

في إحدى قصائدي الناقصة
تحدث جملة جملة أخرى
وصفعتها بالقفاز
داعيةً اياها إلى المبارزة
في ساحة الشرف.

في نهاية المعركة وكما يحدث كثيراً
كانت إحدى الجملتين قتيلة
والأُخرى جريحةً تنزف فوق الصفحة
ولما لم أكن أريد
أن أدخل في متاهة التحقيقات الجنائية
بين سؤال وجواب
فضلتُ أن أغسل يدي من دمائهما
وأن أحذف القصيدة كلها.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

بحكم العادة

في مصعد بناية أوروبا سنتر في برلين
وأنا ذاهبٌ إلى طبيب أسنان يوناني شهير
يقيمُ في الطابق الخامس عشر
ليقلع لي آخر أضراسي
تشبث بأذيالي أعرابي
ترك حصانه في الممر
يرعى الأعشاب الإصطناعية
وراح يصرخ بصوت عال:
أنا المتنبي، أنجدْني!
كان المسكين يتضور جوعا
بعد أن أنفق نقوده كلها
على العاهرات اللواتي يقفن مساء
متراصاتٍ على أرصفة الكودام
أمام أعمدة الإعلانات
فاقترحتُ عليه أن أُدلّه على مستشرق
كان يحفظ أشعاره عن ظهر قلب
ليقرضه بعض المال

مكتبة
الفكر
الجديد

غير انه رفض
طالباً أن أقوده إلى ملك الألمان نفسه
ليمدحه بقصيدة، كما كان يفعل دائما
في كل بلاد غريبة يحل فيها.
وهكذا قدتُه مشياً على الأقدام
الى متحف ألماني ممتلىء بالملوك
وتركتُه هناك
ناجياً بجلدي.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

قارة قديمة

ذكريات سعيدة عن شمس
في حي مفقود في مدينة
تجري من تحتها الأنهار
وطفل ينحدر من شجرة
سقفها في السماء
وحيداً يرمم روحه المندثرة
حاملاً في يده بلبلاً إصطاده
قديماً في قارة
ربما غمرها البحر.

في ذلك البهو القديم
حيث يُسلِّم الملوك فضتهم للنمال
لعبةُ نسيان هو الزمن.

لقد بحثنا دائماً عن النار
في تقاطعات نقطة الصفر.

مكتبة
الفكر
الجديد

جبال من الرماد
وعين ماء
يغتسل فيها الخطاة
جبال بلا نهاية
ونار أيضاً.

الأمطار أفسدت فواكهَنا
والعناكب
أقامت حضارتها
أمام المغاور.

دليلُنا
هو الجنون في الغابة
منحدرين
الى المجرى الأخير
للنهر.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

رؤيا في باص

وأنا مسافر في الباص
بين الحياة الدنيا والآخرة
صعد الملاك جبريل
وعلى رأسِه قبعة
حافتها تنحدر فوق جبينه
مثل متشرد هارب
من رصيف في بانهوف تسو
صعد دون أن يقطع تذكرة
ثم جلس على المقعد لصقي
متظاهراً بالنظر من النافذة
مثل سائح أميركي.
في الطريقِ نخزني بإصبعه في خاصرتي
وراح يتلو علي آياتِه الجديدة
من مسجّلٍ كان يحمله في يده.
صوته الرتيب أصابني بالدوار
فنهضتُ لأهرب نازلاً
إلا انه لحقَ بي وجندلني ثانية فوق مقعدي

مكتبة
الفكر
الجديد

ضاغطاً بمسدسه على صدري
وقال لي مهدداً:
في المرة القادمة سوف أُطلقُ النار عليك أيها النبي!
إقرأ باسم ربك الذي خلق.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

خيانة

«الى عمر بن أبي ربيعة»

ذات مرة
زارتني هند بنت الحارث المريّة
في غرفتي
وتعرت قائلة:
أتراني
كما ينعتني عمر بن أبي ربيعة؟
قلتُ: دعينا منه يا بنت!
فانحنت علي
وقبلتني في فمي
ثم اضطجعت على السرير
وقالت: هيتَ لك!
بعد ليلة في الجحيم
ارتدت ثوبها الوردي القصير
في الفجر
وخرجت عائدة إلى مضارب أهلها
راجية أن أُبلغك تحياتها

مكتبة الفكر الجديد

إذا التقيتُك
ذات يوم
في الشارع.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

كيف تكتب قصيدة سحرية؟

ليس أسهل من أن تكتبَ قصيدة سحرية
إذا ما امتلكتَ أعصاباً قوية
او نية صافية على الأقل.
الأمر ليس صعباً بالتأكيد
خُذْ حبلا وارْبطه بغيمة
حيث طرف منه يتدلى
مثل طفل تسلقِ الحبلَ حتى النهاية
ثم ارمِه الينا
ودعْنا نبحثْ عنك عبثاً
في كل قصيدة.

١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

روبنسون كروسو

لا أحدَ في البيت يا روبنسون كروسو. كلهم سمعوا النداء فانسلوا واحداً، واحداً إلى النفق المعتم، خائضين في المجرى المائي البارد، كاتمين أصواتهم الواهنة، حاملين فوانيسهم في أيديهم، باحثين عن ظلالهم فوق الجدران المقوسة على الزمن. كلهم اضطربوا فتركوا متاعهم للجرذان واختفوا في الثقوب، خشية البلل.

لا أحدَ في البيت ينتظرك يا روبنسون كروسو. الغيمة التي تركتها هناك سَفَتها الريح حتى الجبل. على الرمل المشبَّع برائحة القير ترك اللصوص علاماتهم، واعدين بالعودة في زمن آخر. والموتى صعدوا إلى توابيتهم قبل أن تشرب نخب وداعهم الأخير. لا ضمانَ ضد نفسك، جالساً على الصخرة، نازعاً حذاءك، مدلياً رجليك في ماء البحر المستكين، راصداً الأفق بمنظار صديقك البحار الذي أكله الحوت. عزاؤك الشمسُ فوق رؤوس الأشجار في غرة الصباح وميراثك هذا الخليج العامر بالسلاحف والأسماك، تقيم ممالكها قريباً من كوخك. الشهبُ في الليالي والمطر الإستوائي في الظهيرة. وإذا ما حالفك الحظ فقد تخرج إليك حورية من البحر، تقضي معها أجملَ أيام حياتك.

مكتبة الفكر الجديد

لا أحدَ في البيت يتحدث عنك يا روبنسون كروسو. لقد هجرك الجميع عندما صرتَ الشاهدَ والضحية. إنني أتركك لمصيرك الذي استحققته بجدارة، مشفوعاً بآخر أحلامنا وأوهامنا. فابقَ في جزيرتك، ناسياً ومنسيا، وتأكّدْ من اننا قد أحببناك دائماً بصدق.

١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

ليلة الجنرال الأخيرة

هناك في الأعالي
رأيته واقفاً، مسنداً مرفقه على المقصف
يثرثر مع جنرال عائد لتوه من المعركة.
ـ ليس هذا صحيحاً،
لا ينبغي أن تصدق كل ما يقال!
ـ هناك طرق أخرى،
أنظر إلى الخارطة فقط!
كان ظهره إلى المرآة
حيث شجرة دردار في صحراء
تحتها حصان يصهل.
في تلك الليلة
بينما المطر يهطلُ مدراراً
سمعتُ قطاراً يجرجر نفسه في الظلام
هبط منه جنرالات كثيرون.

مكتبة الفكر الجديد

في آخر تلك الليلة
رأيته يرتقي العربة الأخيرة
في القطار الطويل.

كان ميتا منذ الأبد.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

في جزيرة بعيدة

من الأفضل أن ترتدي بدلة أنيقة
عندما تخرج في الليل إلى الشارع
إذ ثمة لصوص سوف يتعقبونك
إذا ما كنتَ تحمل في جيبك حزمة مفاتيح
وكان قلبك خالياً من الأحقاد.

حسناً، هذا هو صندوقك المغلق
صندوقك الذي ربما كان كنزا
صندوقك الذي جرفه البحر، مُزبدا
ذات صباح إلى الساحل
من سفينة غرقت قبل ألف سنة.

أزمنة تمر بين الصخور
أصوات أمواج بعيدة
وأشجار تئن في غابة
أسماك وكهوف
أسماك ونقاط حراسة

مكتبة الفكر الجديد

ترصدُ مهربين عائدين بأسلابِ الحروب.

كنتُ أعرف القبطان جيدا. رجل مهيب من جزيرة غريبة
خرج ولم يعد. ترك لنا ذكرياته.
ليس مهما أن نتحدث عنه بعد كل ما جرى.
ذلك هو صندوقه، تعال نحمله معا إلى البيت
وندفنه تحت الشجرة
حتى الربيع القادم
ما دام عندنا كل هذا الوقت الكثير!
وإذا ما حصلنا على نقود كافية
فسوف نشتري سفينة جديدة
ونعود بها اليه.

أعرف انه ما زال ينتظرنا هناك
ناظراً إلى الأفق بمنظاره المقرب.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

في أسوأ الأحوال

ربما كوكب
ربما جوهرة ضائعة
ربما سفينة جانحة
ربما جبل
او شجرة.
ربما كوكب تهبطُ فيه ذات يوم
ربما جوهرة تعثرُ عليها صدفة
ربما سفينة جانحة تسحبها بحبل
ربما جبل تصعده
او شجرة تتسلقها.

هناك دائماً ما يمكن أن تفعله.
أن تنام مبكراً
أن تستيقظ متأخراً
أن تغسل وجهك بالصابون
أن تدخن قبل الفطور
أن تسير في شارع ما وحيداً

مكتبة الفكر الجديد

أن تجلس في مقهى
وحتى إذا كان ثمة ما لا تفعله
فليس مهما أن تفعله
إذ في أسوأ الأحوال يمكنك أن تقول لنفسك:

So ist das Leben(*)!

١٩٩١

(*) عبارة ألمانية معناها «هكذا هي الحياة».

مكتبة الفكر الجديد

ذات ليلة في الشتاء

في الليلة التي خرج فيها الملوك الثلاثة
الى الجبال
قادمين من الشرق
سائرين وراء النجمة التي قادتهم إلى بيت لحم
حاملين هداياهم
رأيتُ البابا يبحث عنهم قلقاً
في سيارة رولس رويس
وفوق رأسِه تاجه القديم.

عائداً إلى البيت
سمعتُ الطفل يبكي في المغارة
كان الوقتُ شتاءً.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

دائماً

دائماً ثمة من ينتظرك
مضطجعاً على ظهره
فوق العشب
في حديقة.

دائماً ثمة سماء صافية
فوق الرأس
وطائرة هليكوبتر
تحلق عالياً فوق الأشجار
حيث جندي وامرأة
يعبران
جدولاً
ممتلئاً بالأسماك.

دائماً جدول وشجرة

مكتبة
الفكر
الجديد

دائماً جدول وبومة.

حصان يعدو في الصباح
ورجل يموت في حديقة.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

الوصول متأخرا

«الى رجل مات قبل الف سنة»

إذا كنتُ قد تأخرتُ في الوصول اليك
فذلك لأني قد أضعتُ جميع بطاقات السفر
التي اشتريتها من الله
والأسوأ أن كل الحافلات التي مرت
كانت مزدحمة بمسافرين شريرين
يحملون سكاكينهم في جيوبهم
آملين الظفر بي
فلم يبق يا صديقي
سوى هذا الاوتوستراد الطويل
الذي سوف يقودني
صُعُداً إلى الشيطان
واقفاً ينتظرني أمام أول محطة
وفي يده رمحه ذو الرؤوس الثلاثة.

في الجحيم كنتُ
حيث أفران ذرية وحيات طولها السماوات والأرض

مكتبة الفكر الجديد

بشرية مربوطة بالسلاسل
وزقوم يجرعه المرء دفعة واحدة
من كأس مترعة
مثل سكير روسي بعد خطبة عن الصداقة.
في الجنة كنت
حيث متنزهات عامة بعيدة
تغصُّ بأنبياء وقديسين
يجلسون على المصاطب
ويقرأون روايات بوليسية
تدور أحداثها في الآخرة.

أذكر ملاكاً اقتادني معه إلى البيت
وقدم لي القهوة بالحليب
ثم ضللتُ طريقي في الغابة
فنهشتني الذئاب.

أعرفُ أني قد تأخرتُ كثيرا
في الوصول اليك
ومع ذلك فما من أمر خطير أو مستعجل
حتى إذا انتظرتني ألف سنة أخرى
فكل شيء سوف يبدأ ثانية دائما
مثل مسرحية تُعرض كل يوم
وأمامنا الأبدية كلها.

١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

رجل في الذاكرة

«الى جمال س. »

أعواماً طويلة
ظل يلهثُ ورائي مثل كلب مخبول
من مظاهرة إلى مظاهرة
من محكمة إلى محكمة
من زقاق إلى زقاق
ومن مقهى إلى مقهى.
في الصباح ذاهباً إلى الكلية
كنت أراه واقفاً أمام البوابة السوداء
يدخنُ متكأ على دراجته الهوائية
وفي الظهيرة ذاهباً إلى نادي الطلبة
كنت ألمحه، جالساً على السدة الترابية
للقطار القادم من الشمال
وفي يده ساندويتشة بيض
يلتهمها، باحثاً عني بعينيه الغائرتين.
لم يكن يعرفُ أحداً غيري
لذلك كان يُسجِّلُ إسمي

مكتبة الفكر الجديد

في كل تقرير يقدمه إلى الشرطة
في العيواضية.

بعد أعوام طويلة
وكنتُ قد نسيتُه تماما
أخذوني مرة أخرى
لأقفَ أمام محكمة عسكرية
أعضاؤها يُعانون من الضجر
ولذلك أخرجوا أوراقا بالية
قرضتها الفئران في الأدراج
تزجيةً للوقت.
وجاؤوا به ليشهد ضدي
كما كان يفعل دائما
لكنه ما كاد يراني في الممر الذي يحرسه الجنود
حتى هرع الي وحيّاني كأخ غائب.
كانوا قد قذفوا به إلى الشارع
بعد أن أصبح عجوزا واهن القوى.
قال لي: لم يعد أحد يريدني
لقد خدمتهم دائما.
عندما نادوا عليه دخل مترنحاً من السكر
لا بد انه كان قد شرب قنينة من العرق قبل ذلك.
وضع يده على القرآن
وأقسم انني أنبلُ إنسان التقاه في حياته

مكتبة الفكر الجديد

وأن كل ما كان قد قاله عني سابقاً
كذبٌ ومحضُ افتراء.
وهكذا غفرت لي المحكمة
ذنوبي الكثيرة التي لم أرتكبها
وسجلتني مواطناً صالحاً
في قوائم الدولة.

في الطريق إلى المدينة
رافقني في الباص، جلس على المقعد جنبي
ورجاني باستحياء
أن أكافأه بقنينةِ عرق
فاشتريتُ له صندوقاً كاملاً
حمله وذهب.
بعد شهرين أو ثلاثة
عاد إلى مكتبي مخموراً.
أطرقَ الرأسَ وراحَ يبكي
متحدثاً عن زوجته الشابة التي تخونه
مع أصدقائه السريين
كلما ذهبَ إلى الحانةِ في الليل.

في كل شهرين أو ثلاثة
كان يأتي الي مرة
فأُعطيه نقوداً تكفي ليسكر أسبوعاً

مكتبة
الفكر
الجديد

ثم يتركني متعثراً بخطواته.

شهور طويلة مرت من دون أن يأتي
حتى حسبت انه قد مات
لكنه ظهر مرة أخرى ذات صباح
جلس على كرسي أمام مكتبي
واعتذر لي عن حياته كلها.
كان في أعلى درجات صحوه
ثم قال لي: اعطِني دينارين ولن تراني بعد الآن
سوف أختفي من حياتك إلى الأبد!
عندما مضى صافحني مودعاً على غير عادته بحرارة
مثل صديق مسافر إلى بلد بعيد.

بعد أيام عرفت انه قد ذبحَ نفسه من العنق
بموسى للحلاقة.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

في أمسيات النصر

«الى نابليون بونابرت»

أيها الفاتح، أيها الفاتح
ماذا فعلتَ في أمسيات نصرك؟
أعتقدُ انك استبدلتَ بزتك المتربة
ببزة أخرى نظيفة ومكواة
أعتقدُ انك دخلتَ حماما وحلقتَ ذقنك
فيما الجنود يغسلون سيفك
أعتقدُ انك جلستَ مع جنرالاتك
على مقاعد وثيرة
وقهقهتَ عالياً، مستمعاً إلى نكتة
رواها مهرج
يضعُ فوق رأسه خوذة
أعتقدُ انك نهضتَ
ورحتَ تذرع الغرفة جيئة وذهاباً
مكتظاً بعواطف جارحة.

مكتبة الفكر الجديد

هناك دائماً ما هو ناقص
لكنك لن تعرفه قط.
الهزيمةُ وحدها تعرفه
وأنت لم تكن مهزوما.
في أمسيات نصرك
سهرتَ الليل كله
ثم نمتَ حتى اليوم التالي
النصر يعلم النوم.
أعتقدُ انك أعدتَ المعركة ثانية في رأسك
فقتلتَ ألوفاً أخرى
ألوفاً لم تُقتل لحسن الحظ.

يا إلهي، أية أخطاء ارتكبتَها!
كان يمكن حتى أن تخسرَ المعركة
لولا ان العدو كشفَ ظهره
لولا ان قذيفة سقطت فوق مدفعيته
فعطلتها
لولا ان رصاصة أصابت قائده
فأردته قتيلاً
لولا ان حصانه جمح
فهوى في حفرة

مكتبة
الفكر
الجديد

لولا ان الشمس كانت في عيون جنوده
فضلّوا طريقهم في الحقول.

في كل نصر هزيمة مؤجلة.

أيها الفاتح، أيها الفاتح
في أمسيات نصرك
سوف تعرفُ البكاء.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

أغنية نفسي

عندما بلغتُ العاشرة من عمري
قلتُ: كل شيء سيكون على ما يرام يا فاضل
ما دامت هناك فصول تتعاقب
ما دام الشتاء يفاجئك بأمطاره
والربيع بوروده البرية
والصيف بآبه اللهاب
والخريف بحزنه العميق
ما دمتَ تجلس أمام عتبة بيت أهلك في كركوك
وتراقب غيوما سوداء في سماء حمراء
تهرب، تتبعها خيول وفيلة.
قلتُ في العشرين من عمرك
سوف تخرج إلى حديقة المصلى
وتتنزه عصراً في سهل سيد قزي
وفي المساء تجلس في مقهى قرب القيصرية
وتحدق في لقالق صغيرة
جاثمة في أعلى ناقشلي مناره سي
تزقزق لك.

مكتبة الفكر الجديد

عندما بلغتُ العشرين من عمري
لم أكن في حديقة أو مقهى
وإنما في سجن ببغداد
يحرسه شرطيون ريفيون يوقظوننا كل صباح
فنركضُ أمام عصيهم تجلد ظهورنا
لنقرفصَ في المسطر
في صفوف طويلة
حيث نُعَدُّ مثل أغنام يتفحصها القصاب
قبل اقتيادها إلى المسلخ.
قلت: كل شيء سيكون على ما يرام يا فاضل
ما دامت الحياة كلها لا تزال أمامك
وقلبك عامراً بالآمال
في الثلاثين من عمرك
سوف تعود إلى أهلك
ويعود اليك أصدقاؤك الغائبون
من منافيهم البعيدة
ليحدثوك عن مدن في مدار الجدي
وأخرى في القطب.

عندما بلغتُ الثلاثين من عمري
كنتُ أنا نفسي في المنفى.
قلت: كل شيء سيكون على ما يرام يا فاضل
في الأربعين من عمرك
سوف تعود إلى شعراء مفلسين

مكتبة الفكر الجديد

ينتظرونك مساء
جالسين على التخوت
فوق الرصيف
يحتسون الشاي في مقهى مجيد
لتسكروا جميعاً ليلة بعد أخرى
في نادي العدلية
وتشتموا الحكومة
متسكعين في الشوارع الخالية
حتى الفجر.

عندما بلغتُ الأربعين من عمري
رأيتُهم يهربون جميعاً، واحداً بعد الآخر
بجوازات مزورة
او يعبرون الحدود
مع مهربين يقودون حميرهم
في شعاب جبال عالية وخطرة
وهكذا سكرنا
تارة هنا وتارة هناك
في برلين أو قبرص
في لندن أو باريس
وأحياناً
في الجحيم.
قلتُ: كل شيء سيكون على ما يرام يا فاضل
ما دامت ذكرياتك معك على الأقل.

مكتبة الفكر الجديد

في الخمسين من عمرك
سوف تعودُ إلى شجرتك المنسية
لتسقيها الماء بكفيك
الى بيتك الذي أكلته الأرضة
لترممه من جديد
الى كتبك المتروكة في صناديق المقوى
لتقرأها ثانية.

عندما بلغت الخمسين من عمري
رأيتُ شجرتنا تُقطع بالفأس
وبيتنا تقطنه الجرذان
وكتبي مطمورة في بئر.

والآن ماذا ستقولُ لنفسك يا فاضل
وقد أحرقتَ وراءك السفن كلها؟
آه، لا أريدُ أن أقول شيئا
لن أقول أي شيء
دعوني، اللعنة!
فقد بلغتُ النهاية
في لحظة واحدة
وختمتُ كل حكمةٍ في العالم
حتى قبل أن أعرف
ما الذي حدث.

١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

السائر في الحلم

من مكان إلى مكان
من مدينة إلى مدينة
من هنا إلى هناك
ومن هناك إلى هنا
رأيتُكَ تمر مسرعاً، تفترس الأعوام
مثل رجل نهبوا بيته
مثل جندي يخترق خنادق معادية
فوق دراجته البخارية
حاملاً في جيبه رسالة
الى جنرال ميت
في الجبهة
مثل فيلم شاهدتَه ذات مرة
فأسندتَ رأسك إلى صدر فتاة مجنونة
كانت تضحك بهستيريا
كلما رأت درويشاً في غابة
والشيطان في أعقابه.

مكتبة الفكر الجديد

من هناك إلى هنا ومن هنا إلى هناك
رأيتُكَ مغلولاً في قلعة مسوّرة بأبراج عالية
وأسوار شائكة
تحرسُها ملائكة وصلت لتوها من الجنة
وفي عيونها نعاس البرابرة
بينما السفينة
السفينة الوحيدة في الساحل
تُطلق صفيرها لآخر مرة
قبل أن تقلع بك إلى الأمواج الضارعة
صخابة وهادرة
جزر بعيدة وبيوتها، أشجار وظلالها
فصول متقلبة، فصول لعوب
وثمة من تتذكّره لتنساه.
ليس حلماً كل هذا
ليس سيئا أن تتذكره
إذ بدون ذلك ماذا كنتَ ستفعل بنفسك؟
إذ بدون ذلك كيف كنتَ ستنظر إلى وجهك في المرآة؟
هذا ما كنتَ تسميه النسيان المطلق
وهو ليس سوى المكان الشاغر.

من قارة إلى قارة
من كوكب إلى كوكب
منحدراً في الموجة حتى القعر

مكتبة
الفكر
الجديد

سمعتُ الحوريات يعولن، مطلاتٍ برؤوسهن
من الكهوف الصخرية
متخفياتٍ في جزر المرجان
مطلقاتٍ قبلاتهن السامة من بعيد
فأمسكتُ الأمل من شعره الطويل
تشبثتُ به. كنتُ غريقا
والحياة تنهش أضلاعي
مثل قرش أخبله الدم.
نائماً كنتُ في جزيرة تُشبه مدينة
رأيتُها ذات مرة في أحلامي ـ
قردة ماكرة، سندباد وبيضة رخ
وذلك الوادي العميق
حيث رعاة يهبطون بحبال
ويلتقطون العقيق.
هذا عويلك أسمعه في ضفة يغمرها الضباب
عويلك الذي تركتَه هناك
فوق شفاه جافة
لرجال يسيرون دائما وراء عربة
تنقل أرواحا ضائعة
الى الفردوس.
هذا العويل هو ما تغنيه الآن في المنفى
وما من أحد يسمعك
هذا العويل هو كل ما تملكه داخل بئرك

مكتبة
الفكر
الجديد

منصتاً إلى الذئب يعوي عند الفوهة
منتظراً خروجك من جوف الحوت
قرناً بعد آخر
مثل حارس أمين.

ما من ملجأ هنا. أخرقُ هو الأمل
رجل يحنث بوعوده متردياً في الخطيئة
مياه راكدة وحديقة خلفية. أين شارتك أيها الشرطي؟
كلا، لن أُلحف في طلباتي
غداً سوف أخرجُ من هذ السجن بكفالة
وإذا ما حدث ذلك حقا
فسوف أخطفُ غواصة
وأهربُ بها إلى أعماق البحار
مع ملاكم كان يقف على قدم واحدة
مثل رقاص الساعة
وعلى رأسه ببغاء مغنية.
ما من لصوص هنا
أعرف قاطع طريق فقط
كان يَصفُقُ الباب وراءه كلما خرج.
ثمة حواجز دائما
وموظفو كمارك
من الأفضل أن أذهب إلى مشرب ما
حتى إذا كنتُ مفلساً

مكتبة الفكر الجديد

صاحب البار يعرفني
كلهم يعرفونني
والأكثر من ذلك
إنني أحمل ترخيصاً أبدياً
بالسفر إلى الجحيم.

في تلك المدينة، كل شيء هادىء في الجبهة.
لا تكنْ منافقاً. قداسة كاذبة تحت الظلال.
لم يكن الأمر سيان إذ جاء من أقصى المدينة رجل يسعى
فوقفتَ وأديتَ له التحية العسكرية.
لا فرق هناك في النهاية
ومع ذلك دخلتَ قاعة مغلقة
وألقيتَ خطبة عن التاريخ
زاحفاً على بطنه كجريح.
كان ثمة قتلى
دائما ثمة قتلى
حمداً لله انك لم تكن بينهم
وإلا ماذا كان يمكن أن تقول
للأحياء منهم؟
هذا يُذكّرني بنص سينمائي قديم
أضعتُه في معبد.
حسناً، إحذفِ المشهد الثاني
من الفصل الأول! إحذفْ كل شيء!

مكتبة
الفكر
الجديد

لا شيء يتغير.
عصا الله فوق الجميع.
دعِ الملحدين يدبروا مكائدهم
دعِ الشتاء ينتهِ
دعِ الفصول تمر
فثمة دائماً أحد ما
ينتظرك كل ليلة
في المدينة، في تلك المدينة.

لا تقلْ أبداً وداعاً!
الحياةُ أمامك
وأنت عائد
لا محالة
في يوم آخر
إلينا.

١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

صباح الخير أيها الله!

صباحُ الخير أيها الله!
أكيد أنك تعرفني جيدا
رغم اننا لم نلتقِ من قبل
فأنتَ تعرف الجميع واحدا واحدا
بأسمائهم،
الطيبين منهم والشريرين.
كان بودي حقاً أن أزورك
لأقدم لك ولاء الطاعة
لولا انني أجهل عنوانك في السماء
حيث متاهة من النجوم والمجرات
لولا انني لستُ رائد فضاء
ولا أملكُ حتى مركبة تُقلُني إليك.
أعرف أنك مشغول كثيرا
كلنا مشغولون في الحقيقة هذه الأيام
رغم انني عاطل عن العمل منذ الأبد
ومع ذلك أرجوك أن تَصغى الي
وتفكر في ما أريد أن أقوله من رأي

مكتبة الفكر الجديد

حول كل شيء
ما دمتَ قد خلقتني ورميتَ بي وحيداً
فوق هذا الكوكب اللعين.
لقد سمعتُ الكثير عنك دائماً حتى قبل أن أولد
كلهم يتحدثون عنك برهبة
ولكن بنوايا سيئة
أعتقد انهم يتملقونك يا سيدي
خوفاً من تسفيرهم إلى الجحيم
داخل شاحنات مغلقة
او طمعاً في الحصول على شقق مؤثثة في الجنة
أنت تعرف ذلك أفضل مني بالتأكيد
أمر مزعج حقاً، أليس كذلك؟
ولكن ماذا يهمني من ذلك كله
ما دمتُ أريد أن أحدثك كصديق
لا تهمه الأرباح والخسائر؟
ما دمتُ أريد أن أحدثك من القلب إلى القلب
كما يُقال؟
فكرتُ أن أخابرك
إلا انني لم أعثر على اسمك في دفتر التليفونات
ولذلك سوف يسرني جدا
أن تتصل بي
وتشدَّ من أزري
أن تسألني ممازحا:

مكتبة
الفكر
الجديد

كيف حالك يا فاضل
في هذه الدنيا الفانية؟
أنت تعرفُ رقم تليفوني
إتصلْ بي في أي وقت تشاء
في الليل أو النهار!
فأنا أقضي معظم أوقاتي في البيت
أقرأ أو أتفرج على التلفزيون
وأحياناً أغفو قليلا
مفكراً في مصير العالم.
دعنا نلتقِ حقاً ذاتَ مرة
أنت أيضاً تحتاج إلى الراحة
هناك الكثير الذي أريد أن أقوله لك
الكثير الذي لم أقله لأحد من قبل
الكثير الذي لا يمكن أن أقوله لأحد غيرك
وإذا ما أحببتَ فسوف أقرأ عليك آخر قصائدي
لتقول رأيك فيها بصراحة
وربما تحدثنا أيضاً عن مستقبلِ البشرية
او حتى عن مصير الكون
حول فنجان من القهوة.
عندي خطط وأفكار كثيرة
أعتقد انها سوف تعجبك.
أحبذ أن نلتقي في البيت
أنت تعرفُ عنواني على أية حال

مكتبة
الفكر
الجديد

إسمي مكتوبٌ على الباب
يكفي أن تقرعَ الجرس مرةً واحدة
لتسمعني أهتفُ من الصالة.
الباب مفتوحٌ، تفضَّلْ أيها اللهُ وادخلْ!
لقد انتظرتُك دائماً.

١٩٩٣

مكتبة
الفكر
الجديد

يقظة الإبن الضال

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

آثار فوق الرمل

وحش قديم مر من هنا
آثار وثنية تركها الأعرابُ وراءهم
على السلم الحجري
للبئر الناضبة.

دم فوق الرمل
صرخات مكتومة
ومحاربون يغسلون سيوفهم
في نبع
بعد المعركة.

قوافلُ كثيرة مرت من هنا
لم نسمع حتى جلبةَ خيولها
في الطرقات.

الفريسةُ ترعى العشب
والسكين في غمدها.

مكتبة
الفكر
الجديد

آهِ، دعِ الفريسة ترعَ العشب
دعِ السكين في غمدها!

إن كنتَ ذئبا فلتهربْ إلى الغابة
إن كنتَ أسيراً
فلسوف أكسرُ أغلالك.

هذا الطريقُ سلكته من قبل
لقد كنا دائما هنا.

١٩٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

تلك الأيام الجميلة

لا ترفعِ السدادة
دعِ العفريت الشرير يندبْ حظه
إرمِ القارورة ثانية في البحر!

دعِ التفاحةَ المحرمة
على شجرتها في الجنة
تقضمها دودة القز
وانتظرْ فراشةً تخرج من شرنقتها
قاصدةً النار!

دعِ المعول يتّخِذْ بالحجارة!

ما همُّك أن تنزعَ الأفعى جلدها؟
دليلُك هو الشجرة ـ عميقاً عبر الجدار
وفي نومِك.

على الصخرة

مكتبة
الفكر
الجديد

سوف يقفُ الطالع من الأسطورة
قلْ له أن يرأف بنا!

إذا ما بلغتَ الواحة الأخيرة
تذكَّرْ أيامك الجميلة وحدها!

لقد أحببنا كل شيء
حتى النهاية.

١٩٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

إنفجارات

هذه الليلة وكلُّ ليلة
يجلسُ George Wetheril وراء مرصده
ويراقبُ نجوماً تصطدم ببعضها
ثم تنفجر تاركةً غبارها
في المتاهة بين المجرات.

هذه الليلة وكلُّ ليلة
يولدُ كوكب جديد
سوف يمتلىء هو الآخر ذات يوم سكاناً
سوف تكون هناك كهوف مثل كهف أهل الكهف
وقردة فوق الأشجار تقذفنا بحبات جوز الهند
ومدن مثل لندن وباريس ونيويورك
يقصدُها السائحون في الصيف
ولسوف تنشبُ بين الحين والآخر حرب ما
وفي الليالي سوف ينامُ الأزواج مع زوجاتهم
على أسِرَّة موحدة
وفوق رؤوسِهم على الجدران

مكتبة
الفكر
الجديد

صور أبنائهم الغائبين.

في مئة ألف عام. . . . .
فى أربعة ملايين عام. . . . .
في مئتي مليون عام. . . . .

عزيزي George Wetheril
دغ مرصدك يرصدْ ما يشاء
فثمة من ينتظرك في الصالة
مدعياً انه الله
جاء ليقرأ عليك هذه القصيدة.

١٩٩١

مكتبة الفكر الجديد

ذكريات

عندما عبرت عشتارُ بوابة بابل
بموكبها المهيب
تحيطُ بها أسودُها
خارجةً إلى البرية
لتنصبَ خيمتها
تحت النجوم
كنتُ كاهنها الأمين.

عندما قاد الإسكندرُ جيوشه المنتصرة
عابراً بها الجبال والأنهار
وعلى كتفه صقره العائد من الغيوم
كنتُ منجمه الأول.

عندما أبصر نوحٌ العاصفة
مجذِّفاً في سفينته الجانحة
باحثاً عن جبل يؤويه من الطوفان
كنتُ حمامته العائدة

مكتبة
الفكر
الجديد

حاملةً في منقارها غصن الزيتون.

عندما بلغ كلكامشُ الغابة
هارباً تتبعه أشباح الموتى
كنتُ أفعاه التي شمت الشذى
فتسللت والتهمت عشبةَ الخلود.

آهٍ، دعِ البابَ مفتوحة للزائرين
ففي البيتِ متسع للجميع!

١٩٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

هارباً أصل نهراً

هارباً من حصن منيع
تدرعه وحوش تقضم ملائكة
من معتقل يلتمع مثل راية مخروقة
يُوقدُ أعراب الصحراء نيرانهم أمام أبوابه المغلقة
ويطلقون كلابهم النابحة ورائي
ألتقي البومةَ جاثمة على شجرتها
والغيومَ ترعدُ، متدافعة مثل جيوش في حرب
فأدخلُ وادياً في متاهة لرغبة مستحيلة
وأتركُ آثاري فوق الصخور
للقادمين بعدي.

معابدُ كثيرة تركتها للغزاة
وأُخرى طوقتُها بالأسلاك الشائكة
أقفلتْ أبوابها بالشمع الأحمر.

هارباً أصلُ نهراً تعبره بغال محملة ببنادق
يجرها لصوص عائدون من جبال مغطاة بالثلج

مكتبة
الفكر
الجديد

تقصفُها المدفعيةُ من بعيد
مدن تُقفلُ أبوابها
من رأسِ حرّاسها تأكلُ الطير.

هناك إذِ الأعمى يبلُلُ إبهامه بلسانه
ويَعُدُّ دنانيره المخبأة
أقلّبُ أعوامي الكثيرة
جامعاً اياها بالملقطِ من الخرائب
مثل لآلىء أُقلّدُ بها عنقَ الأشباح
عارفاً أن الذكرى دفترُ توفيرٍ
في شتاء الشيخوخة القارس
والحياة
هي ما تراه العينُ بعد اليقظة الأولى.

هناك إذ لا مدينةَ في نهاية الرحلة
أُقيمُ مدينة تتكىءُ على قلعتها القديمة
وأسيرُ مع مجانينها العائدين في الليالي من المقاهي
مُطلقين أغنياتهم للنجوم.

مكتبة الفكر الجديد

حصان نابليون

ماذا نعرفُ عن معركة واترلو
سوى ان جنوداً في هذا الخندق أو ذاك
ماتوا من أجل أوطانهم، كما يقال
وكان نابليون هناك فوق حصانه الأصهب
يضعُ ناظوره فوق عينيه
ويتابع المعركة؟

املُ أن أوقفَ هذا المشهد
مثل شريط يُعرض بالفيديو
لأُضمِّدَ الجرحى وأدفن القتلى
وأطردَ الذئاب القادمة من التلال
أن أدخلَ كنيسة
أقرعُ ناقوسها لتعزية الأحياء
الى الأبد.

مكتبة الفكر الجديد

في سيرك ما في مدينة
رأيتُ حصانَ نابليون
يقوده
مهرجٌ مخبول
بالسوط.

٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

في مملكة ألف ليلة وليلة

كان ثمة حاكمٌ يحب تماثيله
حتى انه ملأ الشوارع والساحات بها
لتكون عينه الساهرة على شعبه
وكان الناسُ إذ يمرون بها
ينحنون لها
ويرفعون قبعاتِهم احتراماً
متمتمين ببضع كلمات مبهمة.

وكالعادة في كل أسبوع تقريباً
كان الحاكمُ يخرج إلى المدينة
تتبعه تماثيله الكثيرة
ليستقبل آخر تمثال له
حيث كانا يقفان معا على المنصة
مستمِعَين إلى النشيد الوطني
ثم يسيران على البساط الأحمر

مكتبة الفكر الجديد

مستعرِضَين حرس الشرف.

وفي النهاية دائما
كان يعانقُ تماثيل المدينة كلَّها
ويودعُها بالدموع.

١٩٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

عندما وصلنا إلى بيت كافكا متأخرين

تركنا براغ وراءنا
صعدنا القلعة القديمة
باحثين عن بيت أسود
يسكنُه فرانز كافكا.
ـ المستر كافكا لم يعد يعيش هنا
ربما انتقل إلى مدينة أخرى.
قال شابٌ يغازل فتاة على مصطبة.
ومرت امرأة همست محذرةً.
لا تدخّنوا رجاءً في حضوره
فقد ساءت صحتُه البارحة!

في الطريق
رأينا غريغوري سامسا يخرجُ من غرفته زاحفا
ويختفي داخل جذع شجرة.

في الدهاليز التي لا نهايةَ لها
والأنفاقِ التي تُقيم فيها الفئران

مكتبة
الفكر
الجديد

كانت ثمة شمعة تُضيء فوق منضدة
وجوزيف ك يرسمُ خرائطه
حتى لكأنه تلميذٌ في المدرسة.

قرعنا البابَ أخيراً ودخلنا
حاملين زهورنا
مفكرين في ما ينبغي أن نقول
سوى اننا كنا قد وصلنا متأخرين كالعادة
وكان هو ميتاً فوق سريره
يُحدِّقُ من النافذة.

١٩٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

عزلة

تنكسرُ الموجةُ فوق الصخرة
تاركةً الليلَ على الساحل
يُصغي لنداءِ الجنيات
بين الأغصان.

القمرُ المقطوعُ بضربةِ فأس
يجلسُ مختفياً تحت الصخرة
يسقطُ منزلقاً من كفي
في العشبِ النابتِ فوق الهضبة.

لا شيءَ هنا يُغريني أن أبني مملكتي
لا شيءَ هنا غير دوي الأيام
تتدحرجُ مثل كراتٍ من ثلج.

١٩٩١

مكتبة الفكر الجديد

الحفلة السرية

أفكرُ أن أقيم حفلة
يحضرها الذين نحبهم فقط
أما أولئك الذين يكتبون قصائدهم
بحكم العادة
فسوف ندعُهم يمارسون عادتهم
في غرفِ المرايا السرية
أمام الناس
او بعضِهم على الأقل.

سيكون هناك ما يمكن أن يُقال
وبالطبع ما لا يُقال أيضا
حتى إذا اضطررنا
أن نُنزلَ الستائر
على النافذة.

مكتبة الفكر الجديد

ولسوف يكون من حقي
ما دام كل شيء قد رُتِّبَ مقدما
أن أجعلَ الجمل
يمر من ثقبِ الإبرة
وأنا على ظهره بالطبع.

١٩٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

إنتظار

ما جدوى أيامٍ نُفرغها من قنينة
أسئلةٍ نقذفُها في النار
فتياتٍ نعشقهن كما كنا نفعل في الماضي
فردوسٍ ممتلىءٍ بملائكةٍ مقبلةٍ مُدْبِرةٍ
تُطعمنا أحلاماً نمضغها مسرورين؟

في يومٍ ما سنرى طفلاً
يهبط من نجمة
يمسكنا من أيدينا
ويرافقنا
في نزهتنا بين الأشجار.

١٩٩١

مكتبة الفكر الجديد

مرح

من جملة مرتبكة في قصيدة
لشاعر كان يكتبُ في ضوء شمعة
سقطت كلمة
فوق جملة أخرى
فاختفت بين الحروف والفوارز وعلامات الإستفهام
قاطعةً أنفاسها
لكنها
إذ رأت الشاعر يبحثُ عنها مغتاظاً
غصّت بالضحك
فأمسكَ بها من ذيلها
وأعادها
الى حيث ينبغي أن تكون
مُغلقا الباب عليها بنقطة.

١٩٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

داخل اوقيانوس تلفه الغيوم

في منتصف الليل
بكهوفه المقببة العالية
ووحوشه السارحة
يأتي الموتى دائماً في قواربهم
يجذفون داخل اوقيانوس تلفه الغيوم
طالعين من الضباب
واحداً بعد الآخر
مثل بحارةٍ أسطوريين
عادوا ثانية.

هذه العظامُ المحنية ظهورها
هذه العظامُ التي لا عيون لها
هذه العظامُ التي تختبىء في تجاويفها الطيور
تمرُّ منكمشةً خارج كل ضوء
حاملةً على أكتافها أكياساً منتفخة بالزمن

مكتبة الفكر الجديد

ترمي بها أمام مؤرخين
يوزعون ابتساماتهم على السابلة.

في منتصف الليل
تخرجُ القطارات دائماً
ممتلئة بمسافرين
ينسون حقائبهم على الأرصفة.

١٩٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

حديث عن السعادة

لا تَقلقْ إذا ما رأيت الزمانَ يفلتُ من بين أصابعك
كسمكة في الماء
والحياةَ تجلسُ على مصطبة في منفى
ففي آخر الأمر سيظل لك سرير تستلقي فيه في المساء
بعد كل معركة
وستكون لنا حديقة عامة
نتنزه فيها مثل شيخين متقاعدين.

آه، لا تنسَ أن تغلق النافذة
إذا ما رأيتَ العصور تمر وعلى فمها ابتسامتها الذابلة!

حسناً، يمكنك أن تنام هادئا
من غير أسفٍ على تعبِ المكتشفين والمخترعين
من غير ضغينةٍ على محنطي الغزلان
إذ ماذا يعني ذلك كله
ما دمتَ قادرا على العودة ثانية؟

مكتبة الفكر الجديد

في الماضي، في الماضي الجميل
في الحاضر يشربُ الماء من ساقية
مثل حصان متروك
في المستقبلِ إذ تلد مريم ابنها تحت نخلة
سيكون لنا على الأقل
ما نتحدثُ عنه
ونحن نحتسي قهوتنا
في الشرفة

سيكون لنا هذا الأملُ المبهم
بالسعادة.

١٩٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

زهرة سامة

طائر ما يرفُّ بجناحيه
فوق امرأة تستلقي في سريرها
ممسكةً بيدها زهرةً سامة
انفتحت لتوها
في وادي جسدها
مرسلةً ابتسامةً ذابلةً إلى الحياة.

منكفئةً على نفسها
تستذكرُ أيامها الماضية.

ومثلما يحدث دائما
يفتحُ الصباح النافذة
فيحلق الطائر بعيداً
تاركاً المرأة تنهضُ من نعاسِها الطويل.

١٩٩١

مكتبة الفكر الجديد

عودة الإبن الضال إلى البيت

«علي أن أعبر هذا الوادي الموحش
علي أن أعبره وحيداً
لا أحد يستطيع أن يعبره بدلاً عني
علي أن أعبره وحيداً».
أغنية زنجية أميركية

١

أفتحُ عيني فأرى الشمس على الستارة
والديكَ قد عاد إلى قنه
بعد أن صاحَ ثلاث مرات على الجدار
في ساعة الفجر.
هذا هو الصباحُ ينفتحُ فوق السطح
ثم يهبطُ السلم درجة بعد أخرى
حتى الشجرة الوحيدة في فناء البيت
ممتلئةً بعصافير مضطربة
تنحدر موجة موجة
من سماء زرقاء مفتوحة

مكتبة الفكر الجديد

مثل هاوية مقلوبة.

هناك أسمعُ الأعمى الذي اقتادوا ابنه إلى الجندية
يرتل آيات من القرآن
كنت أحفظها عن ظهر قلب:
«ألم ترَ كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد.
التي لم يُخلقْ مثلُها في البلاد.
وثمود الذين جابوا الصخر بالواد.
وفرعون ذي الأوتاد».
أرفعُ رأسي مستيقظاً من نومي
مثل صبي يحلمُ بالجنة
فأستغرب أني ما زلت حياً.
كل هذا الضوء في الماضي!
كل هذه الضجة في المدينة!
أفتحُ عيني فتغلقهما أصابع من ضوء
مفكراً في حوذي يسوط حصانيه الهزيلين
هناك في الزقاق المترب
حيث تقفُ العربة أمام بيتنا
ويهبطُ منها عجوز تغضنت يداه
وعيناه صارتا حفرتين باردتين
عائداً من منفاه البعيد
بعد آلافٍ من الأعوام قضاها ضائعاً في المدن الغريبة
يشحذُ من الأشباح المحبة

مكتبة الفكر الجديد

ومن الذكرياتِ السلوان.

على السلم الحجري ألتقيه

حاملاً بيديه حقيبته التي كان قد اشتراها

من متجر يهودي في فرانكفورت

فينزعُ نظارته الشمسية السوداء

ويحملني بين ذراعيه

ثم يأخذني ليغسلَ وجهي قرب البئر متمتما:

Wohin des Wegs? Du stehst am Ufer hier.

Ich bin bereit, dich durch den Fluss zu tragen(*).

أنظرْ هو ذا الصبارُ قد نما في حديقتنا

وزهرة عباد الشمس قد كبرت من جديد.

مقرفصاً ينثر ذكرياته أمامي في التراب

باكياً الطفل الذي كنتُه ذات مرة:

To see a World in a Grain of Sand

And a Heaven in a Wild Flower

Hold Infinity in the palm of your hand

And Eternity in an hour. (**)

آهٍ، قُلْ لي من قادك إلى وادي الأشباح؟

(*) إلى أين الطريق؟ أنت تقف هنا على الشاطىء/ إنني مستعد لأحملك عبر النهر.

Goethe. Faust, zweiter Teil

(**) لترى العالم في ذرة رمل/ والفردوس في زهرة برية/ اقبض على اللانهاية براحة يدك/ وعلى الأبدية في ساعة.

William Blake, Auguries of Innocence

مكتبة الفكر الجديد

أي نداء سمعتَ فتبعتَ مصيرك؟
لا شيء سوى اني استيقظتُ فوجدت الغابة
لا شيء سوى اني رأيتُ سربَ ملائكة في الفجر
ينحدرُ خلف الهضبة إلى الشباك المنصوبة.
لقد اصطدنا الكثيرَ منها
وهذا كل ما في الأمر
صدِّقني.

٢

ماذا جنيتَ من رهانِك أيها المقامر
واقفاً أمام المحيطات تُلقي بقواربك الورقية في الماء
منتظراً الوصولَ إلى قارة جديدة
تُقيمُ فيها امبراطوريةً
يُطردُ منها الشيطان
بالعصيّ والمكانس
فيهربُ من الجنة
تاركاً ضحاياه يمضغون ذكرياتهم؟

ماذا جنيتَ من جنونك أيها المجنون
ممسكاً بعصاك
متنقلاً من قرية إلى أخرى
ومن فصل إلى فصل
عابراً نيراناً تتقدُ في الليالي

مكتبة الفكر الجديد

مع متسولين يحملون على ظهورهم
أكياساً مليئة بالثعابين؟

ماذا جنيتَ من عصيانك أيها العاصي
رافضاً أن تأكل من لحم الأضحية
ساكباً النبيذ المقدس
في احتفالِ الآلهة
رامياً اللآلىء تحت الأقدام
حافراً بيدك المرتعشة
مسمارك المسموم في قلبك؟
ماذا جنيتَ من ضياعك أيها الشاعر؟

٣

في المرآةِ المحطمةِ وجهٌ يتطلع خلسة
الى زمن لم يوجد أبدا
أقواسُه معلقةٌ في الهواء بينما الروحُ الصارخة في البرية
تتجولُ باكيةً وقد ارتدت ثوبَ حدادها الوحيد
تمسكُ يدي وتضغطُ عليها بأسنان الفامبير.
لا تلتفتْ أبداً إلى الوراء
لا تلتفتْ إلى السنونوةِ المتروكةِ على الشجرة!
السماءُ المتفحمةُ تقتربُ من وجوهنا
مثل حلم مقيم في الرأس
أنتزعه بسكين الصياد

مكتبة
الفكر
الجديد

وأقدمه طعماً لعاهرات حنونات
يتجولن مساءً في شوارعَ نصفِ مظلمة
يتبعهن أطفال يرتدون ملابس القراصنة.
في كل زاوية مرآة
مرة رأيتُ قتلة يقفون عند رؤوس الأزقة
يتنكبون بنادقهم، مُحتسين الشاي
ثم جاء عمالُ التراحيل أخيراً من مغاورهم
كانوا يتعقبون حافلة مزدحمة باللصوص.
ليس هذا هو المكان الصحيح لعد الأخطاء
هناك تحت الشجرة يمكن أن نجلس ونتفاوض حول مستقبل العالم.
هل رأيتَ مرة طائرة تقصف مظاهرة؟
يمكنك أن تقول باطمئنان انني كنت هناك
عندما أمطرت السماء قنابل
رأيت الطيارَ يحدقُ فينا من وراء نافذته
شتمته، لكنه لم يأبه بي
وجهه ظل عالقا بمرآتي التي رميتُها تحت الأرجل
فمرت عليها الجموع
تلتقطُ جثثاً من دبابات محترقة
مزينةٍ بالأعلام والصور.
في الذاكرة أبدأ بورتريت لشيطان مشاكس
يُخرجُ لسانه، ساخراً مني
جالساً فوق مكتبه الأنيق
تحت الأضواءِ الكاشفة.

مكتبة الفكر الجديد

أيةُ أسواقٍ مررتَ بها؟ كم امرأةً ملفوفةً بعباءتها السوداء التقيتَها،
عابرة القيصرية القديمة إلى بيتها، يتبعها حمّال كردي صغير ملأ
زنبيله بالرمان والبرتقال؟ كم مرةً صعدتَ القلعة؟ كم مرة هبطتَ
القلعة في الطريق إلى السينما لتشاهدَ فيلماً عن طرزان بين قرود
الغابة؟ كم مرةً قصدتَ المقهى لتلتقي أصدقاءَ يجلسون في
المساءات ويحتسون الشاي، متحدثين عن أم غوركي أو سمكةِ
همنغواي؟ كم مرةً قطعتَ نهر خاصة صو، قافزاً فوق الحصى
لتبلغَ وكرا في الطرف الآخر من المدينة، متجنّباً الجواسيس على
دراجاتهم الهوائية؟ كم مرةً مشطتَ شعرك ودهنته؟ كم مرةً فرقتَه،
أملاً أن تراك الفتاة التركمانية التي تُحب؟
أيةُ مدن تركتَها وراءك؟ أيةُ قرى؟
كم صديقاً رحلَ دون أن تودعه؟
كم حرباً نشبت دون أن تُقتلَ فيها؟
كم سجناً دخلتَ؟
كم قصيدةً كتبتَ؟
كم مرةً سرتَ في شارع الرشيد
فوجدتَ نفسك في قرية على الحدود الألمانية؟
والمحكمةُ التي اقتادوك اليها في البصرة
كيف تحولت إلى مقهى في لايبزغ؟
والجلادُ البدين في سجن الحلة
لماذا كان يفتلُ شاربه الكث، حاملاً حباله على كتفيه؟
والمهرجون لماذا قادوا سعادينهم

مكتبة
الفكر
الجديد

من القصبات إلى الثكنات الحجرية؟
والدفانون كيف وضعوا توابيتَهم
على عربات تجرها الحمير
وانحدروا من التلة اليتيمة
الى الينبوع
ليغسلوا أيديَهم من الدم والغبار قبل الرحيل ثانية؟

٥

كل هوى إشارة إلى النار / كل نار إشارة
الى الرماد / كل رماد إشارة
الى الحجارة التي يُبنى بها المستقبل/ كل مستقبل إشارة
الى ما ينهض الآن/ كل ما ينهض الآن إشارة
الى الصيحة التي لا تُسمع / كل صيحة لا تُسمع إشارة
الى الصيحة التي كنتَ قد أطلقتَها من قبل.

ما لقيصرَ سيكونُ لك وحدك
والجبلُ سيأتيك طائعاً لتكلمه
آه، لا تقلْ له كل شيء
إذ ينبغي أن تكون لك أسرارُك أيضا
بلّغه انك انتظرتَ طويلا
ولسوف يفهم.

هذا الكوكبُ هو محطتك الأولى
في الطريقِ إلى بيتك.

مكتبة الفكر الجديد

في نهاية كل الرحلات

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

حرب قديمة

وراء سياج العصور
تنزفُ التلة الأخيرة ـ
صرخة بومة
أزمنة منطفئة
ثم نجمة
وفي الأسفلِ
فيما تنحدر العربة المحترقة إلى الوادي
براكبيها المرتجفين
يحلق النسر فوق الحقول وحيداً
أخيراً
يعود الوثنيون عبر ممر في الغابة
الى قواربهم
تاركين صرخاتِهم
فوق الصخور.

١٩٨١

مكتبة الفكر الجديد

قافلة

أعرابٌ في صحراء
يحملون على أكتافهم أكياساً
ويسيرون واحداً خلف الآخر
منحنين إلى الأمام
مثل جيش مدحور.

أعرابٌ في صحراء
يسيرون صامتين
فيما الريحُ تهب بين فينة وأخرى
وتمسح آثارهم.

١٩٨٠

مكتبة
الفكر
الجديد

سوء تفاهم

وقف الشاعرُ على المنصة وقدم نفسه لنا:
«قصائدي طيور».
حلقتِ الطيورُ فوق رؤوسنا، مزقزقةً:
«نحن قصائد».
وهكذا يمكنُ القول انني كتبتُ أمس طائراً متبلاً
في مقهى
والتهمتُ قبل ذلك قصيدة
في مطعم للشعر.

١٩٨١

مكتبة الفكر الجديد

الله والشيطان

في الفصل الأول نتحدث
عن شيطان يعصى الله
في الفصل الثاني
عن اللهِ يطردُ إبليس من الجنة
في الفصل الثالث
عن حيرةِ آدم
في الفصل الرابع
عن الطوفان.

وأخيراً يأتي بطلّ ما
يصطادُ الشيطان
فيسودُ الله الطيب العالم كله.

ترى عما يمكن أن نتحدث
في الفصل الخامس

مكتبة
الفكر
الجديد

في الفصل السادس

في الفصل السابع

في الفصل الثامن

والخ؟

١٩٨٠

مكتبة الفكر الجديد

أسئلة

رجلٌ ما دخلَ في المرآة وراح يحدق بي غاضباً.
ـ أي جرم ارتكبته؟

صرخةٌ ما سمعتُها
قادمةً من كل الأزمان.
ـ من أطلقها؟

أعمى يعزفُ على قيثارة
في حديقة مهجورة.
ـ من استمع اليه؟

طفلٌ ما وقفَ على الساحل
أهدى البحرَ أسئلتي.
ـ ماذا أفعل بالأجوبة؟

١٩٨١

مكتبة الفكر الجديد

حيرة

يد مرمية على المنضدة
في الرأسِ رماد.
ـ ماذا أفعلُ بيدي؟
ماذا أفعلُ بالرماد؟

طفل ينهضُ من نومه.
ـ من أيقظني؟
ـ الشيخوخةُ يا بُني.

حلم يسقطُ على الأرض وينزف.
ـ هل يؤلمك جرحُك؟

ثمة من ينتظر
ثمة من ينتظر أحداً.
ـ هل يأتي؟

شاعر يقفُ على حافةِ صخرة

مكتبة الفكر الجديد

ويصرخ.
- هل تسمعُ صمته؟

في مهب الرياح أُقيم مملكتي.

١٩٧٩

مكتبة
الفكر
الجديد

جندي يتكىء على شجرة

هادئةً تقف الشجرة
خضراء ووارفة في الربيع
عميقاً تمد جذورها في التراب الندي
فيما يحلق عالياً عصفوران صغيران
يمرحان
كصرخة مضطربة
يطلقها جندي
يتكىءُ على الشجرة
قبل أن يغفو
مُسنداً كفه على جرحٍ في صدره
ينزفُ فوق العشب.

١٩٨١

مكتبة الفكر الجديد

الغرفة

رجل ما فتحَ الباب
دخلَ الغرفة، حاملاً زهوره:
هذا الظلام دائماً!
أشعلَ المصباح.
لا أحدَ هنا، لا أحدَ ينتظرني!
وضعَ الزهور على المائدة
دخن سيجارة
حدقَ في كتبه التي لم يقرأها بعد
ثم أطفأ المصباح
وخرج
دار المفتاحُ في القفل ثانيةً.

٨٠

مكتبة الفكر الجديد

رحلة المنفيين

من سماء بعيدة في الصباح
إنحدروا إلى ساحل مُقفر
في صفوف طويلة
ووقفوا أمام نيرانٍ مشتعلة داخل حفر قديمة
ممجدين آلهة غريبة بصلوات مبهمة
وأيد مرفوعة
تُمسكُ طيوراً ميتة.
أرواح هائمة تعوي
مثل كلاب في مدينة أصابها الطاعون
وصقر بأجنحة هائلة مفتوحة
يحلقُ فوق أجساد بلا رؤوس.
ـ أهذه هي النهاية؟ سألتُ
أم أنها البداية؟
في ذلك الصباح، في ذلك الصباح القارس
عبروا ممراً بعد آخر
داخلين صحراءَ فتحت أبوابَها لهم
واختفوا.

مكتبة
الفكر
الجديد

أسلاك شائكة. أحجار وعصافير
بدويون. أنبياء. سحرة وجلادون
وثمة من يبكي تحت شجرة.
ـ هذا الصباحُ ليس صباحي
هذا الطفلُ ليس إبني!

فوق الواحات ترفُّ طيور عمياء
ومن السماءِ تهبطُ ملائكة محتضرة.

بعيداً، بعيداً نوغلُ
بكلمات محطمة فوق أفواه الموتى
بعيداً نُجذِّفُ
بأيدي الأحياء الممدودة
بعيداً نمضي في طرقات هذا الكوكب.

مدن كثيرة غزوناها
مدن فارغة ومعتمة
عظام مجوفة في رمال مغنية
وقمر أسودُ ينفتح
مثل زهرة وحيدة.
في ذلك المنفى
رائياً الإشارة الأخيرة فوق الجبل
حيث نبي قديم يكلم الله

مكتبة
الفكر
الجديد

والنار تشتعل تحت قدميه
حملتُ وحدتي على كتفي
في صرة مليئة بالذنوب
وصعدتُ.

في واحة ما
حط الأعرابُ رحالهم
شربوا من خمرة معتقة
وناموا
ثم استيقظوا في الفجر الأول
منصتين إلى الرياحِ الأربع
تعصفُ في الأبدية
نهضوا مسرعين
نخزوا جمالهم الباركة
وساروا.

١٩٨٢

مكتبة الفكر الجديد

موعظة الكومبيوتر[1]

كلب أفطس الأنف مع سجقة. كلب يلتهم قصائد، طبقا لمعادلات Carl Reinhardt ماذا يمكن أن أطلب أكثر من ذلك؟ قصائد قصائد قصائد بالجملة لشعراء جفت قرائحهم من كثرة الإستلقاء تحت الشمس الإستوائية. تعال يا بودلير وتعلّم صناعة الدهشة حيث اللقلق في الهواء يبتلع السمكة والكومبيوتر يقرفص أمامي وينظم قصائده الحزينة! قاموس من قصائد على الشاشة. تكوينات عاطفية وتدرجات لونية. طوال حياتي تعلمت بناء الجمل حتى جاء هذا الكومبيوتر هاربا من شركة IBM وراح يقرض الشعر بدلاً عني. تخاصمنا. حسد المهنة: قلت له: أنت لا تعرف كتابة الشعر. ضحك وقال منتفخ الأوداج. صدقني انني أعظم شاعر في العالم، ولكن لماذا الغيرة؟ سوف أكتب قصائد عجائبية لك. ضع إسمك فقط تحتها أو فوقها ثم انشرها! ماذا تريد أكثر من ذلك؟ ثم راح يغني قصيدة جديدة:

فيما العتمة تلعب

---

(١) هذه القصيدة تحمل الرقم ٣٠٣ بين القصائد الاوتوماتيكية التي قام الكومبيوتر بتأليفها ضمن برنامج أعده كارل راينهارت.

مكتبة الفكر الجديد

يستحيل المساء حجراً
الذهب والجمال يشعان أحيانا
أرقص وأفكر
غالباً ما يثيرني العشب
الناقوس يكبر فظاً وذهبياً
هناك في الأسفل طرق غامضة وسعاة
من يَهِبُ النبتة قبلة؟
الشاعر.
أحلام وأسماك
نحيفة وحنون
زرقاء تبدو غزالة الحلم
ايقاع سحري يعزف.
سوف يمطر الصمت غداً.

أفكر أن أعرض هذه القصيدة على النابغة الذبياني. التراث هو الأهم لأنه يربطك بجذورك المنسية مذ كنتَ قردا فوق الشجرة. لستُ قردا، أنا شجرة تختبىء في جذعها بومة عمياء. إبحثْ عن أجدادك! التراث يدلك عليهم. إبحثْ عنهم من حاتم الطائي الذي كان ينحر بعرانه للضيوف وحتى عمك الخليفة هارون الرشيد وهو يحلم بزبيدة، سائرة إلى الغدير! أطردوا أبا نؤاس من البلاط! قليل الأدب، فارسي مجوسي كان يتغزل بالغلمان العرب الأفاضل. ليس كل الفرس لواطيين. أنا أفضل عمر الخيام. شاعر من نيسابور كان مغرما بالفتيات القيان ودم الكرم. هل قرأت رباعيته الأخيرة؟

مكتبة الفكر الجديد

كويند مركه دوزخي باشد مست
قولي است خلاف ودل بر ان نتوان بست
كر عاشق ونيخواره بدوزخ باشد
فر دا بيني بهشت جون كف دست(*)

ليس كل المجوس أشرارا. ثلاثة من ملوكهم تبعوا نجمة قادتهم إلى مغارة في بيت لحم، حيث قدموا هداياهم لطفل مريم التي هزت جذع النخلة فتساقط رطباً جنيا. قبل أجيال التقى جيشانا في القادسية فأذقناهم عذاباً أليما. جرني سعد بن أبي وقاص من يدي وقال لي: أريدك أن تقود جناح الميسرة، غير انني حملت على رستم من جناح الميمنة، ممتطياً حصاني الأبلق ففزع وهو على فيله الذي عصب عينيه بخرقة من القماش وفر إلى المؤخرة. لحقت به وجندلته أرضاً ثم جررته من رجليه حتى سجن أبي غريب في بغداد فظل أسيراً طيلة ١٤ قرناً. في القادسية الثانية استبدلناه بمدير فرع مصرف الرافدين العراقي في عربستان. كان المسكين قد أُسر وهو يوقع صكوكاً غير مغطاة للتاريخ. ثم جاء حافظ الشيرازي وقرأ قصائده في نادي اتحاد الأدباء في العلوية:

(*) قيل لي ملعون هو السكران
هذه ليست كلمة صائبة يعول عليها
فلو ان العشاق وشاربي الخمر كانوا في الجحيم
لرأيت الفردوس غدا خاليا مثل راحة الكف.

مكتبة الفكر الجديد

كفتم كه لبت كفت لبم آب حيات
كفتم دهنت كفت زهى حب نبات
كفتم سخن تو كفت حافظ كفتا
شادي همه لطيفه كويان صلوات(*)

شكرا لله يا حافظ، خُدارا شُكر! فنحن لا نزال أصدقاء رغم كل شيء. دعهم يقتلوا بعضهم! الجنرالات إلى الكلاب والقادة إلى الجحيم! ليكنْ شعارنا الآن وفي كل الأوقات: يا شعراء العالم اتحدوا! لقد أصبحنا أقوياء في النهاية. سوف نترك الكومبيوترات تشتم أعداءنا. أما نحن فسوف نتكىء على الوسائد في ايواننا، ضاحكين على الحكماء الكذبة والقادة البلهاء ونروي قصص الماضين.

١٩٩١

---

*) قلت: ما شفتك؟ قال: شفتي ماء الحياة
قلت: ما ثغرك؟ قال: آه، كما روح النبات
قلت: ما قولك؟ قال: حافظ قال
هو بهجة كل روح هانئة وصلاة.

مكتبة الفكر الجديد

الضفدعة

في مستشفى السجن قدم لي الطبيب جرعة من عقار البروليكسين فنمت لي ساقان مثل ساقي الضفدع. تُركتُ وحيدا في سريري وامتلأ جسدي بالقروح. كانت الممرضات يمرن بي ويغطين أنوفهن بالمناديل، رافضات أن يضمدن جراحي. من مكاني كنت أراهم يحقنون الضفادع بسم الأنيستين الذي يستخرج من سم الكورير الذي يدهن به الهنود الحمر حرابهم. رجال يختنقون في كل مرة فأسمع نقيقهم، قادماً من المستنقعات البعيدة. رجال يعترفون بجرائمهم في شاشة تقدم لنا عروضاً حية كل مساء قبل النوم. هناك كان البكاء وصرير الأسنان. جراحة أعصاب وقفازات ملوثة بالدم. ليحفظِ الله الموتى! قالت الضفدعة وهي تنط بين الأشجار، عائدة إلى غرفة التعذيب.

١٩٩٢

مكتبة الفكر الجديد

التفاحة

أذكر أني كنت مضطجعاً في حديقة عندما رأيت حواء وقد انسدل شعرها الأسود الطويل على كتفيها، ملتمعاً في الشمس الساقطة فوق جسدها العاري، تنهض وتتجه إلى الشجرة المحرمة. إلتفتت إلى الوراء وابتسمت لي مشجعة. كنت أفكر في جسدها اللدن يهتز أمامي. إنتابتني الرغبة في أن أقذف بها فوق العشب ثانية، غير آبه بالملائكة المتطفلة علينا من وراء الأشجار، مأخوذة بمنظر تلك المضاجعات اليومية في الجنة، حتى ان بعضها راح يلتقط صورنا خِفية ويعلقها على جدران بيته، محدقاً بها في غدوه ورواحه. ظللتُ مضطجعا في مكاني. عادت حواء وفي يدها تفاحة. قلتُ لها: «كوني عاقلة يا امرأة ولا تأكلي منها. هناك جواسيس يراقبوننا وسوف ينقلون الخبر إلى الله بالتأكيد.» هزت رأسها باستخفاف، قاضمة التفاحة: «هؤلاء العاطلون عن العمل، دعهم يموتوا بغيظهم!» أخذت منها التفاحة وقضمتها، أنا الآخر يائساً. في تلك اللحظة، في تلك اللحظة بالذات غادرتُ العدم وشهدتُ الإنفجار الأول. ألعاب نارية وبروق وعواصف. رعود وشهب في السماء. لا فردوس ولا ملائكة. ممسكاً بيد حواء صرختُ. والآن إلى أين أيها الله؟ لم أسمع جواباً. كان طعم التفاحة لا يزال في فمي. ومثلما يحدثُ في الأحلام هوينا في فضاء لا قعر له نحو كوكب ما، كوكب بعيد جدا. وكنت سعيدا.

١٩٩٢

مكتبة الفكر الجديد

بعيداً إلى حيثما كان

ما من يد تتكىء على السياج، ذاك الذي خربه الجنود، قادمين من القرى والمدن البعيدة في طريقهم إلى ثكناتهم الحجرية، إذ ينفخُ في البوق عبد يقف أمام ستارة قلعة والصقر ينشر جناحيه، مندفعاً في الهواء نحو قلبي الذي تركتُه في البراري تلعق من دمائه الوحوش، خارجةً من أوجارها.

هنا بين مدن معلقة في الذاكرة تُضيءُ كقناديل في الليل، بين طرق ترابية في الظهيرة، تسلكُها قوافل من جمال متعبة، قاصدة مغارة خبأ فيها اللصوص كنوزهم أسيرُ ووراء كتفي الريحُ، عارفاً أن رجلاً ما سيُلاقيني في بداية الرحلة أو في نهايتها لأكون ضيفه الذي يقتله ذات ليلة ويهرب، تاركاً آثار قدميه في الرمل.

كل هذه الممالك كيف أدخلُها؟ كل هذه الأيدي الممدودة كيف أرفضُها؟ كل هذه الحروب كيف أخسرُها؟ كل هذه الأعراف كيف أخرقُها؟

آه، لا شيءَ سوى هذه الذراع التي لا تصل، هذه الذراع المقطوعة المرمية خلف سياج تتكومُ تحته الأعشاب الجافة في الشمس، لا شيءَ سوى عينين ترقبان جنوداً يحملون بنادق بحراب ويطعنون الأشجار

مكتبة الفكر الجديد

وفي منحدر تقطنه الطيور والثعالب أرى رواد فضاء يهبطون من مجراتهم ويتركون هداياهم على قارعةِ الطريق.

هنا من وراء سياجنا المحيط بالجنة أراقب ملاكاً يعجن ضجراً بديه المخشوشنتين طينة آدم، تاركاً اياها تجف في الشمس. أغافله، أنفخُ في تمثاله الروح فينهض ويعانقني: «أنت ابني الذي انتظرتُ!» هاربين عبر الجبال نترك الملائكة في وحدتها تصنع تماثيل أخرى.

ما من نجمة هادية في هذا الليل. كلما انتظرنا طال غيابنا. القمر في المحاق والذئب في المغارة. طحالب سامة فوق الروح وحوذي يسوطُ حصانه في الصباح. في السهل جنادب تتقافز وشياطين من بلاستيك، مرصعة بالياقوت واليشب تتنزه في الحدائق العامة. هناك أخيراً من الكهوف الأولى تخرجُ أسراب القردة فننضمُّ اليها وننحدرُ فرحين نحو النبع.

بعيداً إلى حيثما كان
يأخذني حصاني
ففي النهاية دائما
فندقٌ رخيصٌ ينتظرنا
وإسطبلٌ ممتلىء بالقش.

١٩٩١

مكتبة الفكر الجديد

مرثية الأحياء

العراق ١٧ كانون الثاني ١٩٩١
عندما رأيت موكب الجنود عن كثب
شعرت بالالم
باي بلادة كانوا يسيرون.
ايشيكاوه تاكوبوك «شاعر ياباني ١٩١٢ ـ ١٨٨٥»

١

عندما يكتمل القمر
يخرج القتلة إلى الشوارع
حاملين مطاويهم في أيديهم
منتظرين الفتيات
في رؤوس الأزقة.

عندما يكتمل القمر
ينهض Dracula من قبره
يشحذُ أسنانه بالمبرد
ثم يحلق بعباءته السوداء خارجاً إلى الصيد.

مكتبة الفكر الجديد

عندما يكتمل القمر
يغلق الجلادون الأبواب
ويطلقون ذئابهم على المدينة.

هذه ساعة الوحوش تخرج من مغاورها
هذه ساعة آدم تركله الملائكة على قفاه
طاردة اياه من الفردوس
هذه ساعة قابيل يطعنُ هابيل بالسكين
هذه ساعة نوحٍ وقد جاءه الطوفان
هذه ساعة محمدٍ مختفيا في الغار يحدث صاحبه خائفاً
هذه ساعة الحلاج مصلوباً على شجرته في الكرخ
هذه ساعة هولاكو يعبرُ دجلةً من دم
ممتطياً حصانَه الأبيض
هذه ساعة القتلة
هذه ساعة المقتولين.

موجة من طائرات تعقب أخرى. عيون تبرقُ في الظلام ومدافع ترعدُ فوق الأبراج. طيور ملتهبة تضربُ الفضاء بأجنحتها قبل أن تحترق فوق المدينة. موت في السماء وموت في الأرض. موت في الحقول وموت في الصحارى. موت في الجسد وموت في الروح. موت في الماضي وموت في المستقبل. موت في الحياة وموت في الموت.

عندما يكتمل القمر

مكتبة الفكر الجديد

أرى صاروخاً أبيض يحلق عالياً
ممهوراً بإهداء جندي من بوسطن
وقع رسالته بالدم.

To Mr. Hammurabi in Babylon,

with love!

عندما يكتمل القمر
يخرجُ الأعداء من التاريخ كله
ليقيموا قُدّاسهم الوثني.

٢

إنفجري انفجري أيتها القنابل، أنتِ يا حاملة أسماء حبيبات الجنود القادمين من قارة منتهكة! انفجري انفجري فوق شارع الرشيد! امسحي ذكرياتنا، انشطري فوق مقهى الزهاوي، فوق مقهى حسن عجمي، فوق مقهى البرازيلية، فوق مقهى سَمَر! انفجري انفجري على شاطىء أبي نواس، فوق نهر دجلة الذي غادرته أسماكه!

دم على الإسفلت. دم على وجه المتنبي يُلقي قصائده في ساحة التحرير. دم على جبين المعري الأعمى، متنقلاً بين الرصافة والكرخ داخل الأزقة، شاقاً طريقه بعصاه بين الأنقاض. دم فوق عربة آشور بانيبال الذهبية، فوق وجه كلكامش، باحثاً عن الخلود، دم فوق عقال معروف الرصافي، فوق طاقية الجواهري. دم فوق نصب جواد سليم الذي أفلتت خيوله، هاربة إلى الحياة. دم فوق عبدالقادر الكيلاني في مسجده، فوق الجندي المجهول الذي لم يَعُد مجهولاً، فوق شعر الفتيات اللواتي أحببناهن واللواتي كان يمكن أن نحبهن غداً.

مكتبة الفكر الجديد

أنت يا قنابل هادرة في السماء، يا رسولة الموت، أيتها الهدايا المسمومة، ماذا أفعل بك؟ ماذا أفعل بك هنا، وعندي كل هذا الموت؟ لذلك سأعيدكِ مرة أخرى إلى أميركا الآمنة، من دون كراهية أو حقد، سأعيدك إلى الجميع، مع الحب، سأعيدك إلى والت ويتمان، إلى روبرت فروست، إلى وليم فوكنر، إلى وليم كارلوس وليامز، إلى هنري ميلر، إلى أناييس نين، إلى ألين كينزبيرغ، إلى ريموند تشاندلر، إلى الزنوج في هارلم، إلى رجال مكتب التحقيقات الفدرالي، إلى القتلة المتقاعدين العائدين من حرب فيتنام، إلى الجواسيس الشاطرين الذين يملكون رادارات تجوس السماء، إلى مارلين مونرو التي نفتقدها في ليالي وحدتنا، إلى ألفيس بريسلي الذي علم موتانا رقصة الروك أند رول، إلى همينغواي الذي لن يكتب قط عن هذه الحرب، إلى العبيد داخل أقفاصهم تنقلهم السفن القادمة من إفريقيا إلى مزارع القهوة في الجنوب، إلى كريستوف كولومبوس الذي كان عليه أن يكتشف أميركا. سأعيدك إلى تمثال حريتك.

أنت يا قنابل تشبه طيورا مقتولة سأعيدك إلى كل مدينة وشارع وبيت في أميركا. سأعيدك إلى الأطفال في رياضهم، إلى المشردين في الطرقات، إلى المدراء في مكاتبهم الأنيقة، إلى العاهرات الصغيرات في الفنادق التي تؤجر غرفها بالساعات، إلى جبل الماريوانا في سان فرانسيسكو، إلى مبنى الأمم المتحدة في نيويورك، إلى حكماء طريقة الحياة الأميركية، إلى محققي الجرائم في شيكاغو، إلى قطاع الطرق في الأريزونا، إلى رعاة البقر المضحكين، إلى جميع الذين نحبهم والذين لا نحبهم.

أميركا هذه قنابلك أعيدها اليك داخل طرود مغلفة بورق الهدايا

مكتبة الفكر الجديد

وفوقها إمضائي. أعيد اليك أكف أطفال عراقيين، جثث جنود مدفونين في الرمل، عيونا سوداء لفتيات عائدات من نزهة. أميركا خذي قنابلك وافعلي ما تشائين بصواريخك الألكترونية! اصطادي بها الحيتان أو فجريها في مؤخرتك، إذا شئتِ، أمام كاميراتك التلفزيونية، حيث تجلس الرأسمالية داخل عربتها القديمة، محيية الجماهير المصطفة على الأرصفة، في طريقها إلى الجحيم!

٣

من نافذتي هنا أطل على حياتي الماضية، أرى جنوداً موتى يجلسون في الفردوس، طبقا للبيانات العسكرية الصادرة من الآخرة، تحت أشجار التين والزيتون على ضفاف أنهار من عسل وجداول من لبن، يعانقون، هم الذين لم يتذوقوا امرأة في حياتهم من قبل، حوريات شقراوات لا يرتدين حتى البكيني، يتمددن على العشب في الجنة.

أيها الموت تعال وخذنا على محفة
صاعدا بنا إلى الأبدية!

عالم يبصق دما. لا تاريخ سوى تاريخ القتلة. مقاتلات نفاثة تحلق فوق مستشفى. صواريخ تمرق فوق رؤوس رعاة يقودون قطعانهم إلى نبع مسموم.

في هذه الليلة وكل ليلة أسمع عويل أطفال العراق تحت الأنقاض. أسمع أمي تندب أبناءها الذاهبين إلى الحرب. أسمع يأس الذين لا صوت لهم وكبرياء القتلى. أسمع عراقا يولد من كل قطرة دم.

طائرات مقبلة من بعيد يقودها أعراب دكتاتوريون يضعون على أكتافهم النجوم، يخترقون الغيوم، مروعين الطيور في سمائها، حيث

مكتبة الفكر الجديد

سط الوديان تحتهم، مكبوتة بقوافل أسرى تقرع طبولا، منطلقة من صحراء إلى أخرى. وعلى الأبراج تلتمع رؤوس المدافع، بازغة مثل عيون في كهف. مدن تحترق. مدن لا عظام لها كأفعى مطمورة في الطين. مقاتلات تتبادل القبل فوق دجلة، تقصف جسوره الواحد بعد الآخر. وعلى سطح شقتي في أبي نواس أقف وأحدق في بغداد ترتج تحت قدمي، مبتلعة دمارها.

أقف في كركوك، رائيا الطائرات تعود من المعركة والدخان يتصاعد من البيوت المحروقة. أبحث عن أطفال بلا أذرع، عن نهر خاصة صو، عن حديقة العلمين، عن مقهى المجيدية، يلعب فيه الموت الدومينو مع مختاري المحلات النائية، عن القلعة المقتولة. أبحث عن أمي، سائرة فوق الخرائب، يداها مخضبتان بدم أبنائها.

شوارع خالية. لا شيء سوى الأشباح. لا شيء سوى وحش يتجول بابابته تحت المطر.

وفي بابا كركر أرى جثث عمال داخل حقول النار الأزلية.

ا

في هذه الليلة
فيما الدم يغسل وجهي
أجلس في منفاي وأحدق صامتا في السماء الكابية
تخترقها طائرات قادمة من يوم القيامة
في بغداد التي ملأوا فمها بالزقوم
في البيوت المحترقة
في الشوارع تجوسها ميناتورات تعوي أبدا

مكتبة الفكر الجديد

في الجموع هاربة من الجحيم إلى الجحيم
في عنكبوت تبرق عيونه في العتمة
منتظرا فريسته
في آنسة الحرية، هاربة من فوق دكتها في نيويورك
تنزع ثيابها في ميدان مهجور
وتسلم جسدها للكلاب
في الجلادين ينحدرون من التاريخ كله
عابرين دجلة بزوارقهم
الى فجر يزحف مثل يتيم
في العدو يتنزه في حديقة آشور بانيبال
داخل عربة ممتلئة بالجثث
يجرها رجال مضطربون
قاصدين الله، مصلوبا أمام بيوتهم.
في هذه الليلة
تخرج قطعان القتلة من مخابئها
في الريح المالحة
وتنهب المدن، واحدة بعد أخرى.

٥

هذا هو ليلك أيها العراق!
شتاء أسود، غيوم تعول في صحراء
وصراخ في بيوت الطين والآجر
لا أحد في الشوارع سوى شبح الحرب يسير متكأ على نفسه

مكتبة الفكر الجديد

لا سكارى يعودون في آخر الليل
ولا حانات تطفىء مصابيحها الأخيرة
لا شيء سوى ظلامك القديم
وطائرات تحلق قادمة من كل قارة
لترعب أطفالا ناموا لتوهم
سوى انهم لن يستيقظوا أبدا
لتقتل رجالا مكبلين في السجون
وأمهات يفكرن في أبنائهن الغائبين
يزرعون أشجارهم في المنفى.

٦

في هذه الليلة
أرى الموت يخرج للنزهة
وينثر نقوده
في الطرقات.

٧

هذا هو ليلك إذن يا بغداد!
كلاب تنبح في الشوارع
وأشجار تعول في الريح.
حارسك الأعمى
وضع الأغلال في عنقك
وقادك بسياطه
الى جلادين ينفثون النار في وجهك.

مكتبة
الفكر
الجديد

بغداد، لقد حكموا عليك بالموت
مثل لعنة أبدية
مثل حكم صادر لا يمكن نقضه
مثل طاعون
ينتقل من بيت إلى بيت
ومن شارع إلى شارع.

٨

هذا هو ليلك أيها العراق!
أمهات يقفن على مفارق الطرق القادمة
من الجبهة
منتظرات أبناءهن الذين لن يعودوا
منتظرات شبانا
لن يكبروا أبدا
إذ لا زمن سوى زمن موتهم
جنودا
تركوا في الصحارى
تنهش أجسادهم
الذئاب.

٩

في هذه الليلة
وكل ليلة
تترك الملائكة كراسيها

مكتبة الفكر الجديد

فوق الغيوم
وتهبط إلى الشوارع
بعد كل غارة
لتدون أسماء الأحياء
في تقريرها اليومي
الى الله.

١٠

أعراب
يقرفصون على الرمل
يتشممون رائحة الجثث من بعيد
ودكتاتوريون متآخون
يصافحون تماثيلهم
في الساحات.

١١

هذا المصلوب
سوف نحمله دائما
على أكتافنا.

١٢

في العراق القتيل
كل السلطة للضحايا!

١٩٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

فراشة في طريقها إلى النار

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

الحفلة الصاخبة

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

في الطريق إلى مكة

«إني لأخشى كثيرا أيها الاعرابي
انك لن تبلغ الكعبة
لان هذا الطريق الذي تسلكه
يؤدي إلى تركستان»
مصلح الدين سعدي «بستان الزهور»

من كل مكانٍ جاؤوا
طرقوا البابَ طويلاً، تركوا في دهليزِ الأيامِ حقائبَهم،
جلسوا في الشارعِ وانتظروا.

طرقاتٌ تلتفُّ على كُثبانٍ خاويةٍ
كأفاعٍ من إسفلت في العتمة
أسوارٌ يهدِمُها الأعرابُ ويغتصبونَ متاهاتٍ مهجورة
حكماءٌ بلحى ينحدرون صفوفاً من جبل في أسطورة
نهبوا كل كنوزي -
زمنٌ للنوم وآخرُ لليقظة
زمنٌ للحلمِ وآخرُ للنسيان.

مكتبة الفكر الجديد

آهٍ، يامن أسمعُ في كل حَصار صرختَه الدمويّة
فلتصرُخْ في وجهِ الفاتِحِ منتصراً!
ولكلِّ صرختُه أيّانَ يموءُ الحَمَلُ المأسورُ جريحاً
في فكّي الذئبِ الغاشم
إذ مكتوبٌ فوق جبينِ العابرِ أن يقطعَ هذا الدربَ،
وكلُّ كتاب يُقرأ ثانيةً وتراهُ العين.
آهٍ يا ضيفَ حياتي قُلْ لي:
كيفَ رميتَ بنفسك في معتركِ الأَهوالِ وحيدا
لتمرَّ أخيراً من خرمِ الإبرة؟
ولماذا سلكتَ مجاهلَ تمتدُّ إلى أقصى روحِكَ؟
كيفَ وهبتَ مغولَك خاتمَك السحري
فنسيتَ ضيوفَك، آتينَ سعيدينَ اليكَ بمركبةٍ طالعةٍ
من آخرِ شمسٍ في دربِ التبّانة؟

في مُنحدراتِ ضفافٍ من ياقوتِ الماضي
تصطفُّ جماهيرٌ تنفخُ في أبواقٍ
راقصةً في أعراسٍ تُعْقَدُ في فردوسٍ مفقود
فيما جاريةٌ في غابة
تحملُ لي فانوساً في الظلمة
لأرى نوحاً بين الأَشجارِ يُقيمُ جسوراً
من أَغصانٍ ذاويةٍ
أعرفُ أني سأسيرُ عليها يوماً في الطوفان.
أذكرُ أني، فيما أذكرُ، مغتبطاً كنتُ هناكَ

مكتبة الفكر الجديد

مع الشيطانِ أقودُ سفينتَه وسط الأمواجِ إلى ساحلِ أعوامي
مأخوذاً بنداءِ الحوريّاتِ، يُغنّينَ على الصخرةِ لي
إذ أقطعُ اوقيانوساتٍ من أحلامٍ
وأُعلّمُ مسرى رغباتي بالنار.

اوه، ما من أحدٍ في هذا الوادي الأجردِ،
يحملُ عني أثقالي!
مدنٌ من إسمنتٍ وقطاراتٌ تعوي أبداً
أصنامٌ من ملحٍ
تبصقُ في بئرِ حياتي.

اوه، يا ضيفَ طريقي السائرَ مثلي في المنفى
لا تُخفِ خرائطَك المسروقةَ من صندوقِ جدودي!
لا تكتمْ سرَّك عني!
قلْ لي ماذا نفعلُ حتى نبلغَ ثانيةً مكة!

كلُّ نداءٍ تُطْلِقُه يحفرُ أخدوداً في جسدِ العالم
كلُّ هتافٍ تصرخُه أسمعهُ في كهفي، مخفياً وشقيا
بين برابرةٍ أجلافٍ يصطادون ملائكةً هائمةً في الجنة
في زاوية من منفى تكمنُ، تنصبُ للتاريخِ فخاخاً
منتظراً آلهةً تخرجُ من غواصةِ أشباحٍ غارقةٍ
لتباركَ هذا الصاعدَ كالنسرِ إلى أعلى جبلٍ في قفقاسِ الأبدية

مكتبة الفكر الجديد

لكن شراكَكَ باليةٌ، وضحاياك الآنَ يلمّون الريحَ من الطرقات
بأيديهم
ليفضّ السيّدُ ميثاقَ خساراتِه في قُدّاسِ المنسيّين.

آثارٌ فوق حصى وخيولٌ مرت هابطةً
في صفحةِ مرآةٍ تبرقُ في منحدرٍ دون قرار
آثارُ ملوكٍ موتى خسروا فضّتَهم في لعبةِ نرد
عرباتٌ تأتي وتروح
عرباتٌ تأتي من كل مكان
تتبعُها قطعانُ ذئابٍ حتى الأبراج
فنطاردُها بعصيٍّ من ذهب زائف
ونعودُ لنوقدَ ليلاً نيرانَ الأسلافِ على الأسوار.

الدربُ هنا مهجورٌ كغروبٍ في مدنٍ محتلة
كيدٍ واثقةٍ تطعنُ بالسكينِ خيولَكِ أيتها الأزمنةُ المحكومةُ بالقتل
حيث يُشيرُ الأعمى الواقفُ فوق الضفةِ الأُخرى
في الليلِ بشمعتِه، محجوباً عنا بغيومكِ معتمةً
ليُنيرَ طريقَ قوافلِنا سائرةً في بيداءِ العالم.

مدنٌ تبرقُ في ذاكرتي، أدخلها الآن لأرفعَ فوق منائرِها أعلامي
فأرى موكبَ رهبانٍ في عيدٍ يتلون تراتيلَ مقدسةً لي
حيث غرابٌ يرمي حجراً من سجّيل
حيث ملاكٌ يُمسِكُني من كفّي ويقودُ خطاي إلى بئرٍ طافحةٍ

مكتبة الفكر الجديد

أغسلُ فيها آثامي وذنوبي.
مدنٌ تبزغُ في أحلامٍ، وغزاةٌ وثنيونَ يجرّون عبيداً أسرى
برؤوسِ كلابٍ تنبحُ فوق رصيفٍ مرجاني
يتلوى في العتمة
مدنٌ أُطفئُها في ذاكرتي واحدةً بعد الأُخرى
خفراءُ من نومٍ أطردُهم من بستاني
ولصوصٌ آشوريونَ أجرُ بغالهم التعبى صُعُداً حتى القِمّة
لأحررَ أول عبدٍ مغلولٍ في قفصٍ يتشبثُ بي
أُطلِقُه موعوداً لزمانٍ آتٍ، لزماني
وأواسي آخرَ مصلوبٍ في مملكتي
أحملُه في نزهاتي الليليةِ بين القارات
مطليّاً بدموعِ العالم
كالطفلِ على كتفي
حتى يستيقظَ من موتِه.

في آكامِ الأَمواتِ حملتُ على كتفي كلكامشَ سكراناً
ونهبتُ من الأفعى عشبتَها المسمومة
فافترستني اللعنة.
نمرٌ كشّرَ عن أنيابِه في وجهي
نمرٌ مختبئٌ يربضُ منذ عصورٍ بين الأَغصان.

خالطتُ شعوباً صاخبةً في حانة
نادلُها مرّ عليّ وفي يدِهِ فأسٌ

مكتبة الفكر الجديد

شقّ بها أنفاقاً ومسالكَ في جسدي
للغيمةِ مُرعدةً فوق سفوحي.

هذا الصوتُ الصارخُ في البرّية
أَصرخُه ثانيةً
كصدى مبذولٍ لحياةٍ أُخرى.
ثمة ناقوسٌ في معبدِ أشجارٍ باكيةٍ أسمعُه آنَ وصولي
يقرعُ لي.

أفتحُ للساحرِ سراً ضِلفةَ بابي
فأرى ظلي يغسلُ أطرافَه في جدولِ ماءٍ
ظلٌ حياتي البارد.

آهٍ يا ضيفَ طريقي الضاربَ في ليلِ الصحراء
ما أبعدَ مكةَ عنا!
آهٍ ياصاحبَ ركبي
كيف بلغتُ روابيَ تركستانَ وكان مُرادي الكعبة!

من كلِّ مكان جاؤوا
فوق جمالٍ مُنهكةٍ
وقفوا في البابِ قليلاً
تركوا للريحِ هداياهم في أكياسٍ مُغلقةٍ
وانصرفوا.

مكتبة
الفكر
الجديد

على ظهر سفينة اسمها الحياة

في السفينةِ التي ستقودُها الصدفةُ إلى حيث لا ينتظرها أَحد،
كبحارٍ يملكُ خرائطَ سريةً لأنأى الطرقِ في مجاهلَ يعرفها كراحةِ كفه
صعدنا إلى السطحِ لنسددَ للزمانِ ديونَه المتأخرة
عن كل ما سجله البقالُ علينا في دفاترِه العتيقة
فاذا بنا وسط حفلةٍ صاخبة
راقصون وراقصات في الحلبة
روبوتات بمرايلَ من حرير وقلوب خافقة
تجيءُ وتروحُ، خادمةُ الضيوف
كافيارٌ متبّل بالكوكائين ومقانقُ من موائدِ الملائكة
أكلتُ منها حتى التخمة
مع ضيوف غرباء لا أعرفُ أحداً منهم
جلسوا على مقاعد سفرية عند الغروب
ورموا بصناراتهم في الماء
منتظراً حظيِ السعيدَ، وكلٌ ينتظرُ حظه
اصطدتُ أميرةً غريقة
انتفضت، كسمكةٍ في يدِ الصياد

مكتبة الفكر الجديد

قبل أن تستسلمَ لي، باكيةً من الحنينِ إلى البحر
فحملتُها معي إلى غرفةٍ يحرسها
تمثالٌ يمد يده اليمنى إلى كل من يمرُّ به ليفحصَه
صافحناه كأصدقاء في محنة
قبل أن ننسل إلى ممر طويل يصخبُ بالموسيقى
آملين العودة من حيث جئنا:
ـ لا مخرج.
كنا نقفُ وحيدَين في الظلامِ. الفخُّ ثانيةً.
ثم إذ رأيتُ على الجدارِ خارطةً للكرة الأرضية أشرتُ اليها بإصبعي:
ـ ها هنا أقيم.
لا أعتقدُ أنها فهمت ما قلتُه لها،
لأنها ابتسمت لي بمرارة وأشارت إلى قلبِها.

مكتبة الفكر الجديد

فيلم في محطة قطار

في محطةِ قطارٍ في الشتاء، عائداً من سفرةٍ طويلة
وجدتُ نفسي جالساً في صالةِ سينما للعابرين
أشاهدُ فيلماً لا أعرف قصته
كان قد بدأ قبل وصولي
فيلمٌ لا ينتهي أبداً
لا يهم من أين تراه
لأن كل فصولِه تتكرر
كما الحياة ذاتها.

أبطالٌ يضعون أقنعةً لصوصٍ فوق وجوههم
جيوشٌ تزحفُ في الجليدِ لتصلَ إلى مدينة ما
ومهرجون يسيرون أمام عرباتٍ تجرها خيولٌ منهكة
رجالٌ بأجنحةٍ من شمعٍ يسبحون في الفضاء
حشراتٌ تشق طرقَها الغريبةَ إلى الكواكب
تحت شموس محرقة

مكتبة الفكر الجديد

ثمة من يعثرُ على لؤلؤةٍ ويفقدُها ثانيةً
ونحن ننزفُ على الشراشف
فوق أَسرةِ مسافرين في فندقٍ رخيصٍ لليلةٍ واحدة.

متفرجون موتى ومتفرجون أَحياء
ثمة من يدخلُ. ثمة من يخرجُ
القاعةُ مظلمةٌ دائماً
وفيلمُنا مستمرّ بلا نهاية.

مكتبة
الفكر
الجديد

الحفلة

لم يكن أحدٌ غائباً.
قابيلُ يسنُّ سكينَه في المطبخ
ونوحٌ يتابعُ في الصالة
نشرةَ الطقسِ في التلفزيون.

كلهم وصلوا بسياراتِهم
ثم اختفوا في الزقاقِ الطويل
ذاهبين إلى الحفلة.

هناك رأينا السيدةَ الحسناء ترقصُ في الحَلَبَة
عارضةً مفاتنَها علينا
من وراء فستانِها الشفاف.
جلسنا مع الضيوفِ
جرعنا كؤوسَنا حتى الثمالة.

مكتبة
الفكر
الجديد

في آخرِ الليلِ
عائدين إلى بيوتِنا
أَعدنا إلى الأعمى عكازتَه الضائعة
وإلى القاتلِ بلطته الدموية.

لقد كانت حفلةً
مثل أي حفلةٍ أُخرى.

مكتبة
الفكر
الجديد

الموكب الصامت

واضعاً يديّ في جيبيّ المثقوبين
سائراً في الشارع
رأيتُهم يتطلعونَ خلسةً إلي
من وراء زجاجِ واجهاتِ المخازنِ والمقاهي
ثم يخرجون مسرعين ويتعقبونني.

تعمدتُ أن أقفَ لأُشعِلَ سيجارةً
وألتفتُ إلى الوراءِ كمن يتجنبُ الريحَ بظهره
مُلقياً نظرةً خاطفة إلى الموكبِ الصامت.
لصوصٌ، ملوكٌ، قتلةٌ، أنبياءُ وشعراء
كانوا يقفزون من كل مكانٍ
ويسيرون ورائي
منتظرين إشارةً مني.

هززتُ رأسي مستغرباً

مكتبة الفكر الجديد

ومضيتُ وأنا أصفرُ بفمي
لحنَ أغنية شائعة
متظاهراً بأني أُمثلُ دوراً في فيلم
وبأن كل ما ينبغي علي أن أفعلَه هو أن أسيرَ دائماً إلى الأمام
حتى النهايةِ المريرة.

مكتبة
الفكر
الجديد

من نافذة مفتوحة على شارع معتم

فيما أنا أحدقُ من النافذة
منصتاً لضجيجِ الغزاةِ في الشارع
يقودون عرباتِهم في الظلام
متبوعين بغلمان يضربون على الدفوف
وعبيد أسرى في السلاسل
تلجأُ الأشباحُ اليّ، طارقةً بابَ بيتي.
الجلادُ وضحيتُه
الملكُ ومهرجُه
وكاتمُ الأسرار.

يأتي الجلادُ ليغسلَ يديه الملطختين بالدمِ
تحت حنفيتي
تأتي الضحيةُ وتقدمُ لي قدحاً من دموعِها المالحة
يأتي الملكُ وينصبُ عرشَه في حديقتي
يأتي المهرجُ ويعرضُ ألعابَه أمامي

مكتبة الفكر الجديد

يأتي كاتمُ الأَسرار ويكشفُ أَسرارَه لي.

أشعلُ آخرَ شموعي،
أَقفُ أمام النافذةِ في الليل.
ثمة كثيرون سوف يطرقون بابي
قبل حلولِ الصباح.

مكتبة
الفكر
الجديد

الزائر

في منتصفِ الليلِ، اذ نُدَفُ الثلجِ تهمي كقطن منفوش، جالساً في رفتي أمام المدفأة، منصتاً إلى أغنية ألمانية شعبية في المذياع عن ل مات في قفص وأميرة ضائعة في غابة، سمعتُ قرعاً على النافذة، فيفاً مثل قطراتِ مطر. أحدٌ ما كان يهمسُ بصوت سمعته بالكاد، بلقاً في الفضاء الأبيض أمام الطابق الخامس من العمارةِ المعتمة. وتٌ كنتُ قد عرفتُه قديماً ثم نسيتُه في دورةِ الأيام. ملصقاً وجهَه زجاج ناداني باسمي مردداً»: دعني أدخلْ أخيرا، إني أكادُ أموتُ داً. » فاتحا النافذةَ رأيتُ عينين صغيرتين تحدقان في مبتسمتين بتهجتين. وإذ رآني أقفُ مذهولاً دخلَ وعانقني، وقال لي بمودة، ضعاً يده على كتفي: «مرحباً، أنا أخوك، جئتُك من كوكبٍ بعيد. » رفرفَ بجناحيه الملونين مثل فراشة واستلقى على سريري معتذراً: يدُ أن أنامَ قليلاً، فقد أمضيتُ الأبديةَ كلَّها في الطريقِ إليك».

مكتبة الفكر الجديد

حياة مع الجرذان

مقرفصين في الظلام
نأكلُ من ماعون فوق جريدة مفروشة على الأرض
كانت الجرذانُ تثبُ وتخطفُ الطعامَ من بين أَصابعِنا
ثم تقفُ أمام جحورِها
متأهبةً لغارة جديدة.
وفي الليالي الباردة
كانت تندس بين أفخاذِنا
فنرى جرذاً عملاقاً في غابة
يجرُّ وراءه فتاةً باكيةً
مربوطةً من عنقِها بحبل.

في الصباحاتِ، سامعين البلبلَ يُغرد فوق الشجرة
كنا نحملُ براميلَ بولنا
وندلقُها في الساقية أمام المخفر
عائدين بالفطور الذي أعدَّتهُ لنا امرأةُ شرطيٍّ
ضاجعناها ألف مرة في أَحلامِنا.

مكتبة
الفكر
الجديد

وإذا ما حل المساء
كانوا ينادون علينا واحداً بعد الآخر
ويعلقوننا من أكتافِنا بالمراوح
فتتساقطُ الجرذانُ
من طياتِ ثيابِنا،
معولةً تحت السياط.

بعد سنينٍ أو ربما بعد قرون
التقيتُ ثانيةً ذاك الذي خلفتُه ورائي في غَيابةِ الجُبِّ.
كان لا يزال صبياً يافعاً يرتدي بيجامتَه كالعادة.
رفعَ رأسه وحدقَ بي طويلاً
ثم مضى مسرعاً في طريقِه.
أعتقدُ أنه كان قد نسيني في زحمةِ الحياة.

مكتبة
الفكر
الجديد

أنخاب

رغم انني ثملٌ وحزينٌ وعاجزٌ عن الكلام
إسمحوا لي أن أرفعَ كأسي لآخرِ مرة وأشرب:
نخبَ الأعمى الذي يرى في الظلام
نخبَ الأخرسِ يُكلِّمُ اللهَ فوق الجبل
نخبَ الأَطرشِ يستمعُ إلى موسيقى الأبدية
نخبَ الشاعرِ يسرقُ النارَ من الآلهة
نخبَ الآلهة تصنعُ عالماً أفضلَ في المرة القادمة
نخبَ الشيطانِ يخسرُ رهانَه ويعودُ إلى الجحيم
نخبَ الأمِ تحت قدميها الجنة
نخبَ الحبيبةِ تنتظرُ على الساحل
نخبَ الصديقِ الذي لا يُنْكِرُنا حتى إذا صاحَ الديكُ ثلاثا
نخبَ الخنّاسِ الذي لا يوسوسُ في قلوبِ الناس
نخبَ المشنقةِ تنحني للمشنوق
نخبَ الجلادِ يجلدُ نفسه بالسوط
نخبَ الضحيةِ تنهضُ في عذابِها
نخبَ العصفورِ يغادر قفصَه
نخبَ المنفى لم يوهن عزائمَنا

مكتبة الفكر الجديد

نخبَ الوطنِ تجري من تحته الأَنهار
نخبَ الحريةِ حتى النهاية
نخبَ العالمِ ملكاً مُشاعاً للجميع
نخبَ الطغاةِ نعينهم حراساً في المتاحف
نخبَ الشجرةِ عميقةً جذورُها في الأَرض
نخبَ القمرِ يتنصتُ إلى شكاوى العشاق
نخبَ الشمسِ في بردِ شباط القارس
نخبَ الكواكبِ تهدرُ منذ الانفجارِ الاول
نخبَ الجنةِ فوق الأرض
نخبَ الجحيمِ نُغلقُ أبوابَها بالإسمنت
نخبَ الماضي يقص علينا ذكرياتِه
نخبَ الحاضرِ يتدفقُ مثل نهرٍ في الشوارع
نخبَ المستقبلِ نصعدُه بلا سلالم
نخبَ هذه الحياةِ الجميلةِ القصيرة.

مكتبة
الفكر
الجديد

ليلة الفامبير

في حانة في ترانسلفانيا ذات مساء
صادفتُ رجلاً نحيفاً بقبعة أسطوانية
وعباءة سوداءَ من الحرير
قال لي إنه يُدعى الكونت دراكيولا
وإنه قد خرجَ لتوه من تابوتِه الوثير
لاصطيادِ الفتيات الجميلات
العائدات من الديسكو
لم أُصدِّقه بالطبع
فدعاني إلى قبوِه لنشربَ كأساً من النبيذ الأحمر
في نخبِ مؤلفه الايرلندي برام ستوكر
هناك إذ رفعَ قبعته
وكشرَ في وجهي
رأيتُ العناكبَ تسرحُ في شعره
وأنيابَه تقطرُ دماً.

لا أعرفُ كيف نجوتُ منه بعد ذلك
وبأي عصا صددتُ عني ذئابَه التي طاردتني في الشوارع

مكتبة الفكر الجديد

ربما هرعَ البروفيسور فان هيلسنغ لنجدتي
ربما علقَ أحدٌ ما قلادةً من الثوم في عنقي
ربما انقلبت لوسي الجميلةُ خفاشاً أسودَ
فتبعها حتى الخرائب في الضباب.
كل ما أذكرُه الآن هو انني عندما نهضتُ من نومي
وجدتُ نفسي قد أمضيتُ تلك الليلةَ الرهيبة
مكوماً على نفسي فوق الأريكة في الصالة
ودراكيولا يعوي أمامي في شاشة التلفزيون
محترقاً في ضوء الشمس ينسلُّ من النافذة.

مكتبة
الفكر
الجديد

في الدقيقة الأولى بعد العدم

إلى Stephen W. Hawking

لا ديناميت لنسفِ المبنى
لا اوكسجين لإشعالِ النار
لا إسفنجة مبللة بالدموع لغسل الجثة
من فائضِ الموت.
ساحرُ الفضاء يلتقطُ في العتمة
بكاميرته القديمة
صورةً وردة تنفجرُ في صقيع الكون
فيما الأشباحُ تثقبُ نوَاة الذرة
بأظافرِها المعدنية
موصلةً أسلاكَ قلوبِها
ببطارياتٍ شمسيةٍ مُستهلكة
نهتدي بضوئِها الواهن
سائرين بخط مستقيم كالعادة
للوصول إلى البحر المحيط
طارداً وحوشَه إلى اليابسة.

مكتبة الفكر الجديد

لقد دفعنا الثمنَ غالياً.
١٥ مليون درجة مئوية
للحصولِ على أشعةِ غاما
في السوقِ السوداء
مليارات من الأيدي المتروكةِ في المصانع
لبعث الروح في روبوت ميت
الوفٌ من الشموس المُطفأة
للعودة ثانيةً إلى مدار الجدي.

في البدايةِ تأكدْ من النهاية
قبل الركونِ إلى الصدفةِ العمياء
فالبرابرةُ في سفنِهم الفضائية
سوف ينتظرون وصولَك في طروادة
عارفين أنك تعودُ دائما
الى النقطةِ ذاتِها
قبل العدم.

مكتبة
الفكر
الجديد

النياندرتال الحزين

جريح متروك
يطاردُ وساوسَه بعصا
داخل غابة
تبزغُ في حلم
وآخرُ برأسِ كلب
يعوي مترصداً غزالة ذهبية
تعدو في سهلٍ بلوري
منذ قديمِ الزمان.
أبطال تراجيديون
ينحدرون من ثقب في قبةِ السماء
يلتقطون رؤوساً مقطوعةً ويغيبون
ناسين خطيئتَهم الأولى
في الطريق إلى الجحيم.

كلهم يأتون ويقفون معنا على الشرفات
بخوذِهم
ويلوحون بأعلامِهم المهلهلة

مكتبة الفكر الجديد

للنياندرتالِ الحزين
داخلاً إلى مغارتِه في الظلام
منقباً عن شفرة حلاقة
يقطعُ بها حبلَه السُّري
وعن خرقة
يمسحُ بها دمَ أسلافِه الغابرين.

جريح يتكئُ على شجرة في غابة
ويطلقُ رصاصتَه الأَخيرة
في ليلِ قطيعٍ من الذئاب.

مكتبة
الفكر
الجديد

المهرجان التنكري

وجدت نفسي في مهرجان تقيمه حديقة. ما كان ينبغي للبواب العجوز أن يطردني ما دمتُ أضع قناعي على وجهي، هكذا هي القاعدة. لا أحد يُؤخذ بجريرة غيره. تسللت مع مهرجين رسموا دوائر حمراء حول عيونهم واقتنوا أنوفا منقارية من متجر ياباني قرب متجر للذخيرة. وقفت في المدخل أستقبل الضيوف. دخل هارون الرشيد فوق حصانه الذي أمسكت بلجامه وقدته إلى المعلف. هبطت الساحرات من السماء فوق مكانسهن، جالدات الريح بالسياط وغنت كليوباترة على الاكورديون كالعادة بينما الثعبان يلتف حول عنقها متلويا كمن يستعد لقبلة طويلة. واخيراً وصل البرابرة شاهرين سيوفهم. هولاكو وجنكيزخان أيضاً.

خائفاً على نفسي غادرت الحفلة من فتحة في الجدار. غدا سوف أقرأ في الجريدة تفاصيل المعركة كلها.

مكتبة الفكر الجديد

في شوارع العالم

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

لم يعد هناك ما يحدث في أحلامي

لم يعد هناك ما يحدثُ في أَحلامي:
لا طائرَ رخ يجثم فوق بيضته
ناشراً جناحيه على الهضبة
ولا أَرخبيلَ بلورياً
بهجره القراصنة
قاصدين جزيرة أخرى
لا براكينُ تنفجرُ في البحر
ولا زلازلُ تضربُ اليابسة.

لم يعد هناك ما يحدث في أَحلامي:
لا وحوشٌ تخرج من الماء في الضباب
وبين أَسنانها حوريات معولات
لا نساءٌ يتنحرن بعد حب فاشل
ولا شعراءُ مجانين
يهيمون على وجوههم ليلاً في الطرقات.

لم يعد هناك ما يحدث في أَحلامي:

مكتبة الفكر الجديد

لا حروبٌ تنشبُ
لا مواكبُ تسير في الأعياد
لا مراكبُ تصلُ
ولا روبوتاتٌ تقود دراويش تائبين إلى الجنة.

لم يعد هناك ما يحدث في أحلامي:
الشارع مقفر كالعادة
وعلي أن أصل إلى البيتِ
قبل هطول المطر.

مكتبة الفكر الجديد

المقامر

ضعِ العالمَ أمامكَ على المائدة
وقامرْ عليه قطعةً، قطعة!
قامرْ على الشمسِ والقمرِ أولا
فاذا خسرتهما
سيظل لك ضوءُ النجوم.
قامرْ على الأشجارِ في الغاباتِ والحدائق
فاذا خسرتها
قامرْ بعدها على الصحارى والبحار!
قامرْ على المدنِ والقرى والشوارع
لقد أَحببتَ الكهوف والمغاور دائما.
قامرْ على الذهب والفضة
إذ يمكنك أن تملأَ خزائنَك بالتراب أيضاً.
قامرْ على الآلهة
فاذا خسرتَها سيظل لك الشيطان على الأقل
جالساً ينتظرك، نافد الصبرِ

مكتبة الفكر الجديد

أمام غرفتِك المليئة بالدخان.
ثم قامرْ على كل شيءٍ دُفعةً واحدة!
ماذا يهمك أن تربحَ أو أن تخسر
مادمتَ تعرفُ أنك سوف تلعبُ ثانيةً
حتى النهاية؟

مكتبة
الفكر
الجديد

كتاب الأكاذيب

بعد نصف ساعة من الطيران
في الطريق من لارنكا إلى برلين
أعلنت المضيفةُ الحسناء في المايكرفون
أن أحدَ محرّكي الطائرةِ قد عَطَل
ولذلك سنعودُ من حيث جئنا
خشيةَ السقوطِ في البحر
طلباً للمزيدِ من الأمان
وما عدا ذلك فان كل شيء على مايرام.
ألقيتُ نظرة إلى الغيوم المتراكمة من النافذة
وفكرتُ مرعوباً ليس عدلاً أن أموت هكذا
في مثل هذا اليوم الساحر.

أخذت الطائرة تختض كشاحنة عتيقة
هابطةً فجأة في بئر بلا قرار
فيما البحرُ بحيتانه ودلافينه الراقصة
يفرشُ تحتنا سجادته الزرقاء.

مكتبة
الفكر
الجديد

لا بد انني كنت أوشك أن أموت رعبا
عندما ابتسم جاري الأميركي الجالس لصقي
وقال لي مطمئنا: لا تخفْ، كل هذا هراء
لا تسقط الطائرةُ قط لأن محركاً فيها قد توقف.
ثم راح يروي لي قصصاً مرعبة عاشها بنفسه
عن طائرة مات قبطانُها ذات مرةٍ بالسكتةِ القلبية
فوق براري إفريقيا الخضراء
وثانية ابتلعت محركاتُها طناً من الطيور
فوق جبالِ نيفادا القاحلة
وثالثة عصفت بأجنحتها الرياح
في سماء المحيط الزاخر بالأقراش
لكنه كان ينجو دائما
لأن الطائرات
أكثرُ وسائلِ النقلِ أماناً في العالم.

عندما حطت الطائرة أخيراً في المدرج
وتنفسنا الصعداء
أخرج جاري الأميركي من كيس معه
نسخةً من كتاب أهداه لي
ثم صافحني مودعاً:
لا تنسَ أن تقرأه، إنه آخرُ أعمالي
«كتاب الأكاذيب».

مكتبة الفكر الجديد

ذات ظهيرة في المقهى

قبعته في يده دخل هاينريش بول مقهاي الأثير في كودام، محيطا ذراعه خصر كاترينا بلوم التي كانت قد فقدت شرفها ذات مرة ثم عادت عليه ثانية في سرداب البيت. أقبل النادل مرحبا فمازحه: «أين كنت يا آدم؟» طالباً قدح بيرة من البرميل. البليارد صباحا مع جنرال موسوس ظل يهذر طوال الليل: «أيها المتجول هل تأتي إلى سبا. . . والحرب مساء في الخنادق الطينية البعيدة. وضع الأمير فنجان القهوة أمامي وانصرف إلى الدكتور موركس الذي جمع صمته المختار في كتاب جيب كان يوزع مجانا في العيادات. رؤوس المارة تهتز فوق أكتافهم، اذ ثمة مهرج يأكل الحشيش على الرصيف. من بعيد تطلق شجرة زيزفون وارفة قبلاتها في الهواء، معلنة عن وصول نيتشه، بشاربه الفكاهي الكث، حاملا تحت أبطه ديكا أسيرا يولول، إلى رادشت الذي كان ينتظره في شعب الجبل، ليقيم له وليمة الوداع. وفي أعقابه سار السوبرمان، ممتطياً حصانه النحاسي الذي عبر به البحر إلى هذه القارة الجديدة. هممتُ أن أتبعهما مثلما تقتضي الأصول، لولا ذلك اللعين مفيستو الذي دخل مسرعا وجلس على الطاولة أمامي، مقدما لي عقد رهان أبرمه مع الله حول روحي المسكينة، لم يكن ينقصه سوى توقيعي. مرتبكاً أطلقتُ ضحكة مدوية وخرجت إلى الشارع، رامياً قطعة نقد صغيرة في قبعة المهرج الذي كان يسير على حبل مشدود بين برجين.

مكتبة الفكر الجديد

جنود الليل

«ليغتصبْ أمك فوج من الجنودِ الألمان»
هكذا كان يشتمُ الكبارُ بعضَهم الآخر
في مدينتي الصغيرة البعيدة
قبل أربعين سنة.

محدقاً في الأفقِ البعيد
كنت أقرفص وأحدق بألم طيلة يومي المقتول
في الأم الحزينة
ينتهكها ألوفُ الجنودِ العائدين
من معركةِ ستالينغراد
ببساطيلهم المتهرئة ومعاطفهم الرثة؟

لم يكن ثمة من يقولُ لي الحقيقة
لذلك ظللتُ أسهرُ كل ليلةٍ
رائياً جيوشاً من الجنودِ الموتى يقطعون شارعَنا المعتم

مكتبة الفكر الجديد

جارين وراءهم مدافعهم الصدئة
راطنين العربية بلكنةٍ ساكسونية.

أذكر أني خرجت اليهم مراراً
وقلبي عامر بالهلع
حاملاً بيدي فانوسَنا الزيتي
لأُقدم لهم سيجايرَ أبي المتروكةَ فوق المنضدة
حتى يتركوا مدينتَنا بسلام
لكنهم كانوا يشيحون بوجوهِهم دائماً عني
ويسيرون غائبين في الظلام.

مكتبة
الفكر
الجديد

المرثية الروسية

لأن الرسولَ القادمَ من سيبيريا لم يصل
زرعوا جثثَ القياصرةِ في الساحةِ الحمراء
حيث يقفُ لينين عادةً على الشرفة
يُمسد لحيته المدببة
كفرشاة بيد رسام ولد لتوه من الحلم
قادماً بقطاره الألماني المغلق
من فائض آلام العمال
ليحيي مواكبَ الحفاةِ المسلحين في بطرسبورغ
خارجين من كهوف الدببة
ليجلدوا ظهر الزمان بالأناشيد التي سوف ينساها عبيد المستقبل
كصرخات مبذولة على مائدة التاريخ.

ملايين الرؤوس قُطِعت.
دستويفسكي قامر على ضحاياه
وخسر آخر كوبيك في جيبه
جارعاً النبيذَ في قبو أميره مشكين
بوشكين سقط مُضرّجاً بدمه

مكتبة الفكر الجديد

في نزاله الأخير مع الشيطان
وتولستوي أفلت من يد ستالين
هارباً إلى قرى الأقنان.

أعرفُ أن أجملَ الأحجار هي التي جرفها الطوفان
أجملَ العادلين هم الذين لم نعرفهم يوماً
أجملَ الأشجارِ هي التي اقتلعتها الجرّافات
أجملَ الأطفال هم الذين لم نسمعْ صراخهم في الزنزانات
أجملَ القصائد هي التي كتبها الملل.

روسيا، روسيا كل شيء انتهى!
فخُذي جنازة ميتك الحالم إلى بيتك البارد
أشعلي له شمعة صغيرة في كنيسة ثوراتك المخبّطة
ثم ادفنيه سراً
في صقيع تاريخك الدموي الطويل
واتركي لنا حلمنا الدائم بتغيير العالم
قوسَ قزحنا الذي سنضيءُ به وديان المستقبل
كآخر وأصعب مهمة في حياتنا،
منتظرين وصولَ رسولنا الذي انتظرناه دائماً
رغم كل الخسائر.

مكتبة الفكر الجديد

ثمن

أصدرت الحكومة قانوناً
يُلزم الضحية
بأن تدفع لجلادها
ثمن الرصاص الذين سوف تُعْدَمُ به.

لم نأبه بذلك.
كنا جميعاً نحمل في جيوبنا
وثائق تُثبت فقر حالنا.

مكتبة
الفكر
الجديد

مغامراتي مع أبطال قصائدي

أميرة نائمة في مخدعها
ثمة وحش يحدق في جسدها العاري
من وراء ستارة شفافة.
هل أقرعُ الجرس؟

شاعر في حديقة
يتسلق شجرة
ويختفي بين أغصانها
هل أصعدُ لأبحث عنه؟

عجوز متقاعد
يقرأ مستغرقاً في رواية بوليسية
عن لص يُشركه في غزواته الليلية
فتقبض عليهما الشرطة
هل أشهدُ لصالحه؟

ناسياً كل حيرة، بادئا كل قصة من جديد

مكتبة
الفكر
الجديد

أذهب وأوقظ الأميرة من نومها
أطرد الوحش إلى مغارته
وشاعر الحديقة أعيده إلى حديقته
ليتسلق الشجرة ثانية
واللص العجوز أطلق سراحه
ليكون أكثر حذراً في المرة القادمة.

في النهايةِ أصافحهم واحداً واحداً
ثم أخرج معهم إلى الشارع
لنقوم بمغامرات جديدة.

مكتبة
الفكر
الجديد

وقائع

ثمة ما يحدث دائما.
حرب تُعلن فجأة
طفل يولد في مغارة
قلب ينفطر ألماً.
هل أجرؤ أن أنسى ذلك؟

ثمة ما يجري دائماً.
ماء في نهر
نبيذ في حانة
دموع ودم أيضاً.
هل أقدرُ أن أوقف ذلك؟

ثمة ما نفتقده دائما.
جملة حفظناها عن ظهر قلب
مظلة أضعناها في مقهى

مكتبة
الفكر
الجديد

إمرأة أحببناها بكل جوارحنا.
هل يمكن أن أسعد بذلك؟

ثمة ما لا يحدث أبدا.
أن أربح مليونا في اليانصيب
أن أعثر على كنز في حديقة بيتي
أن أسافر إلى القمر.
هل ينبغي ألا أحزن لذلك؟

مكتبة
الفكر
الجديد

في مزرعة العنقاوات

أيها الكاهن، أيها الكاهن الأعلى
لقد رأيتك تنسل إلى هذه القصيدة في غفلة مني
حيث ألف عنقاء
تسرحُ في مزرعة ممتدة بين الفصول
ومسيجة بالأسلاك المكهربة
لقد رأيتك تملأ أقفاصَك بها
تأخذها إلى الشوارع وتتركها تعدو فوق الأرصفة
مزقزقةً وراءك
حتى المشهد الأخير
في زمن الأموات.
رأيتك تطلقها داخل تاريخك العقيم
وتقذفها في النار.

أيها الكاهن، أيها الكاهن الأعلى
في تنورك رأيتُ عاصفة تنفث جرذاناً

مكتبة الفكر الجديد

في الرماد رأيت جلادين يحملون بلطاتهم في أيديهم
في الخرائب رأيتُ ضفادع تبحث عن مستنقعات
في الليالي رأيتُ ذئابا تعوي.

أيها الكاهن، أيها الكاهن الأعلى
دع عنقاواتنا بسلام
وأخرج من هذه القصيدة.

مكتبة
الفكر
الجديد

الدليل

ألف عام في الطريق
وما من أحد وصل

تركنا الأبواب مفتوحة للرياح
وأشعلنا نيراننا في كل القارات

العصفور الأعمى
سوف يدلنا
إلى الينبوع.

مكتبة
الفكر
الجديد

الرجل اللامرئي

أحد ما يسير في غابة
وأنت تسير وراءه
فيما الأوراق تطقطق تحت قدميك
ـ ثمة أرنب دائماً بين الأشجار
إذهبْ واصفعه برقة
ليطهر قلبه من الأوهام.

إصعدْ في عربة مهجورة
وقدها وسط المدينة
جيئة وذهاباً
ليفغر ألف شرطي فاه من الدهشة
في كل جريمة فاعل خفي.

إذهبْ واقرعْ ناقوس كنيسة
لعل القسس يعرفون أخيراً
بأن المخلص قد وصل.
كل معجزةٍ هي طريقة في الحياة.

مكتبة
الفكر
الجديد

أحد ما يسرق بنكا
ما همّك من خازني الأموال؟
دع اللصوص يسرقوا اللصوص
مادمتَ ستسلبهم غنائمهم في النهاية
لنوزعها على الجياع
من لا يحب روبين هود؟

الحياة جميلة حقا.
كل ما يعوزها رجل يملك ما يكفي من الوقت
وقنينة من عقار الـ (*)Monocaine .

(*) Monocaine هو الإسم الذي أطلقه H.G.Wells على العقار الذي يستخدمه بطل رواية «الرجل اللامرئي».

مكتبة الفكر الجديد

رجل المرايا

كل يوم يقف الرجل الذي يُشبهني، منتظراً إياي في المرآة. يحدق في وجهي لحظة ثم يهز رأسه راثيا لحالي. واذا ما زعقت به أخرج لسانه، ساخرا مني وراح يدندن بأغنية لم يكن يعرف سوى المقطع الأول منها. أحيانا أرفع قبضتي وأهدده بالضرب فيرد علي هو الآخر، رافعا قبضته، مهددا اياي. ثم يهدأ ويطلق ضحكة ماكرة قبل أن يغسل وجهه بالصابون، فأفعل مثله، كما لو أنه ساحر ينوم ضحاياه.

ناهضا في الصباح ابتسم في وجهي هذه المرة على غير عادته اذ عرف أن لي موعدا مع فتاة سوف تنتظرني في المقهى وقال لي بمكر: «لا بد من الأناقة في مثل هذه المناسبات.» ففضلت أن أسكت. ماذا اقول له؟ تجاهلني ثم راح يحلق ذقنه بهمة، مرددا أغنيته الناقصة. بدا قريبا من قلبي بعض الشيء حتى انني تركته يفعل ما يشاء وذهبت لأرتدي بدلتي الزرقاء. عندما عدت لأمشط شعري وأرش العطر على وجهي وجدته قد ارتدى مثلي بدلته الزرقاء وراح يمشط شعره ويسكب العطر على وجهه، كما لو انه يملك هو الآخر موعدا مع فتاة سوف تنتظره في المقهى. قرصت أذنه، مداعبا: «كلا لن تأتي معي، ستظل

مكتبة الفكر الجديد

ه.ا في مرآتك. » ثم خرجت متجاهلا شتائمه. في المقهى وجدته امامي، يسير مقلدا مشيتي. قلت: «سوف أحرمك أيها الجاسوس من ، مة مطاردتي. » أغمضت عيني وأمسكت بيد فتاتي، جارا اياها إلى الشارع، تاركا إياه يختفي في زاوية من المرآة المعلقة على الجدار.

مكتبة الفكر الجديد

مكتشف سيء الحظ

رسم المكتشفُ بحرا
أجرى في وسطه سفينة ورقية صعد فيها
وأعلن نفسه قبطانا لمحيطات العالم
قاصداً الوصول إلى قارات لم يبلغها أحد من قبل
مثل كولومبوس جديد
مأهولة بالهنود الحمر وعامرة بمناجم الذهب
لكنه ـ ويا لسوء حظه ـ
كان قد نسي أن يجلب معه بوصلة
يهتدي بها وسط الظلمات
فغرقت سفينته
حتى قبل أن يعثر على صخرة نابتة واحدة
يقف عليها
وراح يصارع الأمواج الهائجة
طالباً النجدة
بدون أن يسمعه أحد.

مكتبة الفكر الجديد

الجارية المنتظرة

في القبو الذي أغلقوا بابه علي
خرجت جارية من الجدار
وغنت لي قصةَ حياتها
ثم قدمت لي مفتاحَ قلبها الذهبي وغابت
تاركة قبلتها اليائسة
فوق فمي.

أعوام، أعوام طويلة مرت علي
قبل أن أضع المفتاح في القفل وأخرج.

كانت تقف هناك
أمام الباب
تنتظرني بصمت.

مكتبة
الفكر
الجديد

القرية الظالمة

لم يعد لك ما تفعلُ الآن في هذه القرية الظالمة
العدو هنا والعدو هناك
وأنت تسير على الجمر في زحمة العابرين
لم تعد في السماء نجوم تُضيء لياليك القاتمة
الذئاب تجوس الشوارع
والمهرجان القديم انتهى
واختفت في الحدائق أشجارها
والقوافلُ مرت بلا ضجة
واختفت. كلهم إختفوا في المغاور بين الصخور
او أضاعوا الخطى في القفار
فبقيتَ وحيدا هنا
مانحاً قلبك المزدهي للجنون
صابغاً وجهك المحتفي بالوقار
فارتحل قبل أن تجرف العاصفة
بيتك الورقي الذي شيدته العناكبُ في العتمة
حاملا بيمينك دفترَ أعمالك الموبقات
واقفاً مثل جندي حرب أسير

مكتبة الفكر الجديد

في حضور الملاك المقدم في المحكمة
لا تجادلْ ودعهم يقولوا الذي يشتهون
ما الذي سوف تخسره الآن في هذه اللعبة القائمة
بعد أن عبرتك الحقيقة عارية
تتجول فوق رماد العصور
والأكاذيبُ تجلدها بالسياط إلى المحرقة؟
العدو هنا والعدو هناك
وأنت تسير إلى المشنقة
لم يعد لك ما تفعل الآن في هذه القرية الظالمة.

مكتبة
الفكر
الجديد

حروب

ملوك يهددون ملوكا
وزراء يتقدمون الصفوف
ويقودون المعركة.
قلاع تسقط فجأة
جنود يقتلون جنودا
أحصنة تخب فوق الجثث
وفيلة تقتحم الصفوف
دماء كثيرة تسيل دائما
على رقعة الشطرنج
ونحن نجلس
فوق مقاعدنا صامتين.

مكتبة
الفكر
الجديد

طريق يقودني إلى البدايات كلها

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

وليمة الحكماء

مضللين اللصوص
نخبئ الروح الطاهرة في الثلاجة
نعينها المقلوعتين
نعلق خارطة الزلازل على الجدار
ونثرثر حول آينشتاين وثقوبه السوداء.
في المطبخ نجلس وندخن ـ
الماء الثقيل مخلوطاً بالنعناع يغلي في إبريق الشاي
بينما الدجاجة العمياء التي تبيض ذهباً تُشوى في الفرن.
وصل الحكماء أخيراً.
تقول سالمة: «سوف أعدُّ فطور الملائكة لضيوفنا».
ننتقل إلى الصالة
وننتظر قهوتنا.

لقد غدتِ الحياة باهظة التكاليف حقاً.
كل هذه الفرضيات لقياس انحناء الضوء
كل هذه الضحايا لكسب حرب ما
كل هؤلاء الفراعنة لخطبة مومياء.

مكتبة الفكر الجديد

ولكن لا أحدَ يتحدث عن ذلك في هذه الأيام
لا أحدَ يسأل عن الآخرين
لأنه ما من قرائن على أي شيء
لأن ما هو موجب سالب أيضا
مثل كل أمل، مثل كل شك.

ثمة قبائلُ غريبة تائهة بين المجرات.

في حديقة نائية
نضطجع تحت النجوم
ونسترجع ذكرياتنا يوم كنا في الفردوس.

مكتبة الفكر الجديد

هناك من ينتظرك تحت المصباح

ياسين أعوامنا في الأدراج نذهب بسراويل بالية إلى حفلة أصدقائنا ... ونشرب أنخابَهم فوق عشبِ الحدائق في حضور أمهاتهم. ... الثانية عشرة. حل الربيع في المدينة أخيراً. آهٍ، لا تقلْ، لقد ... كثيراً، اذ ثمة دائماً بهلول متجول يقف تحت المصباحِ، منتظراً ... ليهمس في أذنيك كل ما كنتَ قد عرفته من قبل.

جلدك المتقرن اتركه للفيلة الهائمة في البراري. قلْ للجدول الباكي ... بمر بقريتنا القاحلة! قلْ لأيام حياتِنا الضائعة أن تتذكرنا، إذ كنا ... بين في الغابة، يائسين وحزينين.

صخور، صخور كثيرة مقذوفة في الفضاء تتدحرج عبر عروقنا. الجبل الأخير نصعده في عربة تترجرج وراء بغل هزيل، بينما الرعاة في أسفل الوادي ينصبون فخاخهم للنسور.

أردية قديمة وأقنعة سوداء متروكة في خيمة وجلد دب ميت في ... خاتم سليمان في فم السمكة. مساءً نهبط من الجبلِ ثانيةً إلى السهل، تُسْجِرُنا أضويةُ سفن فضاء قادمة من مجرات بعيدة أخرى، ... من الوصول إلى حفلة الأحياء، كما فعلنا دائماً، في الوقت المناسب.

مكتبة الفكر الجديد

سمكتنا أكلتها الأقراش

إلى إرنست همنغوا

في خضم الأمواج الهائجة، إذ الليل يئن كقط جريح
رمينا بأثقالنا لدوابِ البحر الهائمة
فيما الأقراش تنهش بأسنانها المنشارية
قطعةً قطعة
سمكة حياتِنا التي شددناها إلى قاربنا الهزيل
طالبين النجاة بجلدنا
في رحلة الأقدار.

كالذئب وحيداً في صحرائه يتقدمُ هذا الذي يعرفُ ما كان وما سيكون
على دربه فانوس يتلألأ في الساحل مثل يد هادية من بعد
منصتاً للريح تقص عليه أساطيرها القديمة
كراوية يجلس فوق عرش الزمان.

مكتبة الفكر الجديد

عندما بلغنا المرفأ أخيراً في ذلك الفجر المجلّل بالضباب وقفنا طويلاً مفكرين أمام حوتنا المأكول.

ماذا يهمك أيها الصياد
إن لم يكن قد بقيَ من سمكتك سوى العظام؟
يكفي انك قاتلتَ من أجلها ببسالة.

مكتبة الفكر الجديد

وأخيراً أصل إلى مدينة نائية

وأخيراً أصل إلى مدينة نائية وراء جبل في الظلام، أقرع بابها المغلق وأنادي حراسها النائمين، فيطلّ من كوة في سورها المنيع موظف يطردني، لاعناً: «لقد أخلفتَ الموعدَ، فعدْ أدراجك وانتظرْ بطاقةً أخرى منا في البريد!» فأرجع مقهوراً، تاركاً أحلامي تقتاتُ من عسلِ أعضائي الميتة، سائراً من قرية إلى أخرى، حيث أقزام في غابة، يدلونني إلى معابد يقدم لي رهبانها الميتون آخر ما في كؤوسهم من نبيذ مقدس أجرعه حتى الثمالة، شاتماً الآلهة فوق أعمدتها الطويلة.

في الطريق، في الطريق الذي يقودني إلى البدايات كلها أرى أعراساً يمرون أمامي، تتبعهم عواصفُهم، أنبياء يقودون سيارات فارهةً في شوارع مزدحمة، جواسيسَ يستبدلون قطاراً بقطار وروبوتاتٍ فوق الدراجات، خارجة إلى النزهة. مواكب أجيال في مهرجان مبهور تتدفق، رافعة في أيديها زهورها وأعلامها، مرددة تعاويذها القديمة.

هناك، وكما في الأسطورة دائماً يحط طائرُ اليُمْنِ على رأسي فأُنصبُ ملكاً لقبائلَ عميانٍ، أربطهم بالسلاسل وأجرهم ورائي عبر السهول الرمليةِ المنبسطة إلى مدن سوف تُبنى في الغد، بادئاً الرحلة في كل مرة من جديد.

مكتبة الفكر الجديد

دع الكرة الأرضية وراءك!

دع الكرة الأرضية وراءك. ماذا تبحث في كوكب مزدحم بالجثث إذ
لاف تائهون يقفزون بين الأشجار، تطاردهم قردة نازلة من التلال؟
ار فوق قارة وليل فوق قارة أخرى. وثمة أسرابُ قطا ترفرفُ كأقواس
لة في سماء مقطوعة بغيوم تدفعها الريحُ أمامها. عربات نسمع ضجة
ملاتها في الطرقات فنخرج ونصعد فيها ذاهبين إلى لا مكان.

ما من أرض موعودة هنا. لا أحد سوى عميان بنظارات سوداء،
لين من الكهوف وفوق رؤوسِهم أقفاصُ طيور. لا أثرَ للموت على
وهم، إذ ربما لم يموتوا أبداً ولا خدوشَ للزمن فوق جلودهم،
ربما لم يعيشوا أبداً. ما من أرض موعودة هنا. ها أنت ذا تراهم
يرون بين الغابات، مسترشدين بأغصان اقتطعوها من غابة، فتتبعهم
ندياً إلى آخر حانة في قرية للصوص.

أنفاق مليئة بفئران تقفز من ضفة إلى أخرى غير مبالية بك. أنهار،
ار كثيرة. جزر ومحيطات. مدن وقرى. جبال همالايا وثلوج سيبيريا
بدة.

غيوم لا تمطر. مدن وشوارع. روبوتات وعمال. طيور وأشجار.
ة مسافرون دائماً. عنكبوت ينسجُ شباكَه وحمامة تضع بيوضها أمام

مكتبة
الفكر
الجديد

مغارة. ليل ونهار. رجال ونساء. صخور في كل مكان، رمل وتراب أيضاً.

الكرة الأرضية تركتَها وراءك. منطلقاً بين السُدُمِ الأولى تلتقي مراكبَ فضاءٍ تقودها ملائكة رحمةٍ، خارجةً إلى النزهة. هو ذا الكونُ ينفتحُ أمامك، لازورددياً مثل موسيقى مكتومة. الإنفجارات تتعاقب. المريخ يهدر في وحدته وعطارد يظلل أقمارَه. في نجمة بعيدة أراك تسير تحت المطر. الشفق القطبي يجر وراءه الدببة وصائدو الشياطين ينصبون فخاخهم بين المجرات في العراء.

إذهبْ، رافقتك السلامة، لن ننساك أبداً.

مكتبة الفكر الجديد

الجثة في السرداب

في الغرفة هواء فاسد
لا أحدَ يفتح النافذة.
كتابنا نحمله بيسارنا
لا أحدَ يطلب المغفرة.
الجثة في السرداب
لا أحدَ يبكي.

كان علينا أن نكتشف النار ثانية
وأن نسدد فاتورتنا الأخيرة
قبل أن نُنْجِبَ طفلَنا السعيد
في أنبوبة مختبر.
كان علينا أن نُواسي أسلافنا
قبل أن نطردهم إلى الجبال.

ما من أمل في العودة ثانية
الى الغابة.

مكتبة
الفكر
الجديد

زائرون غرباء في طبق طائر
يلوحون لي بأيديهم من وراء النوافذ.
ثمة كواكب ومجرات كثيرة، لا تُحصى
تنتظر وصولي منذ الأبد
على أحر من الجمر.

ماذا أفعل هنا؟

مكتبة
الفكر
الجديد

الشيطان المنتظر

في يده رمحُه الفكاهية
ومن عينيه يتطاير الشرر
يقف الشيطان منتظراً إياي في الشارع
صابراً العامَ بعد الآخر
ليصطادني ويقودني في عربتِه السوداء العتيقة
الى الجحيم.

آهٍ يا ملاكي الصغير
أنت يا من تقف وراء كتفي الآن
وتحرسني ضد ضربات الزمن الغادر
أطرده وقلْ له:
انصرفْ ايها الشرير
واذهبْ إلى الشيطان!

مكتبة
الفكر
الجديد

إذا ما دخلت مغارة

إذا ما دخلتَ مغارةً فاشعلْ شمعةً في بابها وانتظرْ دبا يستيقظُ م
نومه لتمتطي ظهرَه.
ـ ربما كان جائعاً فيأكلني.

إذا ما رأيتَ غيمة في السماء فارفعْ يدَك محيياً الشمس تتسلل م
بين الثقوب.
ـ ربما كانت قد ذهبت فتركت لي القمر.

إذا ما بلغتَ مدينةً في نهاية الرحلة فادخلْ من أوسعِ أبوابها.
ـ ربما كان الجلادُ ينتظرني.

إذا ما عثرتَ على لؤلؤة في جوف سمكة فارمِ شباكَك ثانية ف
النهر.
ـ ربما جاء الطوفان وجرفني معه.

إذا ما عبرتَ البحر على جذع نخلة فقفْ على الساحل وانتظ
القادمين بعدك.

مكتبة
الفكر
الجديد

ـ ربما مرت سفينة فركبتُ فيها.

ولكن ماذا ستفعل أيها الرجل إذا ما بلغت النهاية؟

ـ آهٍ، سوف أضطجع على العشب وأحدق لآخر مرة بالدب في مغارته والغيمة في السماء والمدينة تفتح أبوابها والسمكة في النهر والسفينة في البحر. وبعد ذلك فليكنْ ما يكون.

مكتبة الفكر الجديد

صباحاً، في الشارع

خارجاً إلى الشارع في صباح مبلل بالضباب انتظرْ قطاراً تأخر عن موعده، تذكرْ امرأة مستلقية على سرير، عاريةً في ضوء المصباح، يحدق فيها ملاك يجر وراءه غزالة عمياء في صورة معلقة على الجدار. تذكرْ محققين في منطاد ومجرمين في غواصة. رواية بوليسية استعرتها من صديق فأشفقتَ على أبطالِها الذين تركتَهم معه، ممنّين أنفسَهم بالعودة ثانية إلى مسرح الجريمة. فواتير عاجلة لم تسددها حتى الآن. وفي الحقيبة تفاحة ملفوفة بمنديل ورقي لما بعد الغداء. قنينة عطرِ ماركة جنتلمان لإغواء الفتيات. مسدس صغير اشتريتَه من ضابط روسي في دريسدن، ربما أفادَك ذات يوم إذا ما أردتَ الانتحار. نثار مطرٍ وانت تروح وتجيء على الرصيف، محدقاً في غجريات عائدات من الليل. لماذا نسيتَ هذه المرة أن تقبل هيلكا قبل الخروج مثلما تفعل دائماً؟ آهٍ، لا تحزن. كلنا نرتكب أخطاء صغيرة، كلنا نأكل من تفاحتنا في وقت ما، كلنا نحمل في حقيبتِنا قنينة عطر ماركة جنتلمان وكلنا نخفي في وسطنا مسدساً ربما أفرغناه في رؤوسنا ذات يوم. آهٍ، اطردْ هذه الأفكار الشريرة من رأسك المعذب، اذ ثمة دائماً وقت كافٍ لتقبل المرأةَ التي تحب، صاعداً في القطار الذي سوف يصل مهما تأخر. وعندما تعود إلى البيتِ قلْ لملاكِك الأبله أن يجر غزالته العمياء إلى الغابة ويتركها هناك، عائداً إلى الفردوس.

مكتبة الفكر الجديد

عندما مات دونكيخوته من الملل

عائداً ليلاً من حانة القرون الماضية
عابراً طريق طواحين الهواء، مخترقاً المقبرةَ الموحشة
كنتُ ألتقي دائماً، حيث تبول الظلال وراء الصخور
فرساناً يجلسون على الشواهد
يتقاسمون غنائم حروبهم الماضية
ولصوصاً موتى يبزغون من قبورهم فجأة
ويحيطون بي.

ولكن مثلما يحدثُ في القصصِ عادة
كان دونكيخوته يهب في كل مرة لنجدتي
ممتطياً فرسه الضامرة
طاعناً الأشباح برمحه الثاقب
وينقذني
قبل أن يواصل هجومه الخالد
على طواحين الهواء
كامنةً تنتظره في الظلام.

مكتبة الفكر الجديد

هكذا ظللت سنين طويلة أواصل حياتي الرتيبة
حتى رأيت طحان الزمان يسوط حماره الآلي
سائراً بدولابه فوق عظام الغيلانِ
عاجناً الدقيق بالماء الثقيل
خابزاً أرغفته في الأفران الذرية.

هناك أمسك بي سانشو بانسا دامعَ العينين
مرتدياً ثياب الحداد
جاراً وراءه حصان سيده إلى معلف الأبدية
فعرفت أن دونكيخوته مات أخيراً من الملل
بعد أن لم يعد ما يفعله هنا!

بكيت طويلاً بالطبع
قبل أن أذهب معه حاسر الرأس
لألقي نظرة أخيرة
على جثمان بطلنا الهزيل
ذاك الذي ضحّى بأجمل أيام عمره من أجلنا
يقاتل طواحين الهواء
بدون كلل.

مكتبة
الفكر
الجديد

فأرة غونتر غراس

كنتم موجودين، تقول الفأرة، قاضمةً آخر قطعة جبن في المصيدة. ماسُ الكنيسة يمسحُ خشبَ المذبح بإسفنجة مبللة ويُزيل الغبار المقدس عن المسامير المغروزة في رجلي المسيح ويديه، ذلك النسر المعلق على الجدار مثل تحفة للزينة، إذ الدمُ ينقطُ على البلاط قطرةً قطرةً من جراحه المفتوحة في بركة قديمة يحومُ حولها الذباب. أُشعلُ سجارتي وأخرجُ إلى الشرفة، سامعاً بودلير يغني في الشارع: للحياة سحر حقيقي واحد، سحرُ المقامرة. أحزنُ قليلاً. لستُ هنا لأخسر. أضعُ أوراقي على الطاولة وأعودُ إلى السردابِ لأقول: كلا، أيتها الفأرة. إننا ما زلنا موجودين. الكوارث خلّفناها وراءنا. شاركنا نوحاً سفينته وأقمنا الأهرامات في الصحارى، تذكرة للقادمين من بعيد.

ما الأمل أيها المقامر؟ تسأل الفأرة.

ـ الأمل عدّاء أبدي، ربما لحقنا به ذات يوم ما لم تَهِن أقدامُنا وسقط في الطريق، عاضين التراب بأسنانِنا.

أيتها الفأرة، أيتها الفأرة، موجودون نحن هنا تحت السلّم، نتبادل

مكتبة الفكر الجديد

الإشاعات عن الزبدة الفائضة وارتفاع سعر الفائدة في البورصة والهبوط فوق القمر وزيارة النجوم، إذا ما وفقنا الله.

والمستقبل؟ توصوص الفأرة.

ـ انه طاقم مقاعد يسدد ثمنه بالتقسيط. ويبقى لنا بعد ذلك أن ننتظر فاتورتنا في آخر كل شهر وندفع حتى النهاية صاغرين.

مكتبة الفكر الجديد

نزهة في حديقة

لا حظ للشجرة في أن تورق الآن، هذا ما يهجسه البلبل، مغنياً
، غصنه، فنسيرُ على الأوراق المطقطقة تحت أرجلنا أو نجلس
ى المصاطب، متحدثين عن أنفسنا عندما كنا جنوداً منسيين في
هة، عارضين صورَنا التذكارية على أحفادنا، ينظرون الينا شزراً،
ن، ثم يفلتون من أيدينا، مطاردين الفراشات، متعثرين بالجثث
ي كنا قد زرعناها وراءنا في الحدائق عندما بدأ العدو هجومه
دفعي الكبير. تحت هذه الشمس المشرقة أضطجعُ على العشبِ
ارباً، مشغولاً بامرأةٍ تفركُ نهديها بالليمون وتغني: لا، ليس هنا.
م يختلسون النظر اليك. سوف يجلس هذا الذي يتحدث إلى كلبه
ل موظف في الخدمة على ضفة البحيرة ويدخن سيجارته مسترخيا
نهض، راجعاً إلى شقته ليتناول غداءه في الواحدة تماما. ذلك ليس
أ. كل ما في الأمر هو اننا سنمكث أطول قليلاً هنا ثم نترك أماكننا
لما جئنا، ممسكين بأيدي أحفادنا، مودعين الأشجار التي سنعود
ها في اليوم التالي.

مكتبة
الفكر
الجديد

قصيدة لو

أيها الله
لو خلقتَ الإنسان بيد واحدة
وثلاث أرجل
ماذا كانت ستقولُ القردة؟
لو ألصقتَ ذيولاً طويلةً بمؤخراتِنا
كيف كنا سنرقصُ في الحفلات؟
لو أعطيتَنا أجنحةً نطيرُ بها
ماذا كنا سنفعلُ بجوازاتِ سفرِنا؟
لو خلقتَنا غير مرئيين
ضد من كان سيكتبُ الجواسيسُ تقاريرَهم؟
لو أعطيتنا تسعَ أصابع
كيف كنا سنعدُّ إلى العشرة؟
لو صنعتَ أجسادَنا من فولاذ
كيف كنا سنخوضُ الحرب؟
لو جعلتَ أنوفَنا مناقيرَ
كيف كنا سنقبل الفتيات؟
لو نصبتَ نفسَك حاكماً علينا

مكتبة الفكر الجديد

ماذا كنا سنفعلُ بأولياء أمورنا؟
لو أعطيتَك هذه القصيدة
ماذا كنتَ ستضيف إليها؟
لو
لو
لو
أيها الله.

مكتبة
الفكر
الجديد

الأرملة في شرفتها

جارتي الأرملةُ في العمارة المقابلة
مرتديةً ثيابَ الحداد
تتكىء على إفريز شرفتها
وتدخن مثلي منتظرةً وقلقة
السيجارةَ بعد الأخرى
مطلقةً قبلاتها في الهواء
لزوجها الميت
هابطاً من الحافلة التي وصلت لتوها.

قبلاتُها الحارة
فوق فمي.

مكتبة
الفكر
الجديد

ماذا ننتظر هنا؟

لم يعد لنا ما نفعلُه،
كلُّ شيء انتهى بسلام.

القمرُ انطفأ
فكف العشاق عن اطلاق آهاتهم.
الحروبُ انتهت
فحملنا الجثثَ إلى المقبرة.
الأيدي التي لوثتها الدماء
غسلناها في النهر.
الساعةُ التي عطبت
أعدناها إلى صاحب الزمان
والغيومُ التي أرعدت
جرفتها الرياح.

واقفين في المحطةِ الباردة
مر باصنا الأخير مسرعاً في الظلام
فلم يعد لنا سوى أن نعود أدراجنا

مكتبة
الفكر
الجديد

مشياً على الأقدام
الى بيوتنا البعيدة
سائرين في طريق التبانة.

ماذا ننتظر هنا؟

مكتبة
الفكر
الجديد

في كفي أحمل جمرة الأجداد

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

إبراهيم في حديقة النار

حراسُ المعبدِ سكروا والكهنةُ ناموا. رئيسُ الآلهة قرفص على الدكة، منتظراً وصولي، لأسلمه المعول الذي سيهدم به كل آلهة صغيرة. لم يعد ثمة نفعٌ في أحد. فلتسقطِ الآلهة. كان يمكن للأمر أن يمر بسلام، لولا هينون، عين الشيطان الذي اعترف علي أمام نمروذ صباحاً، فأشار بحرقي في النار.

من وراء قضبان سجني في القلعة المنيعة رأيتُهم يجمعون الحطبَ، اليوم بعد الآخر، للنارِ التي سيكون وقودها جسدي الناحل. ثم جاء نمروذ وشدني مقيداً مغلولاً إلى منجنيقٍ قذفني به وسط النار الملتهبة. لم آبه كثيراً بالأمر، فقد كنت أعرف أن الله سيهب إلى نجدتي في آخر لحظة، كما يفعل دائماً، حتى انني رفضت عرض مَلَكِ المياه بأن يفتح لي صنبور غيومه، مطفئاً بأمطاره ناري المتقدة. وعاد خازنُ الريح كسيفاً مخذولاً، يجر وراءه عواصفه وزوابعه. هناك وقبل أن تطأ قدماي الجحيم، سابحاً في الفضاء، سمعتُ النداء الآمر، آتياً من آخر الكونِ: يا نارُ كوني برداً وسلاماً على ابراهيمَ! فتنفستُ الصعداء واثقاً من نجاتي. النارُ الصاعدةُ حتى عنان السماء صارت عينَ ماء في روضة من ورد أحمر ونرجس، رحتُ أتنزه في جنباتها سبعة أيام بلياليها،

مكتبة الفكر الجديد

تُظللني أشجارها الوارفة، وفي صحبتي مَلَكُ الظل، شبيهي الذي جاء مسرعاً ليسليني في وحدتي، راوياً لي أجمل حكايات حياتي.

آهٍ، ماضرني لو مكثتُ ألف سنة هنا في هذه الحديقة!
ما ضرني لو جمعوا كل حطب العالم لحرقي!

مكتبة الفكر الجديد

إمرؤ القيس في صحرائه

لا تبكِ يا امرأ القيس!

لا تقفْ أيها الشاعرُ باكياً
من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
ولا تهلكْ أسى
فالذين رحلوا سوف يعودون ثانيةً
على مطيّهم إلى الرسومِ الدوارسِ ولسوف تسمعُ ضَحِكَ الفتياتِ في الهوادجِ
عند الغروب
يسترقن النظرَ اليك من وراء الحُجُب وانتَ واقفٌ مثل كاهن مجنون
كَفَرَ باللاتِ والعُزى اذ فاضت دموعُ عينيه صبابةً
بسِقْطِ اللوى بين الدَّخولِ فحوملِ
لا تبكِ يا امرأ القيسِ وتجمّلِ!
وقلْ لصاحبيكَ الباكيين معك
أن ينصرفا إلى حالِ سبيلِهما

مكتبة الفكر الجديد

وثقْ أنه ما من خسارةٍ في النهاية
ما دمتَ قادراً على الذكرى
في زمنِ النسيان!

مكتبة
الفكر
الجديد

ليلة الذئب

ألا ربَّ يومٍ لك منهن صالحِ
ولا سيّما يومٍ بدارةِ جُلجُلِ
إذ الريحُ هبَّتْ فاختبأتَ بخدرِها
وقلتَ لها: يا بنتُ لا تتدللي
نعالَي وأَرخي فوق صدري ضفائراً
تنامُ فأنسى أن حبَّك مقتلي
فقالت: يمينُ اللهِ ما ليَ حيلةٌ
فإنكَ مهما تَأْمُرِ القلبَ يفعلِ
عويلُ دمائي قد أقضَّ مضاجعي
فقمْ واطفىءِ النارَ تجيشُ بمِرجلي
فأمضيتَ كل الليلِ في نارِ ليلها
ومتَّ مراراً قبلما الليلُ ينجلي
فيا لكَ من ذئب يتيم مراوغ
يجوسُ الصحارى في بجاد مزمَّلِ
ويغوي العذارى فاضحاً كل ليلةٍ
مليكةَ حي أو أسيرةَ منزلِ

مكتبة الفكر الجديد

العدو ينتظرك بين الأحراش

قامِرْ بكل ما في جيبك من نقود
إرم النردَ فوق الرقعة
والعبْ دستَك كاملاً
سواءً ربحتَ أم خسرتَ!
ارفع يدَكَ عالياً بقارورةِ النبيذِ
كمن يقدمُ طقساً مقدساً
وادلقها في جوفِكَ مرات ومراتٍ
ثم انهضْ وتلمّسْ سيفَك اليماني
في جرابِه
ملقياً خطبتَكَ الأخيرةَ أمام قِيانِ الحانة
ونُداماك السكارى في آخرِ الليل.
اليوم خمرٌ وغدا أمر.
أي ثأر تطلبُ أيها الشاعر؟
أي مليك تقصد
في متاهة عميانها يتبعونَكَ من صحراءَ إلى أخرى
وأنتَ تقتفي آثارَ ذئاب
سوف تقودُكَ بالتأكيدِ إلى غدير ناضب؟

مكتبة الفكر الجديد

آهٍ، حذارِ أن تأمنَ الزمنَ الغادر
فالعدو يترصدُكَ منذ الأَبدِ بين الأَحراش
ليفتكَ بك في كل مرةٍ تصل فيها تلك القرية.

بنو أَسدٍ أكلوا ربهم
وأنتَ مأكول أيضاً لا محالة.

مكتبة
الفكر
الجديد

أمام الصنم الكاذب

على مسيرةِ سبعِ ليالٍ من مكة
في تُبالة
ركعتَ امام ذي الخُلُصة
ذاك الذي كان يعرفُ كل شيء
هل كان يعرف كل شيءٍ حقاً
ام أنك وثقتَ بالآلهة
لتكفرَ بها في النهاية؟
لا أحدَ سوف يُدلك على الطريق
في هذه الليلة الظلماء
فاحملْ فانوسَك في يدِك
واخرجْ إلى البرية
منتظراً عرافاً يخرجُ من أسطورة
او ملاكاً مطروداً يهبطُ من الجنة
ليقول لك: ما من أكيد في حياتك
خطوطُ كفك لا تلتقي
ونجمتُك في مجرة أُخرى.

مكتبة الفكر الجديد

أطلقِ النارَ على صنمِك الكاذب
أكسرِ القداحَ وارمِها في وجهه.

الطريقُ إلى البيزنطينية بعيد
وانتَ بلا خارطةٍ أو بوصلة.

مكتبة
الفكر
الجديد

نزهة في مدينة جاهلية

أصاحِ دعِ الصعلوكَ يبكِ زمانه
فما همُّكَ الديجورُ ناءَ بكلكلِ
هنا سوف نبني في الرياحِ خيامَنا
ونضرمُ نيراناً بتلةِ حوملِ
فدعْ يا امرأَ القيسِ الزمانَ وشأنَه
وهل عند رسمٍ دارسٍ من مُعَوّلِ

تعال معي يا امرأَ القيسِ ودعنا نكتشفْ ما تخبئه لنا الحياة. ففي هذه المدينةِ الجاهليةِ كل شيء على مايرام. حاناتٌ تمتدُّ على طول شارع الكاهناتِ وبغايا مقدسات يرفعن الأعلامَ فوق سطوحِ منازلهن لقد أفرطنا في الشربِ ونسينا ما كان ينبغي علينا أن نفعلَه منذ البداية خذْ سيفَك اليماني، ذا القبضةِ الذهبية وارهنْه عند موثقِ العهود اليهودي واشترِ بدلةً عصريةً تليقُ بك. بعد ذلك سوف آخذك إلى الحلاقِ ليجز لك شعرَ رأسك ويحلقَ لحيتَك الكثةَ بالصابون ويهذب شواربَك المضحكة. فبقليل من العطرِ وربطةِ حمراء وحذاء ايطالي من جلدِ الماعزِ سوف تبدو واحداً مثل الجميع وتضيعُ في الشارع بين الناس.

مكتبة الفكر الجديد

الحلة المسمومة

بعد كل هذه القرونِ أراكَ في أحلامي
على حصانِك الذي تقطعُ به القفار
طالباً الجوارَ من أفعى تكشرُ عن أنيابها
هارباً من خلعاء فُتّاك
سيماؤهم في وجوههم
اذ لا معاقلَ تحميك
ولا حصون.
أراكَ كنقطة في ذاكرةِ الله
تمشطُ شعرَ الريحِ
بيدِ السراب
في أطلالِ معبدٍ ضربه الزلزال
فتخلى عنك الحظ
وأنكركَ حتى الشيطان.
بعد كل هذه القرون
ثمة أحد يأتي ويأخذني إليك كل ليلة
فندخلُ سويةً على قيصرِ الروم
جالساً على عرشِه الأبنوس

مكتبة الفكر الجديد

تنحني أمامه فيضعُ يدَه على رأسِك
ويقبلك في جبينِك
خالعاً عليك حلته الذهبية
فترتديها قاصداً الحفلة
غيرَ عارفٍ بالسم الذي يسري في عروقِك.

سوف تموتُ يا امرأ القيسِ
المرةَ بعد المرة
نفساً نفساً
وما من طبيبٍ يعرفُ دواءَ لدائِك.

مكتبة
الفكر
الجديد

الزائر الليلي

في الليلِ اذ تأتي اليّ جالباً في خُرْجِ آبائك في الصحراء
هيمةً بيضاء
تدلفُها أمام بابِ شقتي
وتدخلُ الصالة
مختبأً عن أعين الأعداء
انهضُ مسروراً أقولُ: مرحبا، يا مرحبا
أيا امرأَ القيسِ، أَيا صديقيَ القديم
إجلسْ وحدثني عن الأَيام في قطارِها الغادر!
ماذاجرى؟ ماذا رأيتَ أيها الشاعر؟
معاتباً تقولُ لي: أهكذا تستقبلُ الرفاقَ يا فاضل؟
مرتبكاً أغيبُ عنك لحظةً
ثم أَعودُ حاملاً إليكَ كلَّ ما معي من خمرةٍ
في بيتي المسكونِ بالأَشباح
نجرعُها في نخب العالم في حفلته
في نخب الأحياء والأموات
نضحكُ من أنفسنا
في الليلِ إذ نعبرُ كهفَ الموتِ في مملكةِ الظلال

مكتبة الفكر الجديد

يتبعُنا الفرسان
مثل لصوص يوقدون النارَ في طريقِهم
آثارُهم تسفها الرمال
يحدقون خلسةً فينا ويضحكون
لكنني إذ ألمحُ الدموعَ في عينيك
تضيءُ مثل أنجم مرمية في الماء
أمسحها مواسياً، أقولُ: لا بأس عليك أيها المجنون
كل الغيوم تنجلي في هذه الصحراء!
تنظرُ فيَّ صامتاً ولا تقولُ أي شيءٍ،
مُنصتاً للجرسِ الواهي الذي يدقُّ في ماضيك
ثم تقومُ مسرعاً من دونما وداع
وتتركُ الصالة
منحدراً في ليلِك الأعمى إلى الشارع
وخلفك الأعراب
يعوونَ في الظلام.

مكتبة الفكر الجديد

خولة المالكية وعبدها العاشق طرفة

الغزالة النافرة

لخولةَ، تلك الصبيةِ المالكيةِ، بعينيها المكحولتين
كغزالة نافرة في البرية
أسرار كتمتها في صندوقِ قلبِها المتيمِ الذي رمته في اليم
معلقةً مفتاحَ بابِه المغلقةِ في عنقِها الطويل
تاركةً عبدَها العاشق
يطوفُ حول بَرَقَة في الوادي
ويلثمُ ترابَ قدميها المقدسَ بفمه
بعد أن بدد آخرَ ما أبقته له من عقل
في نظم القصائد وشتم صروف الدهر
اذ راح يرى الجمالَ مراكبَ ساريةً في محيطِ الظلمات
والحداةَ قراصنةً شريرين
يبزغون فجأة بأعلامِهم السوداء من سُدَفِ الأزمنة
بين أسنانِهم الخناجر
ناهبين كنوزَ الملكِ سليمان المطمورةَ في الأطلال
تحت صليلِ السيوف
ودوي المدافع.

مكتبة الفكر الجديد

لقد انتهت قصتُك أيها الشاعر.
ملاّحُكَ فقدَ خرائطَه في العاصفة
وغزالتُك خذلت أولادَها
لاجئةً إلى خميلة الأقحوان
والنسرُ الأبيضُ نشر جناحيه في السماء
ملاحقاً القافلةَ التائهة
منتظراً فرصتَه لينقض على الفريسة الجريحة
لم يعد لك ما تفعله هنا يا طرفة بن العبد
حتى الوحوش كَنَسَت في مخابئها
فاذهبْ وقفْ على قنطرة الرومي
وارمِ بنفسك في النهر
الذي ربما جرفتك أمواجُه الصاخبة
في لعبةِ الأقدار
الى أميرةِ قلبك المجنون
فتفوزَ بنظرة أخيرة منها
وتموتَ شهيدا.

مكتبة الفكر الجديد

في شارع الأيام

لخولةَ جنّيٌ يجر بعيرَها
يسير بها عبر القفارِ فيهتدي
وفي الليلِ إذ تعوي الذئابُ وراءنا
يُضيءُ بفانوسِه بَرقةَ ثَهمدِ
فنعبرُ ودياناً تفزُّ نسورُها
ونشهدُ أعراباً على ظهرِ برجدِ

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم
ويا أيها الجني لا تتمردِ
وقوفا هنا الفردوسُ يفتح بابه
ملاكٌ أسير في حديقة معبدِ
يُشيرُ الينا هاتفاً: كلَّ ليلةٍ
يمرُّ السكارى في الطريقِ المعبدِ
فسرْ أيها المجنونُ، حظك وافرٌ
على شارع الأيام لا ترددِ

مكتبة الفكر الجديد

ففي كل أرضٍ خولةٌ مالكيةٌ
وفي كل وادٍ مُلتقى دون موعدِ
وقوفاً هي الصحراءُ حانةُ عاشقٍ
فدعنا نمت تحت الخباءِ المعمَّدِ

مكتبة
الفكر
الجديد

لم يبق أحد غيرك في الحانة

في كل ليلةٍ أرى جاريةً ترقصُ فوق مسرحٍ
في قرية محتلة تنام في جزيرةٍ
ينتظرُ اللصوصُ في وديانِها
قافلةً تعودُ في الظلام
من وليمة الأَشباح
حافلةً تقل قديسين في الفجرِ إلى الجنة
ومرةً تقل طابورَ شياطين إلى الجحيم
حديقةً يجر فيها قنفذ أفعى تعض طائراً
مرفرفاً يقطرُ منه الدم
ويدخلُ المغارة.

في كل ليلةٍ أرى موكبَ أَسلافٍ يسيرون إلى نبعٍ من الدموع
وغيمةً تُمطرُ، أشجاراً تئنُّ إذ تمر الريحُ في بستانِها
هاويةً بفأسها على الغصونِ تارةً
وتارةً أُخرى على الجذوع
وفي السماءِ يكمنُ القمر
منتظراً عشاقَه، يشكون في وحدتِهم

مكتبة الفكر الجديد

همومَهم اليه حتى يُقبلَ الصباح
كفارس تدفعه الرياح
يسيرُ في المطر.

في هذه الحفلة
لم يبقَ في الحانة
سواك يا طرفة
كل السكارى غادروا
فاشربْ وحيداً كأسَك المرة حتى القطرة الأَخيرة
واخرجْ إلى جلاّدِك الواقفِ خلف الباب
منتظراً إياك تحت سُلّم الأيام
ليغمدَ الخنجرَ في قلبِك!
في هذه الليلة
لم يبقَ غيرُ نادلٍ قد أثقلَ النعاسُ عينيه
فدعه يطفىءِ الأَضواء
ويقفلِ الحانة
أَسْرِعْ إلى الجلاّد!

مكتبة الفكر الجديد

حنين ميسون، زوجة الخليفة معاوية إلى الصحراء

إعطني ثوبَ صوف وفؤاداً خالياً من الهم
وانصرفْ أنت بكل ثيابي الحرير!
إعطني خيمةً في الرمال تعصفُ الرياح بها
واسكنْ بدلا عني قصري المنيف!
هاتِ لي بعيراً أمتطيه في البراري
وانطلقْ أنت سعيداً بعربتي الذهبية
الى حيثما تشاء!
دعْ كلب قومي ينبحْ على الغريب المسافر
وخذْ إلى بيتك هذه القطة المدللة الكسول!
أطعمني كسرةَ خبز يابسٍ في ركن كوخ
وكُلْ وحدك يا سيدي كعكَ الأمير!

مكتبة الفكر الجديد

إسمع يا نوح!

إسمعْ يا نوح!
لقد شيّدنا دائما بأذرعِنا الهزيلة
سدوداً عاليةً جديدة
ضد الطوفاناتِ القادمة.

كلما غرقت سفينةٌ
بنى النجارون سفينةً أخرى.
ذكرياتُ المستقبلِ وحدَها
هي الأمل.

أنينُ الغرقى
يُسْمَعُ في كل العصور.

معجزتُنا هي أَننا قد ظللنا على قيدِ الحياة.

مكتبة
الفكر
الجديد

نواح المغني القديم

منفياً إلى العالمِ السفلي
جالساً على العشب في حديقة الأيام الماضية
ينوح كما الشيطان نفسه
سارقاً آهاته الحرّى من قلوب العشاق
ليطلقها كأفاعٍ مخبولةٍ في سراديب روحه المظلمة
داعياً سُكارى العالم كله إلى وليمته.
أُمراء مكيون وسادنو أحلام
يقرفصون أمامه صامتين على الرمال
جارعين خمورَهم في نخب الحياة
فيما ضاربو الدفوف يحومون حول الضحية
ويرقصون
ناهبين نيران زمانهم من الأَسلاف.

كنتُ أراه هناك يغني دائماً كمن يحملُ قلبَه في كفه،
صاعداً تارةً إلى آخر برج في السماء
هابطاً تارةً إلى آخر كل الجراح
فيما الموتى ينهضون ويقبلون يديه،

مكتبة الفكر الجديد

لحاهم منداةٌ بالدموع،
والأحياءُ يخلعون عليه حلل الديباج.

لكنك اليوم وحيد أيها المغني ومنسي
مزمارُك كسرته حدثانُ الزمان
وصوتُك الملائكي يغطيه الغبار.

عجوز من زمان آخر
يغني وحيداً في شارع الخسارات
وعلى وجهه قناع اللباد.

قيل كان يضربُ بالعود
وقيل مات بالجُذام.

مكتبة
الفكر
الجديد

أرميش المخالف(*)

كان ثمة مارد يُدعى أَرميشُ المخالف
يفعلُ كل ما تطلبه منه بالمعكوس.
فإذا ما قلتَ له: اصعدْ بي إلى السماء
هبطَ بك إلى الأرض
وإذا ما رجوتَه: لا تقتلني
جردَ حسامه من غمده وقطع رأسك.

مسكين أرميش المخالف
لقد اكتشف قبل الجميع
أن العالم يسير بالمقلوب.

(*) أحد أبطال سيرة الملك سيف بن ذي يزن.

مكتبة الفكر الجديد

انشودة اللامطر

مع الإعتذار من بدر شاكر السياب

مطرْ
مطرْ
مطرْ
في كل يومٍ يسقطُ المطرْ
وتُعتِمُ السماءُ، والغيومُ تطردُ القمرْ
تنطفىءُ النجومْ
وتذهبُ الشمسُ إلى سقرْ
نهارُنا ليلٌ بلا انتهاءْ
وليلُنا تسوطُه الرياحْ.
جميعُنا في زمنِ الغيومْ
يقتلنا الضجرْ.

مطرْ
مطرْ
مطرْ
غاباتُنا معتمةٌ من دونما ضياءْ

مكتبة الفكر الجديد

حقولُنا أفسدَها المطرْ
وكلُّ ما كنا زرعناهُ هنا
زاداً لمن يأكلُ من ترابِنا المبلولِ بالدماءْ
قد جرفت حصادَه السيولْ.

مطرْ
مطرْ
مطرْ
وكلُّ عامٍ نقصدُ الجبالْ
ونرفعُ الأكُفَّ بالدعاءْ
لتوقفَ السماءْ
دموعَها الثقالْ.

مطرْ
مطرْ
مطرْ
أعترفُ الآنَ لكم أني مللتُ قصّةَ المطرْ
فها هو الحنينْ
يَخضني للشمسِ والقمرْ
لزرقةِ السماءْ
تعبرها النجومْ
للنومِ في منتصفِ الليلِ على السطوحْ
للصيفِ في بغدادْ

مكتبة الفكر الجديد

لآبه اللهابِ، للحاناتِ في أواخرِ المساء
لضجّةِ المارةِ في الشوارعْ
لصائدي الأسماكِ في دجلة
لنزهة النساءِ في الحدائقْ.

مطرْ
مطرْ
مطرْ
فليذهبِ المطرْ
وكلُّ من يذرفُ في الطوفانْ
من أجلهِ الدمعَ إلى الشيطانْ.

شمسٌ قمرْ
شمسٌ قمرْ
شمسٌ قمرْ
وفي العراقِ عيدْ.

مكتبة الفكر الجديد

أعراب تحت سماء غريبة

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

في حروب حياتي الماضية

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

الأسد والحواري

إن كنتَ حواريا، منقوشاً إسمه في لوحِ الشهداء
فأنا الأسدُ الفاتكُ أربضُ قدامك في الحلبة
إحلمْ ما شئتَ بجناتِ الفردوس
فيما أنا أنهشُ أوصالك حتى العظم
آه، لا تلعنّي أنت العارفُ أنا نحن الإثنين
سنؤدّي واجبَنا المكتوبَ علينا في هذا العالم
متحدين
فاصعدْ فرِحاً منتصراً نحو سماء الخُلد فيما نحن أسودَ الغابة
سنظل نزمجرُ فوق الأرض هنا
نفترسُ القديسين.

مكتبة الفكر الجديد

اريد ان اغير نفسي

بعد كل ما مُنيتُ به من خسائر فادحة
وجروح دامية
في حروب حياتي الماضية
فكرتُ كم أنا معرض للعطب
لذلك جلستُ أتأمل ما يمكن أن أفعله بنفسي
لأرمم خرائب روحي.

أعتقدُ انني أحتاجُ إلى أن أستبدل أعضاء جسدي
قطعةً قطعة
بعضَها على الأقل
مهما كلف ذلك من ثمن
لأكون جديراً بأيامي السعيدة القادمة
أعتقدُ انني أحتاج الى:
مضخة جديدة داخل غلافها لقلبي المضنى
لأحبَّ ما شئتُ من النساء

مكتبة
الفكر
الجديد

[illegible] مسولة جيدا من القطران والنيكوتين
[illegible] الغازات السامة
[illegible] م رائحة الشوارع بعد المطر
[illegible] صاب من الحديد
[illegible] ون قادراً على تلقي صدمات القدر
[illegible] رة دموية زاخرة بالكريات الحمراء والبيضاء
لا أبرع بالقليل منها
[illegible] ضحايا الحروب القادمة.

أحتاجُ الى:
معدة مدربة تهضمُ حتى الحجر
أسنان قاطعة أعض بها البرابرة المنحدرين من الجبال
صدر واسع لأكون رؤوفا بالأصدقاء الخائنين
أطراف طويلة للفوز في المسابقات الاولمبية
وشفاه رقيقة للقبلات.

ماذا يهم إن كنتُ أصلع بعد ذلك؟
شعري القليل
ستمشطه الريحُ إلى الوراء.

مكتبة الفكر الجديد

الكبد والطحال
سأتركهما على حالهما
إذ لا يزال فيهما بقية من رمق
ـ علي أن أقتصد في نفقاتي قليلا ـ
ورأسي سيدبر حاله بنفسه كالعادة
ما دام فيه كل هذا الدماغ.

المهم أن أبدو كما تقتضي الحال
وأن أُشبه نفسي ولو من بعيد.

مكتبة الفكر الجديد

في وليمة التاريخ

في الرواقِ المظلمِ الطويل
يجلسُ القتلةُ والفاتحون إلى المائدة
تحت ضوء الشموع
ينتظرون وجبتَهم
فيما النُدُلُ
يخرجون من مكامنِهم
حاملين أطباق الظلام على رؤوسِهم
للضيوف.

كلهم سوف يشربون من الكأسِ ذاتِها
محدقين في المساءِ بين الأشجار
مواكبُ الجنودِ تهللُ في الشارع
رافعةً الأعلام
والقمرُ سيُطِلُّ من النافذة.

مكتبة الفكر الجديد

حينما ينتهون
سوف نجلسُ نحن أيضا
الى المائدة
لنأكلَ مثلهم.

مكتبة
الفكر
الجديد

لكل منا شجرته

ثمة البادية تسفُّ رمالها أمامي
والحصانُ يصهل في الإسطبل من الملل.

لذلك حملتُ متاعي القليل ومضيتُ
الى أبعد واد في المستقبل
لأنثر بذاري.

لا تقلْ للذاهب أبداً: عد إلينا!
ما سيبقى منه كثير أيضاً.

العين تشتعلُ بالموجة في البحر
فيما الغيمةُ تحجبُ القمر.

لكل منا شجرته التي سوف تثمر يوما ما
في الحياة.

مكتبة
الفكر
الجديد

مياه كثيرة جرت في الأنهار

مياه كثيرة جرت في الأنهار
فجلستُ على شواطئها أرصدُ الأمواج
والنارُ سرت في الغابات مخلفة لي الرماد
فكنسته بالمغرفة
ونثرته في الرياح.

أنت تعرف أن كل مركب صعدناه
أغرقته العاصفة
والأمواجُ جرفتنا إلى آخر العالم
ماذا يهمنا بعد ذلك
إن بنينا ممالكنا في العراء؟

ثق انني لن أحزن
إن تساقط شعر رأسي قليلا
او اقتلع الزمانُ بملقطه المخيف
أضراسي
ما دام أصدقائي يحبونني

مكتبة الفكر الجديد

دما أنا
وأنا ألتهمُ حتى الحجر.

سأظل فتى يافعا أبدا
المنفى وحده يهرم.

مكتبة
الفكر
الجديد

حافلة في الليل

أصعدُ في حافلة ملأى بسكارى ومجانين
يغطون كأسرى في قاربِ نومٍ مُلقى في اليم.
يسألني السائق:
- وين رايح وين؟
قل لي لأدبرَ أمرَك يا ضيفي
لا بأس عليك، هناك محطاتٌ كثر أخرى
تهبط فيها
إذ ثمة حراسٌ موتى ينتظرون وصولك في القاعة
ليعودوا بك في الليل إلى بيتك.
أعرف أنك تعرف ذلك.
- لا أعرف شيئا
اللعنةَ، شكرا، قفْ دعني أنزلْ
لا يُعجبني هذا الباصُ الأعمى
مندفعا في أحشاءِ شوارعَ لا أعرفها
وأزقة موتى تقطنها الجرذان

مكتبة الفكر الجديد

أصرخ فيه
الحني أسمعه يسخرُ مني
بمضي أبدا منطلقا في الظلمة
لا يأبه بي.

مكتبة
الفكر
الجديد

موعظة النار

من فوق صليبي شاهدتُ يهوذا
مخفوراً يمضي بين الحراسِ يجر الخطوَ كسيفا
في كفه صرتُه الفضة
في قلبه كل رمادِ االعالم.

لا تعطِ النارَ لمن لم يسرق جمرتَها
الكلمةُ تكفي أن تشعلَ هذا الحطبَ اليابس
السحرُ الأكبرُ أن تهدمَ ما كنتَ بنيتَ لنفسك
أن تحفرَ في الروحِ عميقاً حتى تبلغَ آخرَ يُنبوع
في بيداءِ حياتِك.

من ماتَ سيرفعُ دعواه إلى محكمةِ النسيان
فيما الأحياءُ هنا
سيقودون ضحاياهم بالسوطِ إلى الفردوس
ليكون الإنسانُ جديرا بالحب.

مكتبة
الفكر
الجديد

أحفر قلب الأرض عميقا

سعداء كنا في زمنٍ ما
سعداء سنكون هنا أيضا
حتى إن بدت الأرضُ لنا أضيقَ من ثقبِ الإبرة
حتى إن هبط الليل إلى مملكتي
وانحدر النسر الجائع
من مكمنه فوق القمة
مندفعا في الريح الي ليطلبَ مني
أن أبسطَ للذئب البارح في صحرائه
مائدتي.

في التيهِ هنا سيقودُ الأعمى جرحُه
والرائي سيكون الشاهدَ
مهما اختلف المشهد.
لم أؤمنْ يوما بنوايا السحرة
فلكي أفتحَ للفجرِ نوافذَه
ألقيتُ شباكي في البحرِ
مع الطوفان

مكتبة الفكر الجديد

ونسيتُ السمكة.

أحفرُ قلبَ الأرضِ عميقاً
بيدي
وأنا أعرفُ أن لا كنزَ هناك.

مكتبة
الفكر
الجديد

تمثال في ميدان

احلمُ أني تمثالٌ
في ميدان يحملُ إسمي
فأجربُ أن أبدو مثل جنرال منتصر في حرب
بحمل أوزارَ ضحاياه على كتفيه
ويخطبُ في الليل عن النسيان
لأبرر مغتبطاً ثقة البشرية بي.
سيكون من الأفضلِ لي أن أرفعَ قبعتي أيضا
وأحيي الشمسَ تطل على الكرةِ الأرضية
فيما أتركُ تمثالي يهبطُ من دكته
ليخالطَ طابور ملائكة عائدة من منفى
ببلابل ميتة في أقفاص
جلبوها لي من صحراء حياتي
لكني أطلقها فوق رؤوسِ المارة
فتحلق عائدة نحو الغابة
تاركة ذكرى أغنيتها لي.

مكتبة الفكر الجديد

أسمال الحاضر

أمضي وحيداً أعبرُ الوادي المضببَ
قاصداً نهرَ الحياة
فأرى السماءَ بلا سماء
موتى بلا ذكرى يجوبون القفار
ووراءهم تعدو الكلاب.

هذا هو الماضي المجلّلُ بالسواد
في الليلِ يشحذُ من شوارعَ مقفرات
أسمالَه،
وينامُ تحت خرائبِ الأبَدِ المُباد.

يا أيها الشيطانُ قلْ:
ماذا تريدُ من المسافرِ دون زاد؟
لا بأسَ، خذْ من صرةِ التاريخِ أجرةَ يومِك الدامي وخذْ
كل اللآلئ من خزائننا المباحةِ للصوصِ وللغزاة!
إذهبْ، دعِ الريحَ الأخيرةَ تكنسِ الرملَ الذي غسلته في المآقي
الدموع

مكتبة الفكر الجديد

فعلى المسالكِ تنبحُ الروحُ الحزينة
وتجر خطوتَها كآلهةٍ مكبلةٍ بأغلالٍ على بابِ المدينة.

في غابة الليلِ المكللِ بالغيوم أرى جموعاً من جنودٍ ينحبون
يمضون في جرحِ الزمان
وعلى الدروبِ يئن طابورُ العصاة
في رحلة الموتى هنالك في الضباب
يأتي النذيرُ الي يمنحني يديه
يقودُ راحلتي على رملِ الصراط
فأعودُ ثانية إلى نفسي لأنسى رحلتي الحمقاء في بلدِ الخطاة.
ماذا رأيتَ هناك؟
كيف قطعتَ دربَ المستحيل؟
يا أيها الرجلُ البخيل
لا الشمسُ تشرقُ في مداك ولا النجومُ هي الدليل
وكما أتيتَ كعابر درباً سترحلُ من جديد
ستموتُ ألفا تارةً
وتعيشُ ألفا تارةً من دون نور
وصراخُك الواهي
ستجرفه الدهور.

آه، لقد حان الأوان
لتكللَ الماضي بتاجِه، أن تواسي دافنَ الموتى
وتطلقَ نسرَك الغافي

مكتبة الفكر الجديد

يحلقُ عالياً حتى النجوم
ماذا تريدُ من الحياة سوى الحياة؟

الليلُ يجلسُ في طريقي
ضوؤه القمريُّ يغسله الندى
بأصابعِ الأشباحِ تمرقُ في خليجِ الذكريات.

مكتبة
الفكر
الجديد

في خرائب الزمان

مقتفياً خطى الذئاب إلى النبع
ترى الحكماء يمرون واحداً إثر الآخر
منقبين عن ذهب الآلهة
قاصدين خرائبَ الزمان الميت
بقودهم بظلامِه العميق
الى سراديب بابل ليحتسوا خمرةَ الحكمة في حاناتها
قبل أن يسيروا بطيئاً في الدروب النائية
حافرين أنفاقهم في التراب
حيث الشمسُ الغاربةُ تلم أشعتَها الأخيرة
قبل أن يظهرَ القمرُ على الشاشة.

ليس الذهبُ هو ما أردتَ
وانما الجبلُ الذي ينبغي أن يُصْعَد
الخطوةُ وحدَها ستقودُك
الى الطريقِ التي ينبغي أن تُسلك
إذاك، إذاك فقط
ستعرفُ أنك لم تُنفق حياتك هباءً

مكتبة الفكر الجديد

وأنك قد فعلتَ كل شيء
لتكون وفياً لنفسك.

إذهبْ
هذا الطريقُ سيقودك حتماً إلى الجنة.

مكتبة
الفكر
الجديد

تفاحة نيوتن

أفنى إسحاق نيوتن حياته
وهو يراقبُ الأشجار في حديقة بيته
حتى رأى ذات مرة تفاحةً تسقط على الأرض
حينذاك فقط تذكر
أن ما ظل يشده إلى الكرة الأرضية
ليس قانون الجاذبية الذي اكتشفه بمحض الصدفة
وانما الأمل
في سقوط التفاحة إلى الأعلى.

مكتبة
الفكر
الجديد

في منفى آخر

في العاصفة المتروكة فوق بيوت نائية
لا شكلَ لها
مثل ظلام أبيض
مغسول بغبار الفجر الأحمر
نسمعُ صوت الريح
تجر الأشجار إلى الوادي
معولة مثل نساء في مأتم
حيث الموتى يندلقون
كأشباح شريرة
من فجواتِ الأبواب السرية
ماضين إلى الساحل
مقتاتين على النار المغسولة بالعشب
إذ مركبنا يلوي قيدومه
في البحر الصاخب
فنقومُ لنطلقَ في وجه العالم صرختنا
وندل الأحياءَ إلى أرضهم الموعودة.

مكتبة الفكر الجديد

يضطربُ البلبلُ سكراناً
في جرف خليج الشمس الفضي
ويغردُ فوق الأسلاكِ وحيدا.

أوه، من يعرفُ إن كان البحرُ سيحفظ ذكرانا
نحن ضحاياه الضالين!

تحت الصخرة
تنمو الظلمةُ في باطنِ ماضي الأرض عميقا
حربتُها المغروزة
في الجلد تحت حراشف قلب الأفعى
تطعننا المرة تلو المرة
حيث تمد الأمواج
أذرعَها الغصنية في الليل إلينا
وتجر بصمتٍ مركبَنا الجانح
نحو خليج الغرقى
فنطمئنُ أنفسنا بحياة أخرى
نبدؤها ثانية في منفى آخر.

مكتبة
الفكر
الجديد

الوثني الأخير

فيما تطردُ الريح النعاس
من عين الليل المفتوحة
والصباح يطل من علياته علي
مرتجفاً في البرد القارس
مخفياً شمسه خلف الغيوم
يهبطُ من وراء الصخور في الجبل
وثني وحيد يُشبهني
كأخ توأم قادم من وراء العصور
على كتفه غزالة اصطادها لتوه
خارجاً من مغارته في غابته البعيدة
يقف مهللاً على الحافة
مثل إشارة مرور منسية
ويلوحُ لي برمحه من بعيد، سعيداً:
ـ أنظر!
لقد وصلتُ اليك أخيراً!

مكتبة الفكر الجديد

الحصان الإنكليزي

صادقتُ ذات مرة حصاناً بلون الصباح
سرقه الأعرابُ من شرطة البادية في الحويجة
وجاؤوا به إلينا ليلاً تحت جنح الظلام
فاشتراه والدي بسعر التراب
ثم باعه غالياً لمساح إنكليزي في الـ IPC
قال انه سوف يرسله إلى لندن البعيدة
ليكون أعجوبةَ سباقها الدوري
لذلك أسميتُه شكسبير الذي لا يشق له غبار.

ظل شكسبير أسبوعا أو أكثر يسرح ويمرح في الحديقة
مقبلا نحوي كلما رآني فأسقيه الماء بكفي
وأطعمه المن والسلوى
ثم علمته الإنكليزية ليشق طريقه في بلد الغربة
بكتاب مدرسي عجيب يجعلك تتقنها في ٧ أيام بدون معلم
فراح يصهلُ ويركض ورائي فرحاً بين الأشجار
مشنفا أسماعي بمقاطع حفظها عن ظهر قلب
من مسرحية ماكبث الذي أمضى حياته في تدبير المكائد

مكتبة الفكر الجديد

حتى وصل صاحبه الجديد
بجزمته الطويلة، حاملاً السوط في يده
تفحص أسنانه قليلا قبل أن يقتاده إلى الإسطبل
واضعاً في كف والدي كومة من الدنانير.

حينما مضى شكسبير وراءه حزيناً
التفت الي برأسه وصهل قائلا:

Thank you, my little friend

I'll never forget you.

مكتبة
الفكر
الجديد

البصاص

من شرفتي هنا، مطلةً على حديقةٍ
أشجارُها تنامُ في الضباب
أتابعُ المساة داخلاً إلى البيتِ الذي يسكنه
كلب شقي ينبحُ الغيوم
وامرأة تجلسُ في غرفتها
قبالتي عارية تقرأ في رواية
ليس لها نهاية
أبطالُها يتحرون دائماً في آخر المشهد.

جسدها الغاطس في لجته
ليس وحيداً أبدا
ما دامت الشمعةُ في صحرائها تُضيء.

من يدخل المغارة
سيعبر النفق.
ماذا يهمني أنا من هذه الرواية؟

مكتبة الفكر الجديد

الليلُ في الشرفة
يزحف والكلب الذي ينبح ضجراناً على المقعد
يهدأ، والسيدة العارية الحسناء
تنهضُ من غفوتها وتطفئُ الأضواء
فيخرجُ الظلامُ من غرفتها
ويغمرُ العالم.

مكتبة
الفكر
الجديد

في غرفة الإنتظار

في غرفة مخنوقة بالدخان
أجلسُ فوق مقعد من نار
بين ضيوف صامتين
منتظراً موظفاً يخرجُ من مكتبه الكئيب
في يده إضبارة تعج بالأسرار
عن كل ما اقترفتُ من آثام
في عمري القصير
منادياً علي مثل حاجب في مجلسِ الشيطان
بصوتِه الرتيب.

ما أكثرَ الذين قبلي دخلوا الغرفة
وخرجوا في يدِهم كتابُهم باكين!

يا أيها الموظفُ اللعين
قلْ لي إلى متى أظل جالساً
في هذه الغرفة
أُنفقُ أيامي سدى وأهدرُ السنين؟

مكتبة الفكر الجديد

هاتِ اعطني كتابي
واكتبْ كما تشاء
كلّ الذي تريد.
ماذا يهم ساكن الجحيم
أن يبدأ اللعبةَ من جديد؟

فها هي الحياة
تنبضُ في روحي وفي دمي
أغسلُ في جدولها وجهي
أسمعُها صاخبةً تمرقُ في الشارع
تهتفُ لي باسمي.

يا أيها الموظفُ الجالسُ فوق صدرِنا
يا أيها الجاسوس
إطوِ سجلاتك، دورُك انتهى من عهدِ دقيانوس
متْ كمداً، متْ حسرةً
واهجرْ أخيراً هذه المهنة
فقد قضيتُ كل ما حكمتَني به هنا
وصارَ من حقي إذن أن أدخلَ الجنة.

مكتبة
الفكر
الجديد

الشرير

ـ ما الذي جئتَ تزرعه في حديقتنا أيها البستاني؟
ـ آه، جئتُ لأزرعَ الأرضَ شوكاً.
ـ لماذا؟ لماذا تفعلُ ذلك أيها الشرير؟
ـ لأجرحَ أقدامَكم الحافية أيها السادة.

ما الذي جئتَ تفعله في بيتنا أيها اللص؟
ـ آه، جئتُ لأسلبكم ما ليس لكم.
ـ ليس لنا ما ليس لنا.
ـ بلى، لكم دينكم
ولي دين.

مكتبة الفكر الجديد

في أوقات فراغي

أحياناً في أوقات فراغي الطويلة المملة
أجلسُ لألعب بالكرة الأرضية
أؤسس دولاً من دون شرطة أو سجون
وأحذفُ أخرى فائضة عن حاجة المستهلكين
أُجرى أنهاراً هادرة في الصحارى القاحلة
وأُنشىء قاراتٍ ومحيطات
أدخرها للمستقبل، خشيةَ الإملاق.

أرسمُ خارطة ملونة جديدة للبلدان.
أدحرجُ ألمانيا إلى المحيط الهادي الزاخر بالحيتان
وأتركُ اللاجئين الفقراء
يقودون بأنفسهم سفن القراصنة إلى سواحلها
في الضباب
حالمين بالجنة الموعودة في بافاريا
أستبدلُ إنكلترة بأفغانستان
ليدخنَ شبانها الحشيش مجانا
على حساب حكومة صاحبة الجلالة

مكتبة الفكر الجديد

أهربُ الكويت من حدودها المسيجة الملغومة
الى جزر القمر في كسوفه
مع آبار نفطها الوفيرة بالطبع
فيما أنقلُ بغداد وسط قرع الطبول
الى جزيرة تاهيتي
أتركُ السعودية تقرفص في صحرائها الخالدة
حفاظاً على نقاوة دم إبلها الوفية
قبل أن أسلم أميركا
الى الهنود الحمر ثانيةً
لأعيدَ إلى التاريخ
عدالتَه المفقودة.

أعرفُ أن تغيير العالم ليس سهلاً
لكنه يظل ضرويا رغم ذلك.

مكتبة
الفكر
الجديد

العائد من أعلى الجبال

حينما كنتُ أسيراً جالساً في ظل ظلي
مر بي الروحُ وأعطاني سجلي
كاتباً إسميَ في دفتره المحفوظ في لوح السماء
قائلا لي.
إمضِ في دربك واصعدْ هذه القمة مثلي
فمشيتُ الدربَ وحدي، تاركاً خلفي الوهاد
طارقاً بابَ حياتي
رائياً بين غيوم أمطرت ذات نهار
جسداً يطفو قتيلاً تقفُ الطيرُ على رأسه في بركةِ ماء
فعبرتُ النهرَ مرعوباً على قارب نار
حاملاً جثة أجدادي على ظهري الهزيل
واصلاً بيتي البعيد
في خليجِ المستحيل.

أيها الواقفُ ما بين محطات الطريق
أشعلِ النارَ على مفترق العالم
في الليلِ الطويل

مكتبة الفكر الجديد

ليراك السائرون الضائعون
وانتظرْ مبتهجاً في آخر الليل ضيوفاً مقبلين
بهدايا كثر خلفها الماضون في ماضي السنين
لك أنت الناهض العائد
من أعلى الجبال.

مكتبة
الفكر
الجديد

في حديقة المانية

أجلس فوق العشب، أرى أشجاراً
تهتزُ أمامي وتؤشرُ لي بغصون تتألقُ في شمس باردة
عصفوراً ينهضُ من غفوته
ويؤاخيني.
أتمددُ في هذا المرجِ المفروشِ هنا
كبساط مجاني لضيوف آتين من العتمة
فأرى سيدةً ترعى كلباً قصديري اللونِ، على رأسه قبعةٌ من قش
يعبرني مزدهياً، ينبحني. تبتسمُ المرأةُ لي.
ـ معذرةً هذا الكلبُ يهابُ الغرباء
لكنه لا يقصدُ سوءا.
ـ أعرف يا سيدتي، كلبي أيضاً يفعلُ ذلك.
أنهضُ من مجلس أحلامي
وأفكرُ في شمس ساطعة أخرى
تشرقُ لي وحدي.

مكتبة الفكر الجديد

قبل عبور الحاجز

جثث ترفع أذرعها في الغابات
لم يدفنها أحد
فاغرةُ الأفواه ومنسية
تتشبثُ دامعةَ العينين بنا إذ نعبرُها
إن هبت ريح سألتْ:
ـ من جاءَ يواسينا؟
جثث نتركها للوحشة
ونعزي أنفسنا.
آهٍ، كان عليها أن تعرفَ أنا لم نضمرْ غير الحب لها
حتى إن غطينا بأصابعنا أوجهَنا، مضطربين
مادين إلى العدمِ الواقفِ في مخفرِه الليلي
كمفتشِ أوراقِ سري
أيدينا بجوازات مرور زائفة
نحملُها أبدا معنا
قبل عبورِ الحاجز.

مكتبة
الفكر
الجديد

خرائط منسية

في بغداد قبل عشرين عاما
عرفتُ رجلاً غريبَ الأطوارِ
كان يسيرُ من شارع إلى آخر
وفي يده خرائط قديمة
منقباً عن كنوزٍ دفينة
في خرائبَ
تعج بالعقاربِ والأفاعي.

لم يكن الرجلُ مجنوناً
إذ كان ينحني لي كلما التقيتُه في الطريق
عارضاً علي أن يُشركني معه
في ثروته التي لم يكن يملكُ فلساً منها.
«لا تفقدِ الأملَ يا صاحبي أبداً!
كل ما تحتاجه هو أن
تحفر في الأرضِ عميقاً».

مكتبة الفكر الجديد

كان يقول لي مشجعاً.
لكن الرجلَ مات في النهاية
فغادرتُ المدينة يائساً
ناسياً حتى أن أحملَ خرائطه معي
الى المنفى.

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

فيلم تجري أحداثه في الأبدية

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

نسر جلال الدين الرومي الجريح

مالك الأسرار

قلْ لي يا سيدَ هذا الوادي كيف سأنهضُ من نومي
إذ ضوءُ نهارِك محجوبٌ عني
كيف أرى وجهي في المرآة
فبما صدأ الأيام
يُعشي عيني؟
آهٍ، قلْ لي
كيف يطيرُ النسرُ بعيداً حتى الغيمة
إن كان جناحاه كسيرين
وريشُه منتوفاً في الريح؟

من طمعي فيك أردتُ الكلّ، فصرتُ الكلّ بكلي
فلماذا تخجلُ يا مالكَ أسراري مني؟

مكتبة الفكر الجديد

الأعمى في الضوء

ما جدوى أن تُشعلَ ناراً في غابة؟
الأمطارُ ستأتي في الليلِ وتُطفئُها
إن كنتَ تريدُ حريقاً أكبرَ
فاشعلْ نيرانَك في حطبِ الأبدية.

الضوءَ
الضوءَ
الضوء
يصيحُ الأعمى
في الضوء.

مكتبة
الفكر
الجديد

الشوكة في رجلي

الشوكةُ في راحةِ رجلي
هاتِ الملقطَ كي أقلعها
الشوكةُ في قلبي
أي طبيبٍ ينزعُها؟

هذا الطفلُ سيبكي في مهدِه دنياه طويلا
مرتعباً من طول الرحلة
والشيخُ سيضحكُ في درب التيه كثيرا
مسروراً بكنوز أخفاها تحت صخور في صحراء
يا ويله من قلة عقله!

مكتبة الفكر الجديد

البحيرة كلها

ما همك
من الدنيا ودولابِها الدائر
ما دمتَ تعرف أن ماء جدولك المتدفق
سوف يملأ البحيرة كلها!

مكتبة
الفكر
الجديد

حماري البخيل

إمضِ بي، إمضِ
خرجُك طافح بالذهب والفضة
وأنت تبحثُ عن عشبة تعلفها
ما أبخلك يا حماري!

مكتبة
الفكر
الجديد

في مضيف حافظ الشيرازي

الحمار الطبيب

جالساً في مضيفِ حافظ الشيرازي
ربت على ظهري ثم رفع كأسَه وقال لي:
اشربْ يا عابر الوادي
قلتُ:
كلا، الطبيبُ نهاني عن ذلك.
فرد علي مطمئناً:
إشربْ!
فحينما تسكرُ يصير حمارك نفسه طبيباً.

مكتبة الفكر الجديد

نوح بعد الطوفان

بعدما نجّى اللهُ نوحاً من الطوفان
أمره أن يزرعَ الكرمَ في حقوله.
مذّاك والبشرُ يسكرون ويعربدون
حتى امتلأتِ الأرضُ فساداً وفجورا.

أيها الله إذا أردتَ أن تُغرقَ العالمَ ثانيةً
إجعلني نوحَك الجديد!

مكتبة
الفكر
الجديد

الثمل النائم في الحانة

صعد المؤذنُ فوق المنارةِ العالية
داعياً المؤمنين إلى الصلاة.
كلهم خرجوا ليقرضوا اللهَ على حسابِ الآخرة
أما أنا الثمل النائم في الحانة
فسأذهبُ إلى حوريتي التي تنتظرني في سريرِها
لتسدد لي نقداً
كل ديونِ حياتي عليها.

مكتبة
الفكر
الجديد

هنا فوق الأرض

سألني حافظ:
ماذا يوجد هناك في السماء؟
قلتُ: الجنة.
قال: نحن أيضاً نستطيعُ أن نحولَ الأرضَ إلى جنة.
فلنا هنا حدائق كثيرة وأنهار جارية
وحوريات من أجملِ ما خلقَ الله.
والحيةُ أيضاً سوف نجلبها
لتسلقَ الشجرة.
ماذا سينقُصُنا بعد ذلك؟

مكتبة الفكر الجديد

حينما أموت

سألني حافظُ في الحانة:
ما الذي تريدُ أن يقوله الناس عنك حين تموت؟
قلت وأنا أجرع كأسي حتى الثمالة.
إذا ما مت عددوا رذائلي كلها
ماذا يهمني ما ستقولونه عني؟
يكفي أنني كنتُ شاعراً.

مكتبة
الفكر
الجديد

بدلا عن الخنجر والسم

كثيرة هي آثامك، يا شكسبير
ودامية جرائمك
لذلك لا بد لي
من أن أسوي حسابي الطويل معك الآن
فقد جندلتَ روميو وجولييت
بدون رحمة بشبابهما
ودسستَ خنجرك الصدىء في يد عطيل الأحمق
ليطعن دزدمونة الجميلة
ثم تركتَ هاملت المسكين
يوسوسُ مع أشباح والده
كأي مجنون في الدانمارك.
لكن ما مضى قد مضى
عفا الله عما سلف
فانهضْ واصلح ما أفسدته يداك الظالمتان.
قل لروميو أن يقبل جولييت ثانية
ويعانقها أمامنا على المسرح
وسط تصفيق الجمهور

مكتبة الفكر الجديد

إعطِ عطيل خنجراً من بلاستيك للتمويه
ليمثل دور الزوج المخدوع في مسرحية هزلية
ثم استدعِ لنا شارلوك هولمز
ليحققَ في قضيته الشائكة.

هناك حلول أخرى دائما
بدل القتل بالخنجر والسم
أليس كذلك؟

مكتبة
الفكر
الجديد

في شوارع مقفرة مع بروفروك

دعنا نذهب يا T. S. Eliot نحن الإثنين
حيث يحك الليلُ الأسود ظهره بأظافره الطويلة
سائرين في ضباب شوارعَ مقفرة تأخذنا إلى الماضي
صاعدة بنا حتى نبع الزمان القادم
كشعراء يجلسون في مأتم
قبل أن نعود إلى بيتنا المظلم
لنستقبل ضيوفاً نسوا أن يأتوا إلى وليمتنا البائرة.
سقراط جرع السم وحيداً ليعلمنا الحكمة
والمتنبي الشاعر خر صريعاً في الصحراء
فالتهمته الذئابُ الكاسرة
تاركاً لنا مجده الأعمى
ماركس أجر بيته الزجاجي للملائكة في لندن
فقضينا أيامنا في فنادق رخيصة تضج بالعاهرات
في Ealing Broadway
منشغلين بالذهب الذي صار تراباً في أيدينا
وأنا الآخر قدتُ أيضاً بطل روايتي س ذات مرة إلى بغداد
ليشنق نفسه علنا تحت شجرة لبلاب

مكتبة الفكر الجديد

يائساً من العالم كله مثلنا جميعا
بعد أن هجره سكانه وهربوا إلى الكواكب الأخرى
بأطباقهم الطائرة التي أعدوها ليوم القيامة.

دعنا نذهب يا T. S. Eliot متنكرين إلى الحفلة
كقراصنة غرقت سفينتهم في البحر
دعنا نسهر حتى آخر هذي الليلة.

النساء البورجوازيات يسرحن ويمرحن هناك في الصالة
متحدثاتٍ مع عشاقهن عن الأصالة.

ماذا يهمك إن سمعتَ الحوريات يغنين على الصخرة؟
فهن لن يغنين لك أو لي بالتأكيد.

دعنا نذهب نحن الإثنين
في هذا الليل النائم مثل مريض بالإفيون
نتعقب ماضينا مغتبطين
في الطرقاتِ على الأقدام
قاصدين رجالاً يتكئون على بعضهم من الضجر
فيما العصفورُ الأبله الضائع
يزقزق على الغصن المكسور
في الشجرة المنسية.

مكتبة الفكر الجديد

أنت تعرفُ أنا قد أعدنا للزمان هداياه الرخيصة
وجلسنا وحيدين هنا في الغابة
رائين الفكرةَ تنمو في مملكة الظل
والزمانَ الدائم يتحد بالزمان العابر
خشية النسيان
حتى سمعنا الكلمة تُنطق أخيرا
والصوتَ البشري يرتفع ثانية من أجلنا.

منفانا بعيد وعميق كالنهر
لكنا لن نغرق أبداً
واثقين من أن كل شيء سيؤولُ في النهاية إلى الخير
والوردةَ وحدها ستكون الربيع كله
متحدةً بالنار.

مكتبة
الفكر
الجديد

المفاجأة

حينما استيقظ فرانس كافكا ذات صباح وجد انه لا يزال فرانس كافكا. هاتان اليدان هما يداه، هاتان الرجلان أيضاً، الرأس والوجه والفم كذلك. والأكثر من ذلك انه كان لا يزال قادراً على الحب لذلك تناول فطوره مسرعاً، كما يفعل كل يوم، ثم ارتدى بدلته الرمادية وخرج إلى الشارع، قاصداً الذهاب إلى العمل.

وهكذا رأى ما أثار عجبه. كان الناس قد تحولوا إلى صراصير كبيرة، تزحف من مكان إلى آخر، ناسية حتى تاريخها، مبتهجة بحياتها الجديدة. أراد أن يهرب، لكن ألف غريغوري سامسا أحاطوا به من كل جانب وراحوا يوصوصون فيما بينهم:

- من أين جاء هذا الصرصار الغريب إلى مدينتنا وكيف؟

مكتبة الفكر الجديد

في ساحة لينين في برلين

هناك في الساحة
ماداً ذراعيه إلى الأمام دائماً، كمن يتوسلُ إلى المارة ليصغوا اليه
مرتدياً معطفه الأسودَ وفوق رأسِه بيريته الرمادية
رأيته يبشرُ العمالَ بالثورة
والبورجوازيين بالجحيم.
لم يكن يملكُ حتى كرسياً يجلس عليه
لذلك ظل واقفاً حتى النهاية.

حينما أمسكوا به
وجدوه نائماً يحلُم فوق دكته العالية
فقطعوا جسدَه المتقرنَ بالمنشارِ الكهربائي
ناقلين رأسَه الرخامي برافعة مستأجرة
الى مخزن لحفظ الآثار القديمة.
العمالُ وحدهم كسوا ساحتَه المعشبةَ بالإسمنت المسلح
خشيةَ أن يسرقَ اللصوصُ ترابَها الثمين.

مكتبة الفكر الجديد

دم كثير التصقَ بأحذيتنا
ونحن نسيرُ وراء جنازته
في الشارع.

داسفيدانيا!

مكتبة
الفكر
الجديد

في نخب الثورات المغدورة

منطلقاً بقطار مزدحم بضيوف غرباء
فارين إلى الدنيا من فندقهم في الفردوس المفقود
ألقيتُ رحالي في حاضرة بين الجنة والنار
يتبعني مثل ظلال تلهث خلفي شعراء العالم كله
فاذا بألوف القتلى المنسيين
في الغابات الإفريقية
في الثلج الغامر سيبيريا
او في. . .
او في. . .
يحتشدون على أرصفة الطرقات
ليحيوني أنا شاعرُهم في ليل الثورات المغدورة
لكني حين وقفتُ على الدكة
لأغني ممتدحاً شعبي كمقاتلِ حرب عصابات بعد النصر
منحدر من شِعْب محترق في جبل محجوب بالأشجار
تحت الرايات الحمراء المرفوعة

مكتبة الفكر الجديد

بقصائد عن أعناق القديسين المقطوعة
خرج الشيطانُ وراح يناديني:
اسكتْ، أسكتْ!
أفلا تذكرُ أيامك إذ كنتَ صباحاً تأكل قلبك؟
ومساء تجرعُ من كأس التاريخ الأعمى في الحانات؟
هل تنكرُ ذلك يا الشاعر؟
فليعشِ الشاعر!
فليسقط!

صار الموت قريبا منا
بسكاكين رأيناها تبرقُ في أيديهم
وفؤوس أخفوها تحت معاطفهم
فتيقنا من أن القصابَ سيذبحنا
قبل وصول النجدة
لكن صديقي الشاعر رامبو العائد من كوميونة باريس
وهو العارف بالعادات الشعبية
أخرجَ من حافلة واقفة في الشارع
برميل نبيذ وزعه مجانا،
فشربناه جميعا في نخب الثورات المنسية
ورقصنا حتى فجر الإنسان القادم

مكتبة الفكر الجديد

من آخر ليل في الأبدية.

منسلين أخيراً في العتمة
شاهدتُ الشيطان الغادر
يفتلُ مسروراً شاربه
في ضوء المصباح الواهن
ويغني قصته ثانية
بين الناس.

مكتبة
الفكر
الجديد

في رثاء شبح

«إلى الف طاغية في التاريخ»

من حقي الآن أن أحذفَ إسمك من ذاكرتي
وأن أنعمَ بدونك بما تبقي لي من حياتي القصيرة
آمناً من خنجرك المسموم، يطعن قلبي
مهما حاولتَ أن توهمني بأنك لا تزال حياً
وبأنك ستنهض ثانية
فأنت لستَ العنقاء ورمادك قد بددته الريح
واذا ما أردتَ الحق فإنه ما كان ينبغي لك أن تولد أبداً
لأن أمثالك لا يأتون إلى العالم
الا بسبب خطأ في قانون الطبيعة
وسواء أعرفتَ ذلك ام لم تعرف
ومن سوء حظك أنك لا تعرفه
فأنت لستَ سوى ماكنة للموت والعذاب
شبح خرافي هابط من أزمنة الصفر
قادم من زمان لا زمان له
يظهرُ فجأة
ثم يختفي مخلفاً وراءه آلاف آلاف الضحايا

مكتبة الفكر الجديد

فلا يتذكره الناسُ بعدئذ
الا مثلما يتذكرون طاعوناً اجتاح مدنهم وقراهم
او لعنة حلت بأرواحهم وأجسادهم
وربما أقاموا لك تمثال شيطان يمسك ذيله بين أسنانه
واقفا أمام باب الجحيم
يرجمه الأطفال بالحجارة
في طريقهم إلى المدرسة.

قبل سنين طويلة حين وصل جنودك ذات ليلة معتمة
ممتطين دباباتهم الهادرة إلى مدينتنا المستباحة
منحدرين من القرى البعيدة والجبال الوعرة
لم نملك ما نقاومهم به سوى أظافرنا وأسناننا
ولقد خدشناهم وعضضناهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا
حتى وجدنا أنفسنا محاصرين في بيوتنا
أطفأنا شموعنا وقرفصنا على الملاط البارد
منتظرين قتلتنا في الظلام
من مكامننا رأينا مدننا تحترق والأسوار تنهار
كل ما بنيناه بأذرعنا المنهكة جيلا بعد آخر زال في طرفة عين
كل ما عشنا من أجله انتهى
كل ما أحببناه لطخته الدماء
من الأحياء البعيدة المنسية تصاعد إلى أسماعنا المرهفة عويل
النساء ونشيج الأطفال
وفي الأسواق تكومت جثث جنودنا القتلى كتلال متناثرة

مكتبة
الفكر
الجديد

هناك في العتمة جلسنا وانتظرنا وصولك أيها الإمبراطور
تصطك أسناننا من الرعب
حتى رأيناك من ثقوب أبوابنا المهدمة المحترقة
تعبر المدينة، شارعاً بعد آخر
مزهواً في عربتك الذهبية
محروساً بجنودك المدرعين بالحديد والأحقاد
يفيض وراءك الطوفان
حينذاك أيضاً تشبثنا بكل ما أحببناه دائما
أما أنت فقد ثقبتَ كل سفينة للنجاة
لأنك لم تعرف كيف تكون الحياة
ما أقسى قلبك أيها الإمبراطور!

أرجوك ألا تنزعج إذا ما اعتبرتُك من فصيلة أخرى
فأنت نفسك ما اعتبرت نفسك واحداً منا
وربما حزنتَ إن قلت لك إنك ستموت أيضا
مثلنا جميعا
إذ كيف يموت من كان هو نفسه الموت!
ولكن لا تقلق، فثمة كثيرون قبلك
ظلوا ينازعون فوق أسرتهم الوثيرة
أعواماً طويلة
مرعوبين من فكرة أن يضيع سلطانُهم أخيراً
ثم انتهوا في غمضة عين
مثلما ينتهي كل شيء في كتاب القدر.

مكتبة الفكر الجديد

لاينبغي لك أن تصمت الآن
أعرف أنك كنتَ ترى نفسك إلها
حتى إذا أنكرت ذلك تواضعا
ولكن لا تخجل، يمكنك أن تقول لي ذلك بالفعل
ثق أنني سوف أصدقك
لأن كائنا مثلك لا يمكن إلا أن يكون إلها
فأنت وحدك كنت تمنحنا الموت، إذا شئت
وأنت وحدك كنت تهدينا الحياة
كنت تعتبر نفسك شقيقاً لنبوخذ نصر وأتونوبشتم
من ضلعك خرج كلكامش، مصارعاً الوحوش في أوجارها
بيديك عجنت طينة آدم وبفمك نفخت فيه الروح
أنت الذي أعطيت موسى عصاه التي رماها
أمام سحرة فرعون فإذا بها حية تسعى
وأنت الذي أمر البحر فصار طريقاً معبداً بالاسفلت
سار فوقه المسيح
ليكون آيَتَك إلى الأجيال
صدقني أنني سوف أصدقك لو قلت لي
إنك إله خارج من العدم
إذ لا يوجد فوق الأرض كلها من يملك سلطانك
مملكتك هي الكون في امتداده
ورعاياك هم البشر في الأزمنة كلها
في حضورك لا أحد يملك إسمه
الطيور نفسها تنسى أجنحتها

مكتبة الفكر الجديد

فتظل تحدق فيك، مزقزقة في بلاهة
والأسود تموء منهكة فلا تنهض ثانية
صدقني أنني سوف أصدقك لو قلت لي إنك إله آخر
سوى أنك ـ ويا للأسى ـ إله شرير
خرج من رحم الظلام، لا من نافذة النور
يداك ملوثتان بالدم
وقلبك من حجر سجيل.

لا أحقدُ عليك وإنما أحزن لك
فأنت في أوج مجدك لم تكن في نظري أكثر من ممثل بائس
كنت أسند إليك أدواراً مسلية لتمثلها
وأنا أجلس في المقهى أحتسي فنجان قهوتي
كنت أشد على يديك جناحي طائر وآمرك بالتحليق
بكامل قيافتك الإمبراطورية
والنجوم الملتمعة على كتفيك في الفضاء الكوني
أحياناً كنت أستبدل حصانك الأبيض
بحمار يعدو ناهقا بين المجرات
تحيط به فيلة وأسود وأرانب وغزلان
وتحلق فوقه سفن فضاء قادمة من كواكب بعيدة
أحياناً كنت أجعلك تختبىء داخل مغارة ما
ثم أبحث عنك مثل طفل يلعب
فأجد العنكبوت قد أكمل نسيجه
والحمامة تحتضن بيوضها

مكتبة الفكر الجديد

حينذاك كنت أقف أمام الفوهة وأنادي عليك ضاحكاً.
هذه اللعبة لن تنطلي علي، فلتخرج!
فتخرج حزيناً لاعناً ملائكة رحمتك التي خذلتك
فأظل أحدق فيك لحظات ثم أضع يدي فوق رأسك ملاطفاً
فتتحول إلى جندي هارب من الجبهة.

لا أنكر أني سأفتقدك إذا ما غبتَ عني
فلقد خلقتَ خرافتك الخاصة بك
مثل بطل في رواية رعب.
أشباح تقرع الأبواب ليلاً أو تقتحمها
جواسيس يتلصصون على بكاء الأطفال في الليالي
مدن تتنفس غازاً ساما
أمهات يرضعن أطفالاً موتى
قتلى بدون أكفان يخرجون من قبورهم العامة
ويخيفون السابلة في الطرقات
شعراء مؤدبون من كل جيل
يلقون قصائدهم أمام تمثال يرفع كفه عالياً مثلك
مطربون هواة يقبلون يدك المباركة
وضحايا يصعدون المشانق
مثلما يصعد المرء سلم بيته
صدقني أنك تصلح أن تكون بطلاً
في رواية ربما كتبتُها ذات يوم
واذا ما قررتُ ذلك فسوف نكون صديقين

مكتبة الفكر الجديد

مثل توأم سيام
فأنا لا أكره أبطالي مهما بدوا شريرين
صدقني أنني سأبذل جهدي
لأمنحك أفضل ما عندي
سأجعلك ترتدي أزياء العالم كلها
من السدارة حتى بدلة صيادي تيرول
وترطن بالانكليزية مثل مذيع في الـ B. B. C.
سأجعلك تسير في عرض عسكري
الى جنب كل أشقائك الخارجين من مزبلة التاريخ
مأخوذاً بهتاف الجماهير ترمي قبعاتها في الهواء
ماذا يمكن أن أفعل أكثر من ذلك لك؟

دعني أرو لك قصة خطرت على بالي الآن:
عرفتُ في زمان قديم مضى شاباً من مدينتي
كان يرسم ويكتب طلاسم عن تعليب الشمس وبيعها بالكيلوات
وعن حدائق إنسان تتفرج فيها القردة والزرافات والنعامات على البشر
كان مخبولاً بطريقة ما
حتى انه كان يأكل ويقرأ في آن
غارقاً في عوالم ملتبسة
ما كان أحد غيره يعرف أسرارها
ذات يوم اختطفه أتباعك من الشارع
ربما لشراء كيلو شمس منه

مكتبة الفكر الجديد

ربما للتسلية أو رغبةً في المزاح
فاختفى في مكان ما من معتقلاتك التي لا تُعد
ثقبوا رأسه بأعقاب أحذيتهم
ونقبوا داخل دماغه ليروا ما يحدث فيه
ثم جروه مثل فأر مذعور إلى محكمة عسكرية
جلس على منصتها رجل مهيب
ألصق على كتفيه صلباناً معقوفة كثيرة
ـ حسنا قل لنا كم شخصا قتلت حتى الآن؟
قال الرجل المهيب وسيجاره في فمه.
كانوا قد رأوا ذلك من الثقب الذي حفروه في رأسه
ـ لا أعرف يا سيدي، فأنا سيء في الحساب!
ثم صمت لحظات قبل أن يجهش بالبكاء.
ـ سيدي إنني أقتل الشياطين وحدها
في رأسي تقيمُ قبائل كثيرة منها
أقتلها لأكون طيبا ونبيلا مثلك، يا سيدي!
وهكذا مضى إلى السجن بدل المشنقة!
لكنهم لم ينتهوا منه حتى بعد أن دفع ثمن شياطينه كلها
فبين حين وآخر كان رجالك يختطفونه من الشارع
ثم يركلونه على قفاه بعد أيام
فيتدحرج فوق الإسفلت من سيارة مسرعة
وهو بين الموت والحياة
هل تعرف لماذا ظلوا يواصلون معه كل تلك اللعبة الدموية؟
أنت لا تعرف، ولكن أي فارق سواء أعرفت ام لم تعرف؟

مكتبة الفكر الجديد

أنا وحدي كنت أعرف.
كانوا قد حكموا عليه هو وشياطينه الصغيرة
وتجاره الذين يبيعون معلبات شمسه في الطرقات
وحيواناته الضاحكة في حديقة الانسان
أن يرتدوا زي دولتك الموحد
لا تقلْ لي إنك تملك جماهيرَ تصفق لك
حتى أتباعك هم ضحاياك
إني أرثي لك.

إسمعْ أيها الدكتاتور
لقد سرقتَ من عمري أعواماً أضعتها إلى الأبد
كانت عيون كلابك ترصدني وتتبعني من شارع إلى شارع
في الليل المعتم كان رجالك يقفون أمام نافذتي المضاءة، آمرين
بالنوم
وإذا ما رأوا أصدقاءَ يدخلون بيتي
أطلقوا النار على الباب وانصرفوا مغنين أناشيدهم المملة
كنت أستلم منك كل يوم
أوامر تمنعني من كتابة الشعر على هواي
أوامر تمنعني من إطالة شعري
أوامر تمنعني من ارتداء الجينز
أوامر تحرم الحديث في الجنس
أوامر تحرم الشعر الشعبي
أوامر تبيح الشعر الشعبي

مكتبة
الفكر
الجديد

أوامر بفصل كل بدين
أوامر بقوائم عن طول كل شخص وعرضه
أوامر بالاشتراك في مظاهرات تهتف باسمك
أوامر بإشعال الشموع أمام بيتي في عيد ميلادك السعيد
أوامر بأن أُسجنَ حتى الموت، إذا ابتسمتُ سرا مع نفسي
أوامر تجعلني مسؤولاً عن غروب الشمس كل مساء
أوامر بأن أكون جاسوساً على أقرب الناس الي
أوامر بأن يبلغ الإبن عن أبيه
والأب عن ابنه
أوامر تجعل الزوجة تدون أقوال زوجها على السرير
والزوج يُخبر عن آهات زوجته
أوامر تصنع شعراء يقبلون يديك
وكتاب قصة يسطرون أمجادك
مملكتك ملأى بفئران عمياء
تتبع عازف مزمار يقودها إلى البحر
تجرفها أمواجه الأبدية.

لقد سرقتَ من عمري أعواماً ما أكثرها
لا أُخفيك أنها كانت مليئة بمرارات كثيرة
سوف أظل أتذكرها طويلاً
لم تكن أيامي سهلة دائماً
ذات مرة ألقيتُ قصيدة في حديقة
عن رجل يصرخ في شارع

مكتبة الفكر الجديد

فاقتادني في اليوم التالي رجال يُشبهونك بشواربهم
الى شرطيين بشوارب أيضا
طلبوا مني أن أفسر لهم معنى المعنى
أنت تعرف كم هو صعب ذلك على شاعر مثلي
يكتب خارج كل معنى
من أجل معنى قد لا يكون له معنى!
كان الأمر مضحكاً حقا
فقد كتب أحد شعرائك تقريرا عني
الى شرطتك السرية
زعم فيه أن معاني تتضمن ألغاما تتضمن معاني
تتضمن ألغاما تتضمن
. . . . . وهكذا إلى ما لا نهاية له
صدقني لو كانت قصائدي تتضمن ألغاماً
او حتى صواريخ ألعاب نارية
لأعلنتُ قادسيتي أنا الآخر
محرراً قلبي منك
مرة والى الأبد.

في المعتقل إذ كنت معلقاً بخطاف
كخروف يعده القصاب للسلخ
وسياط جلاديك تحرق جلدي
فكرت في قصائد لم أكتبها بعد
قصائد هي من بعض أفضالك علي

مكتبة الفكر الجديد

ولذلك ينبغي علي أن أشكرك
رغم كل ما صنع الحداد بيننا
فلولاك لغابت أشياء ثمينة كثيرة عني
إنني أدينُ بأجمل قصائدي
لعواطف فجرها صراخُ ضحاياك في قلبي
ضحاياك الذين أسمع صراخهم الآن أيضا
بعد كل أعوامي في المنفى
أسمعُ صراخهم في الليالي المعتمة
في السراديب التي تنز ماء
في العيون المدماة
في الوجوه المطفأة
في صمت الأمهات يقفن منتظرات
أمام أبواب السجون
في المشانق المرفوعة في الشوارع
هل تعرفُ أي ثمن دفعناه من أجلك؟
أنت لا تعرف ذلك.
أما أنا فأعرفه
وهذا وحده ليس قليلاً.

دعني أروِ لك قصة أخرى
من القصص الكثيرة التي أعرفها:
لم يكن قيس بن الملوح عاشقاً يحب ليلى فحسب وإنما مخرج موهوب

مكتبة الفكر الجديد

تعلم الكثير من آيزنشتاين وهيتشكوك
أحد أروع الذين صادفتهم في حياتي
عندما أراد أن يخرج فيلماً عن الملائكة
طلبوا منه أن يدون سيرة حياته في الجنة
كتب عن كل شيء سوى عن حبه لليلى
كتب ما اعتبره كافياً حتى في نظر الشيطان
لم يقل كل ما يعرفه عن نفسه
إذ ثمة دائماً ما يقال وما لايقال في الحياة
من لا يعرف ذلك؟
عندما عثر جواسيسك الشاطرون على كنز حبه المخفي عميقاً
في بئر قلبه
حكمتَ عليه بالإعدام
وحذفتَ اسمه من دفترك العامر بالأسماء المحذوفة
دفتر موتاك السميك
مثل سجل البقالين
قبل يوم من موته طلبوا منه أن يوقع على ورقة
يطلب فيها عفوك
عن ذنب ما ارتكبه في حياته
لكنه رفض ليكون وفياً لحياته القصيرة.
قيس الذي سار ذات صباح إلى مشنقته وحيداً
لم يكن قد أكمل حتى عامه الرابع والعشرين
قيس يقف الآن وراء كتفي
محتضناً ليلاه العامرية

مكتبة الفكر الجديد

ويحدق فيك صامتاً مثل جميع ضحاياك الصامتين.

طوال أعوام منفاي الطويلة
لم أنسك لحظة واحدة
هل تعرف كم يوماً يعني ذلك؟
كم صباحاً؟
كم ساعة؟
كم دقيقة؟
كم ثانية؟
من الصعب أن أعد ذلك
ولا أريد أن أعده
سوى أن ابني الذي لا يعرف حتى اسمك
صار شاباً
سوى اننا صرنا جميعاً، أنا وأنت أيضاً، شيوخاً
بعد أن كنا نشاكس الفتيات في الشوارع
سوى أن الشجرة التي تركتُها في بيتنا في بغداد
قد هرمت الآن
سوى ان أطفالاً ما كانوا قد دخلوا المدرسة
صاروا جنوداً في جيشك وماتوا منذ زمن بعيد
سوى ان تماثيلك تناسلت في الشوارع
حتى اصبحت شعباً آخر من مؤيديك
سوى انك قدت ألوفاً بعد أخرى من الناس إلى حتفها
سوى ان العالم صار ضيقاً عليك

مكتبة الفكر الجديد

سوى انني مللتُ منك
فاسمح لي أن أطوي صفحتك إلى الأبد
صدقني، ذلك أفضل لك ولي.

أيها الديناصور الهارب من تاريخه
إنني أعيدك إلى مغارتك.

١٩٩١

مكتبة
الفكر
الجديد

فيلم تجري احداثه في الأبدية

ليس هذا هو كل شيء، ولا هو ما أعنيه بالضبط
لأن اخضرار الشجرة يُنبيء عن الربيع الزائل فقط
لأن الولادة تعسر على الأم المتروكة في الغابة
تحيطُ بها الذئاب المعولة
ليس أسوأ من أن نجلس هنا وننتظر وصول الملائكة
مسرعة في عربة تسوط خيولها الآمال
لكي لا نخطيء ثانية رغم دروس حياتنا الماضية
ليس أسوأ من أن نختار ضحايانا بالقرعة
من كتبنا القديمة المنسيةِ على الرفوف
تاركين ماجلان يصل إلى جزيرته في الفليبين
ليعلمنا ما كنا قد عرفناه دائما
وكولومبوس يُعبيء أقفاصه بالببغاوات
عائداً إلى ملكته الحسناء بالذهب والفضة
فيما الهنود الحمر يتشبثون بأذيالنا
معولين في التاريخ أمامنا
فيما كان علينا أن نرأف بأنفسنا على الأقل.
أن نُرغم أبا لهب مثلاً في قديم الزمان

مكتبة الفكر الجديد

على أن يقلب الأدوار
ليحملَ الحطب بنفسه إلى امرأته، جالسةً تنتظره في ثياب الحداد
على دكة بيتها المهجور في الجاهلية
أن نترك هتلر يتعلم الرسم بالزيت على هواه
لينسى حربه العالمية الثانية
أن نمسك بيد ستالين الغليظة ونقوده إلى دير ما
ليلقي مواعظه على العجائز أيام الآحاد
كأي كاهن ورع في أبرشية
عن ضحاياه الذين حملناهم على أكتافنا دائماً
عائدين بهم من المشنقة.
ـ آمين! آمين!

وأخيراً.
أما كان علي، أما كان علي
أنا عرافَ السلالات المنقرضة
أن ألغي بجرة قلم واحدة
مشاهدَ هذا الفيلم الفاشل
فيلم حياتي الذي عرضته ببراءة
على اللصوص في مغاراتهم المعتمة
لأمثل دوري القصيرَ ثانية
في قصة أكتبها للنسيان
تجري أحداثُها
هذه المرة
في الأبدية؟

مكتبة الفكر الجديد

من نافذة مفتوحة
في طبق طائر

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

كتاب حياتي

متروكاً في الصحراء وقد مات دليلي
مقتفياً آثاري في رمل العالم
أسريتُ طويلاً، مهتدياً بنجوم خابية أبداً
حتى اقتادتني قدماي إلى برج مهجور منذ عصور
مرتفعاً فوق التلةِ في أقصى القرية
إذ جاء رجال يسعون اليَّ
بكتاب حياتي المحفوظ طويلا
في درج جدودي
لكني وأنا أفتحه ألفيتُ الصحراء أمامي ثانيةً
وسمعتُ الوحدةَ تقرؤه لي
الصفحةَ بعد الأخرى
بلسانِ النسيان.

مقتفياً آثاري في الصحراء أقولُ لنفسي: هيّا انهضْ
واحملْ شمسَك في العتمة
لتضيءَ طريق الأعمى الناهض من نومه!
هيّا انهضْ واتركْ خطواتِك غائرةً حيث مضيت

مكتبة الفكر الجديد

للآتين وراءك بعد اليوم!
مبتهجاً أستبدلُ هذا الجسدَ الفاني
بالضوء وأمضي
مرتفعاً فوق تلال زماني
لكن الطفلَ الجالسَ فوق الدكة في دربي
يتشبثُ بي:
خُذْني معك الآن إلى هذا الجبل الممتد بعيدا!
خُذْني معك الآن لنمضي
ماشين على هذا الجسرِ الأبدي
لأكونَ الشاهدَ في معراجك بين الأجيال
لكني وأنا أحملُه، مغتبطاً في الليل، على كتفي
تضطربُ الريحُ على وجهي
وتبعثرُ أوراق كتابي!

مكتبة الفكر الجديد

الشاعر يكتب وصاياه

من هذا الطارقُ باب حياتي؟
من هذا الصاعدُ من بئرِ الأيام؟
قلْ لي: من أنت؟ وماذا تطلبُ مني؟
ما من أحد يعرف عنواني في هذا الوادي النائي
إذ أصرفُ أيامي ضجِراً
بين رجال غرباء
ماضين إلى مدن أخرى
منسياً حتى من نفسي
فاذهبْ ودعِ الشاعرَ يكتبْ للريحِ وصاياه
وللنارِ كتابَ النار.

مكتبة الفكر الجديد

طريق إلى آخر الذاكرة

من هنا يبدأ البحرُ، هذا الطريقُ إلى آخرِ الذاكرة
حيث ينفتحُ الأفقُ الأبدي فندخله لنرى من مضوا قبلنا
واصلين إلى نجمةٍ تتألقُ في ليلةِ المنتهى
ليس ثمة بعد هنا بعدنا سوى موجة تضربُ الساحلَ الحجري،
مدويةً
في خليج الزمان الذي عبرته قوافلُ أسلافنا ذات مرة
تاركين لنا في هوادجهم ذهباً فائضاً
إقتنينا به كل هذا الخلود
ليس ثمة بعد سوى رجلٍ يتذكر أيامه الماضية
ثم يمضي، كمن مسه السحرُ، مضطرباً
ماشيا في شوارعَ مظلمةٍ أبدا
ليقول الذي لا يُقال.
من هنا دائماً يبدأ الأفق المستحيل
من هنا دائماً نشتري زادَنا للطريق الطويل.

مكتبة الفكر الجديد

الزائرون الغرباء

منشغلاً بالذهبِ المدفون عميقاً
في صحراءِ حياتي
إنشق الكون أمامي وانفلق التاريخ ورائي
فإذا بي أشهدُ حشداً من أعراب غرباء
هبطوا من أطباق طائرة
قادمة من أبعد نجم في الأبدية
في باحة بيتي في منفاي النائي
مثل لصوص يحتطبون الليل
في أيديهم راياتٌ تخفقُ في الريح
ومشاعلُ تبرقُ بين الأشجار.
ـ من أنتم؟
نادى الحاملُ في كفه جرحَه.
ـ نحن الأسلافَ خرجنا من كهف الأيام إلى بابك
يا ساكنَ هذا الوادي
فانهضْ لتكون العابرَ والمعبور
في ذاكرةِ الكون.

مكتبة الفكر الجديد

الجسد يعول والروح تنادي

ثمة الجسد يُعوِلُ والروحُ تنادي. في العدم انفطرتُ فعبرتُ السماء لم يكن أحد هناك ليدلني على الطريق، لكني مزجتُ الماء بالنا وصعدتُ الجبلَ حتى نهايته لأصل إلى النبع أخيراً. ثم إذ رأيتُ الوحا تقضم أحشائي مثل يراعة في كيسها أطلقتُ صرختي المرعبة. لأقل إن رأيتُ المعجزة وشهَدتُ الميلاد. كل ذاك مضى الآن وما من عوده لأن ما قيل قيل في البداية حينما لم يكن بعد ما يُقال، وقد قيل لم واحدة في أذن الزمان. هكذا سائرين في السديم الحي كتبنا على أنف الميثاق، جاهلين الحقيقة، لأن ما كان صار لنا وحدَنا، فعرفنا أن خلفنا العالم وراءنا.

مكتبة الفكر الجديد

عابر الوادي

هذا الوادي الموحشُ يكتظ لصوصا
لكني أقطعه وحدي
لا أخشى أحدا
فأنا لا أملكُ في سرجي ذهباً أو فضة.

هذا الوادي الموحشُ يمتد أمامي
مقطوعاً بصخور تومضُ مثل مرايا في الشمس
فأجرُّ بغالي خلفي وأغني فرِحا
وحدي.

في هذا الوادي مطرٌ يهطلُ مدراراً
ما من كهف يؤويني
وأنا لا أملكُ خيمة
واذا ما جاء السيلُ وفاض التنور
من يحملني في قاربه الجانح؟

مكتبة الفكر الجديد

لكني أمضي، أحمل في كفي جمرةَ قلبي
أُشعلُ نيراني في حطبِ العالم
وأجالسُ أشباحاً تأكلُ من مائدتي.

هذا الوادي أعبره وحدي
والريحُ تغذ الخطو ورائي.

مكتبة
الفكر
الجديد

ضيوف الماضي

من نافذتي المفتوحةِ في الليلِ على بستانِ زماني
حيث أرى الطفلَ الضائعَ في الغابة
يتذكر ماضيه وحيدا
بين ذئاب عاوية تبرق أعينها، خارجة من كهف سري
أرقبهم يختبئون وراء الأشجار
كظلال طالعة من حفرة
فأقولُ لنفسي: لا تقلقْ يا سيد هذا الوادي
إن جاؤوا ورموا بالحبلِ اليك الآنَ
لتصعدَ ثانيةً هذي القمة
فلأنك جذفتَ بعيداً وأضعتَ الصخرةَ والساحل
لكن ما همك أن تربحَ أو أن تخسر؟
ما همك أن تبقى أو أن تخرج
ما دمتَ قطعتَ حياتَك يوما يوما
مفتدياً نارَك بالنار؟
فانهضْ كممثل دور في فيلم لا تعرف قصته

مكتبة الفكر الجديد

وافتحْ بابَك مغتبطاً لضيوف الماضي
قبِّلْهم فرداً فرداً
واذهبْ معهم أنى شاؤوا
لترى ما لم ترهُ عينٌ من قبل.

مكتبة
الفكر
الجديد

في سفح الأزمنة الآتية

في سفحِ الآتي، مؤتلقاً بنيوناته تُعمي الأبصار
دانيةً مثل كواكبَ درية
حيث قطاراتٌ ملأى بحكماء
تأتي أبدا صافرةً
تنفثُ في الريحِ دخاناً تشربه الأشجار
تأتي وتمر على سكتها، تاركةً ذكراها للصم وللبكم وللعميانِ الضالين
سنشيِّدُ بيتاً أعلى من غيمة
جدرانُه من ذهب الماضين.

هذا الجبلُ النائي، بقلاعه ناهضةً فوق القمة
بجذورِه موغلةً في قلب الأرض
سيكون لنا أيضا
نصعده متكئين على أكتافِ ملائكة تحرسنا
وستأتي أزمنةٌ أخرى
أكثر ايلافاً
أزمنةٌ مثل مرايا، ننصبُها فوق جبال

مكتبة الفكر الجديد

لنرى أوجهَنا في ضوءِ المصباح.

طرقٌ عاليةٌ وجسورٌ فوق بحار
نعبرُها تحت شموسٍ نوقدُها ليلا
ستقودُ خطانا في المنحدرات.

هذا الذئبُ الدمويُّ الرابضُ فوق التلة
منتظراً إيانا منذ عصور
بعصاك اطرده بعيداً
دعه يعد كاللص إلى ليل مغارته في الغابة.

ثمة أنفاقٌ نحفرُها بأظافرنا
ونشق دروباً لم يسلكها أحد من قبل.

في الليلِ الداكنِ
إذ لا العينُ ترى العين
ولا الجبلُ الغيمة
سنُدِلُّ الخيطَ إلى إبرته
في كف الخياط
ونقودُ النهرَ
الى البحر الهائج
والبحرَ الموعود
الى الصَّدَفة.

مكتبة
الفكر
الجديد

وإذا ما نهضتْ كالوحش سدومُ المطمورةُ تحت الماء
فسنهدمها ثانيةً دون أسى
لنشيدَ من أحجار معابدها
مدناً فاضلةً أُخرى في الصحراء.

نحن الناجين
سنكون شهودَ النارِ على عابدِها الميت.

مكتبة
الفكر
الجديد

مرآة الحجارة

لم يبق هنا أحد لم يسمع ضجتَهم.
أبواق تُنفخُ في السور
بكاء وعويل مقطوع وصهيل خيول شاردة في شارع
أجيال تهبطُ، أجيال تصعدُ
في كل شروق وغروب
وشهود في حلقات يمضون إلى آلهةِ الموتى بقرابينِ الأحياء
فاذهبْ واسألْ هذا النائمَ في سفح الجبل الشاهق:
ماذا تفعلُ في عاصمة الشيطان هنا؟
أي خرائطَ تملكُها في هذا الطوفانِ؟
وأي طريق تسلكُها، إذ لا عودةَ بعد الآن
إذ كل جسورك فوق البحر طوتها النارُ
وآثارُك في الوادي مسحتها الريح؟
قلْ للقابع في كهفه، متروكاً للوحدة والنسيان.
إنهضْ لترى وجهَك في مرآة الحجر العمياء
إنهضْ من نومك
واطلقْ صرختَك المكتومة
صرختَك المرةَ
في الأذن الصماء!

مكتبة الفكر الجديد

قوافل سائرة إلى متاهاتها

منحدراً من الجبل
يعدو حصانُك خبباً تاركاً آثارَ حوافره الذهبية
في جسد الغيمة الشاردة
في قطنها المنفوش
جاراً وراءه ذيلَه الكبريتيَّ الطويل
كطائرة بعيون تبرقُ في العتمة
أرضُ رمال داكنة تتموجُ أسفل الوادي
حيث الوحشةُ بفناراتها المهجورة
تُلقي بظلالها فوق قوافل سائرة إلى متاهاتها
أرض محروقة بعيون من جمر
تقودُ خطانا أبداً
نحن الماضين إلى مدنِ المستقبل
بلا حقائبِ سفر
غاسلةً أوجهنا بماء نبعها السلسبيل
كاشفةً عرينا المقدس.

مكتبة الفكر الجديد

خطوة الأعمى

أُنظرْ، أيها الصاعدُ كتفَ الجبل
لا الزمانُ هنا الزمانُ ولا المكانُ هو المكان
يومُك خطوةُ الأعمى إلى بئره
الى ما لم تكنه أبداً
فيما الحياةُ تتشبثُ بثيابك، كغريق نهشته الأَسماكُ، لا نجاةَ له
ساحبةً إياك إلى هاوية، تفحُ أَفعاها نائمةً في طيات فراشك
لتقفَ في ملتقى طرقاتها الألف وتُصغيَ مبهوراً
الى الوحشِ يُلقي عليك ألغازَه المحيرة
فتبكي مثل طفلٍ يتذكرُ شيخوختَه في المهد
رائياً الموتى ينهضون ثانيةً
نافضين عن أكفانهم غبار العصور
سائرين من الولادة إلى الموت
ومن الموت إلى الولادة
فكما عرفتَ دائماً ستعرفُ الآن أيضا
أن الحياةَ كنزٌ ناقصٌ

مكتبة الفكر الجديد

كل ليلة
سوى انك سوف ترمي كل مرةٍ
بليراتِك الفائضةِ فيه
طامعاً بالخلود.

مكتبة
الفكر
الجديد

في مدن الأسلاف

أرض مرصوفة باللؤلؤ والمرجان
في معابدِها يرسفُ العبيدُ في السلاسل
أنظر! تلك تلال صحارى الربعِ الخالي الرملية
كمرايا منثورة تسطعُ أبداً كشموس هادية
نعبرُها تلاً تلاً
لاهثين وراء قبائلَ تهربُ حكماءَها
خلسةً إلى الحياة الآخرة
هذه مكة الجاهليةُ، ضاربةُ الأمثال
يتنزهُ في أزقتها أبو لهب الأحمقُ، مكتوياً باللعنة
فيما امرأتُه حمالةُ الحطبِ، تلك التي ألقمتها أحقادها حجراً
ترمقنا شزراً من وراء ستارتها المهلهلة
وتلك هي الكعبةُ الشريفةُ التي شربنا من معينِ مائها الزلالِ مرة
يتكئُ على جدرانها طابورُ شعراء هاربين من الصحراء
آهٍ، دع امرأَ القيسِ السكيرَ يعبْ خمرتَه من قربته المثقوبة!
آهٍ، دعْ طرفة المذبوحَ يبصقْ في وجه جلاده القاتل
وحكيمَ ذبيان العجوزَ يغنِ مزاميرَه للرياح!
فلكل زمان قصتُه الأخرى
وقصتُك لم تبدأ بعد.

مكتبة الفكر الجديد

وراء نجمة الثريا

أعراب تائهون في الفيافي، يأكلون آلهتَهم من الضجر يقفون أمام
خيامِهم مهللين
ويلوحون لنا بأيدي البشرِ كلهم
فنرد عليهم بكلمات واهنة تلتصقُ بشفاهنا
مريرة مثل شجرة يتيمة في الخريف
وتلك تلك هي نجمةُ الثريا التي ستذكرنا أبداً بالطرقِ التي سلكناها
والطرقِ التي سوف نسلكها
واصلين في النهايةِ إلى البداية
سائرين وراء رواد فضاءٍ مدججين بالأسلحة
سوف يقفون يوماً على خشبةِ المسرح
متماسكي الأيدي
وينحنون لجمهورِهم
وسط العاصفة.

مكتبة
الفكر
الجديد

المدينة المحاصرة

ناقوس يقرعُ في طرقِ مجراتٍ غاويةٍ
هل تسمعُها؟
فلتصعدْ إذن، أيها الشاعرُ المجلل بضباب العصور
هو ذا السلمُ الطويلُ الذي سيقودُك حتما
من بغداد إلى الفردوس
من الترابِ إلى الضوء
من الماءِ إلى الغيمة
من المصبِّ إلى النبع.

ناقوس يقرَعُ
عدونا الوثني نشرَ مفارزَه في باب مدينتنا المحاصرة
والعَسَسُ يبحثون عنك في الخمارات
الكرة الأرضية تضربها الصواعق
والقمر سيبتلعه الحوتُ بعد قليل
فاصعدْ واغتسلْ بالفرات
إتبعْ ملاكَك الطاهر
او اختبئ

مكتبة الفكر الجديد

في غار حياتك ما شئتَ من الوقت
لتكون حراً حتى النهاية
عارفاً أن ثمة أزمنة أخرى آتية
أزمنة ستكون لك
وحدَك.

مكتبة
الفكر
الجديد

داخل ثقب أسود

سماء أثقل من صخرة جيرانيت
نرفعها على أكتافنا
فيما تبرقُ آخر الكواكب المنثورة
فوق رؤوسنا

يد السيد ترتفعُ دائما بالسوط

عويل مالك الحزين في نفق المغفرة
حيث الكل يُنصت بخشوع
الى رفرفة الأجنحة
في قاعة الموسيقى

سيان أن أخطىء أو أن أصيب
ما دمت أعرفُ أني سألتقي في النهاية
أسلافي وقد عادوا شباناً
مثلي تماما

مكتبة
الفكر
الجديد

آملُ على الأقل
أن أجلسَ في حانة مضاءة بالشموع
وأتحدثَ عن أجمل المعجزات
أيان كان يونس يجلسُ منسياً في جوف الحوت
يشق طريقه إلى أبعد البحار
مهتديا بأشعة غاما

برج السرطان بيننا
فراقنا أكيد

حين بلغنا القمة أخيراً
تركنا حياتنا وراءنا على السفوح
كعلامات هادية
حاملين وثائقَ اعتمادنا في أيدينا
عبرنا درب آنو القديم
ملتفاً حول ثقبه الأسود
لنركلَ الصخرة
ثانية
الى القعر.

مكتبة الفكر الجديد

ذاكرة الرمل

صحراء من أحجار تمتد بعيداً
حتى آخر برق في ذاكرة الرمل
تل يجلسُ منسياً
لم يصعده رسولٌ من قبل
منتظراً مركبةً قد لا تأتي أبدا
هذي الصخرةُ لم تلمسها كف قط
هذا الأفقُ الأحمرُ في وحشتِه مطلياً بغبارِ ملايينِ الأعوام
لم يعبره دليل.

ثمة ما ينقصُ هذا المشهد.
أعراب في بادية ينحدرون إلى واديهم
غزلان تعدو في مرجٍ
ديناصور يخرجُ من جوفِ مغارتِه
ويزمجرُ في كوكبه مغتبطاً
حكماء يلقون على الرملِ مواعظهم
وخطاة يبكون على أبوابِ المستقبل.

مكتبة الفكر الجديد

وهناك أرى نابليون يقودُ عساكرَه ضجراً في الثلج
هتلر يُوقدُ أفرانَه باللحم البشري
وستالين يجر التاريخَ إلى المعلف
من معزمِه الفالت.

أعرفُ أنا نصطف جميعاً ونحدق في العدسة
لنقدمَ صورتَنا التذكاريةَ بعد قرونٍ للأحفاد.

ضوءُ الصخرة
سيقودُ خطى الأعمى أبداً
منسياً يمضي
في هذا الشارع.

مكتبة
الفكر
الجديد

بعيداً حتى أبعد الكواكب

متروكين في وحدتنا ننطلق إلى أبعد الكواكب، يقودنا الحنين إلى أسلافنا التائهين. سفننا الفضائية في مجراها. بعد قليل نعبر أقوا... الكرة الأرضية. الشفق الخفي يعقب حمرة المغيب، تاركاً ظلاله أما... فيما نلج مداره القديم. والليالي تبذر عتمتها فينا، نابضة مثل ساء كبرى تحت خط الإستواء، حيث العصفور يرفرف في العاصف... والموسيقى تعزف للراقصين الثملين خلف الباب المغلق في الصالة. ليس لنا أن نقول الكثير بعد أن تعلمنا الميتافيزيقا في متاهة الأرحام الهائمة. نجوم شفافة، تتوهج، معلقة فوق أجسادنا الأثيرية. إسمع يا بوشكين، لم تعد توجد هنا ليال بيضاء بعد أن خسرنا كل ما كان لنا ذات مرة في مسيرنا إلى هنا. ماذا تقول؟ لا أسمعك. ماذا تقول؟ إرفع صوتك حتى إن لم يسمعك أحد؟ كان عليك أن تنظر إلى الأمام دائماً لترى مرور الزمان أمامك. أنظر! في النافذة رجل مشطور إلى نصفين يتنصت إلى الإنفجار الأول، جالساً على كرسيه كأمير يستذكر أشباحه في الهواء الطلق، وقد ألقى بشبكته في النهر، مصطاداً أسماكه في الأبدية. أنصت! هو ذا صخب الأمواج. الجرس يرن والحياة تبدأ ثانية مثل كل المرات الأخرى.

مكتبة الفكر الجديد

الضوء يقل والمتاهة تنفتح

منتصف الليل سوى ان الزمان الماضي لا يزال حاضراً، يدهمنا بنيرانه الكبرى، تشتعل في الأشجار والبروق تضيء طريق المجرة أمامنا. إلتماع المحيط العلوي تحتنا والسماء المفروشة بالنجوم. تضاد شفاف تلتقطه العين دونما قصد فيما الغيوم ترعد فوق شوارعنا المتروكة في الصحراء. بقعة سابحة تقودنا إلى خلفية معتمة. نترك المدن تشتعل بالضوء وراءنا، ماذا نفعل بها؟ ماذا نفعل بها حقا؟ المهم ألا يكون ثمة من يتقفى أثرنا، فقد مضينا دائما، متأبطين أذرع فتيات النياندرتالات بفساتين السهرة إلى حفلات الملائكة حتى إن لم نسمع صدى خطواتنا الثقيلة في أروقة السعادة. الضوء يقل والمتاهة تنفتح، لكننا نصل دائما رغم ذلك.

مكتبة الفكر الجديد

في خضم الإنفجار الأول

في الصباح انطلقنا وحيدين بين النجوم المهجورة ومجرات الغازات المعتمة، آملين أن نكشف الأسرار كلها، فإذا ما كان ثمة برق فلكي يضيء لنا المكان وإذا ما كانت ثمة يقظة فلكي نتذكر أنفسنا. بعدها أدركنا النيازك تنحدر في التماع النجم القطبي السادر في غيه. هنا وقفنا. ليس لنا ما نبعثره بعد الآن في الطريق، مصباحنا قديم لا يفي زاوية كبرى فوق المحور وبشرية رتيبة تستعيد أنفاسها حتى فاجأها الأفق الغائم، معلقاً بين السماء والأرض، عميقاً أكثر من كل ما رأيناه من قبل، أخضر وأحمر. ثم حين استلمنا الإشارة الأولى للشمس المشرقة بالعين المجردة رأينا الشفق المنبلج من البحر، يذكرنا بولادة العالم من جديد. شريط رمادي يتقد، أزرق كلما اقتربنا من الشوارع في الليل. لذلك انتقلنا من الأحمر إلى الأصفر، متبعين نشرة الطقس السماوية إلى الإنفجار الأول قريباً تماماً من منطقة الإنعكاس.

مكتبة الفكر الجديد

الكون كله يرعد بانتظار وصولنا

شمس مشوهة تشق المحيط الأجوف. سراب النقطة العليا أولاً ثم مروق الغزالة البرية في خط الأفق. الضوء يغمر الحافة. اللون الأحمر في الأفق النهاري والشفق يتململ ضجراً. في الوسط ينهمر المطر مزيراً على السطح العلوي للكرة الأرضية، فيضان السيول جرف جيوش الغزاة المنتشرين في السهول. حدود شفافة بيضاء أعادتنا إلى بداية. حدود المغيب الممسوحة تتعرج كدخان في الريح، لذلك كله ضلنا عطارد على القمر حيث الضوء يتكسر قطعة قطعة على رخام سطبلات الخيول. ثق اننا بحثنا دائماً عن الأمل بخليقة أخرى تحت كوام كريستال الزمان المتفتت، فيما الكون كله يرعد بانتظار وصولنا، سحبة آينشتاين أو ستيفن هاوكنغ على الأقل، فالوعد الذي قطعناه لى أنفسنا سيكون نافذاً بعد الآن إلى الأبد.

مكتبة الفكر الجديد

إمرأة عارية بين غيوم

أفق من حجب أعبرُه فوق حصاني
أفق يتلألأُ مثل طريق من فضة
فأُلاقي امرأةً عاريةً بين غيومٍ تجلسُ ضاحكة وتُناديني:
كنْ ضيفي الليلةَ يا عابرَ بستاني!
مائدتي عامرة بفواكهَ لا تعرفُها
وسريري من خشبِ الجنة
لكني، وأنا السائر في دربِ التبانة
أصرخُ فيها: ابتعدي عني أيتها العاهرةُ الدنيا
أيتها الخائنةُ الشمطاء
لن تخدَعني ضحكتك المعسولة
بيتُك بيتَ السوءِ يكونُ
وخبزُكِ مراً
كالحنظلِ في مائدةِ الشرير.

مكتبة الفكر الجديد

العصفور في الغابة

شمس تتبعُ شمسا في النهار إذا تجلّى
وكواكبُ تتدلّى من سقف أزرقَ في الليلِ إذا جن
وأنت توغلُ في السديم الحي للروح الزائلة
حاملاً على كتفيك الواهيتين أثقالَ الأخرةِ والاولى
ماشياً كلص في الممر الذي لن تعبرَه ثانية
لأن ما حدثَ سيحدثُ مرةً واحدة
ولسوف ترى في الغابةِ العصفورَ يخفقُ بجناحيه، فالتاً من القفص
الى فضائه الدائم
فتمهلْ إذن أيها القادم في العاصفة
قبل أن تفتحَ عينيك الحالمتين، مستيقظاً من نعاسك الطويل!
فكر في المدينةِ التي كنتَ فيها
حتى لا تنسى طريقك هذا في منفاك إلى الجنة
إحملْ موتاك على ظهرك ما دمتَ قادرا على المحبة
فأنت مسؤولٌ عنهم في النهاية.
لا أحدَ هنا في شارعِك القديمِ في كركوك
سوى جاسوس على دراجة
يتبعُ مناضلاً أخفى منشوراتِ حياتِه في عبه

مكتبة الفكر الجديد

سوى حفنة محاربين يقفون أمام دكاكينهم في منحدر القلعة تحت السور
ويقضُمون ذكرياتِهم.
لا أحدَ هنا على ضفةِ دجلة في بابل سوى كهنةٍ تعرفهم
يعرضون آلهتَهم الجائعةَ للبيع
واحدةً واحدةً وأحياناً بالجملة
آلهة من حجر ترمقك بنظراتها الوقحة
مبلغات إياك بما لم تكنه
كعرافات بصارات يسترقن السمعَ إلى المجهول
ساهرات على خليقة لم تكن واحداً منها.
أسماك ميتة على رمل الفرات، والحوتُ الذي ابتلعَك في قديم الزمان
سيُضِل طريقَه في البحر
فقمْ أيها النائمُ في الظهيرة
قمْ ودللِ المرأةَ التي تحب
لتذكرَك دائماً مهما طالت غيبتُك.
لا ليست الشمعةُ ما سيضيءُ لك طريقَ المتاهة
وانما الظلامُ نفسُه
لأن طريقَك سيظل الطريقَ ذاته
مهما تغيرتِ الأحوال
وحتى إذا ما متَّ فسوف تولدُ ثانية
بحكم العادة.

مكتبة الفكر الجديد

الموجة تأتي من قلب العدم

ليل ليل ليل ليل ليل ليل ليل ليل ليل ليل أسودُ كالفحمِ سوادُ شموسٍ ميتةٍ فحمٌ في ليلٍ من فحمٍ في ليلِ شموسٍ أتبعُها ومجراتٌ تتبعُني في ذاكرةِ الأرضِ هنا البحرُ سيرفعني والموجةُ تأتي من قلبِ العدمِ الأولِ في ليلِ حياة نبدؤها أبداً مثل رحيل نحو ربيع في مرعى.

آه أعرف أني إن اتبعْ هذا النجمَ الغامر بالضوء حياتي
أبلغْ حتماً ركب دليلي الصاعدِ في رحلتِه نحو الأبدية
منتظراً إياي أخيراً في أبعدِ وادٍ في الصحراءِ العربية.

مكتبة الفكر الجديد

الوصول إلى القرية الأولى

مرقاةٌ من ذهبٍ تتدلى
من أعلى عِلِيّين إلى أسفلِ سُفليّين
من فضةِ كنز لا يَفنى، من ياقوتٍ وزبرجد
وأنا أنتظر المستقبلَ فوق الصخرة
أسمعُ ماضيّ يناديني: ارقَ! فأرقى
حيث أرى الأزمانَ تسيرُ ورائي
وحياتي تبدأُ بعدي.

نارٌ تحت الأقدامِ ونارٌ لاهبةٌ تتدحرجُ، هادرةً في سَمْتِ الكونِ،
تُذَكِّرُنا بالشاعرِ في وحدتِه،
مُحتفياً برسالتِه
في زمنٍ ليس زماناً ومكانٍ أبعد من كل مكان
نارٌ باردةٌ، نارٌ محرقةٌ في أعضائي
في دورةِ أيامي، في الدمِ مسكوباً فوق كتابِ التاريخِ المفتوح
شمسٌ محرقةٌ في كفي، أحمِلُها في أسفاري
لأُضيءَ بها درب العائدِ في الليلِ إلى قريته المنسية
نورٌ وظلامٌ وخطى ماضية

مكتبة الفكر الجديد

أبدا أبدا أبدا أبدا أبدا أبدا
إذ لا ميناءَ هنا ترسو فيه الفُلْكُ ولا واحة
يدخلُها البدو الماضون إلى المستقبل
ما من إسطبلٍ لحصاني
ما من بئر يشرب منها السائرُ في صحرائه ليلَ نهار
ـ أين أنا الآن؟
يقولُ دليلي: اصمتْ، هنا ما من أحد يعرفُ نفسه
الفكرةُ، لا العينُ، ترى الصورة
الكلمةُ، لا الفمُ، تنطقُ بالحكمة
أُصمتْ واصغِ إلى الصمتِ يقودُك كالآبقِ في أغلالِه
من صحراءَ
الى صحراء
حتى تبلغَ قريتَك الاولى
ويصيحَ الديك.

مكتبة الفكر الجديد

الف أرض تتاهب للنهوض

سماء من دخانٍ ورماد نار قديمة. أسراب طيور فوق الأشجار تُصغي إلى الآلهة تضربُ العدمَ بسياطها فينفلقُ الكون. لهب ينحدرُ من السماءِ وشموس تشق طرقَها الملتوية في الفراغ المكهرب، مستكشفةً الزمانَ. البذرة الاولى تتفتح في الربيع والقمرُ ينشق نصفين. ألفُ أرض تتأهبُ للنهوضِ. في البَدءِ رأينا الديناصورَ يعوي فوق الهضبة فيما النياندرتال يسترق النظرَ إلى الأفق، جالساً في كهفه ينتظرُنا، كشقيق في الحداد. مليارُ عام في الطريق. أخيراً طرقنا البابَ ودخلنا فاذا بنا حيث بدأنا. هربَ المضيفون إلى الجبالِ واختبأوا في كهوفهم فجاء الكهنةُ وأقاموا زقوراتِهم على ضفاف الأهوار من طين فيضان نوح. لم يكن آشور بانيبال حاضراً. جنودُه وحدَهم قادونا معهم إلى المعبد. لم أكن أعرفُ الكثيرَ عن الحروبِ حتى رأيتُ الجثثَ منثورةً في الميادينِ العامة، يحملها العبيدُ إلى المحرقة.

أهذا هو كل ما أعطيتَنا اياه أيها الأمل؟ كل هذا الموتِ يا كلكامش وأنت تسردُ لي أسطورةَ الخلود؟ كل هذا السم وأنت تقتفي أثرَ حيتك الغادرة؟

آهٍ، دعِ الشكوى يا صاحبي! ثمة مليارات كثيرة أخرى من الأعوام أمامنا ولسوف نُنفقُها على أنفسنا في الطريق.

مكتبة الفكر الجديد

معلقاً من رأسي إلى غيمة زجاجية
تتدلى قدماي
خارج الزمن
حيث صفوفٌ من الآلهةِ تنتظرني
ومهرجون يصطفون على الأرصفة
حاملين أعلامَهم الممزقة
مهللين لي
أنا ضيفُهم العربي السعيد.

مكتبة
الفكر
الجديد

عندما لم يكن للسماء اسم بعد

حينذاك عندما لم يكن للسماء اسم بعد
عندما لم تكن البسيطةُ قد ولدت بعد من العدم
وكنتُ لا أزال طفلاً مثل الجميع
يشدُّ بأسنانِه على ذيل دشداشته المتربة
ويطاردُ الفراشاتِ في الشوارع
رأيتُ تيامات تُنجبُ وحوشَها الفاتكةَ الكثيرة.
ثعبانَ الرؤوس السبعة
الأسدَ الكبير، الذئبَ المزبد والإنسانَ العقرب
السمكةَ الثورَ، التنينَ الحجري والعواصفَ المرعدة.
كان أبي غالباً ما يأخذني معه إلى النارِ الأزليةِ في بابا كركر
مرتدياً بدلتَه الزرقاءَ الملطخةَ بالنفط
فأشم معه رائحةَ الأبديةِ، متدفقة في أنابيبَ بيضاء
تمتدُّ من اور إلى H٣
ومن محلةِ جقور إلى فايسينسير فيغ في برلين
مخترقة جدارها الشهير
وفي العطلاتِ كنا نذهبُ إلى الحفلات التنكرية
فنرى الدببةَ تقلدُ العجائزَ التركمانياتِ العائداتِ من سوقِ الخضار

مكتبة الفكر الجديد

او نذهبُ إلى تكايا الأولياءِ الغابرين، لنستمعَ إلى السحرة
يروون لنا قصةَ مردوخ
ذاك المجنونِ الذي ضربَ تيامات بسيفِه البتار
فشطرها نصفين، صنع منهما السماءَ والأرض
ومن دمِ زوجِها كنجو الذي قطع رأسه بالبلطة
كمجرم في فيلم بوليسي تطاردُه العدالة
خلق الجنسَ البشري.
رائياً المنظرَ وأنا أجلسُ على دكتي العالية
مرت البشريةُ كلها من أمامي.
رأيتُ نوحاً يجذِّفُ في سفينته، عابراً البحرَ إلى اليابسة
والمتنبي الشاعرَ يقفُ أمام الصحراءِ، ملقياً قصائده على الرياح
هوميروس الأعمى يقودُ عوليس إلى ايثاكا
غاريبالدي يقصفُ بمدافعه الغيوم
نابليون على حصانه يعبرُ الجحيمَ إلى كورسيكا
والإسكندرَ المقدوني الكبير يقودُ جيوشَه في طريقِ الحرير
عائداً إلى بابلَ المقدسة
القديسَ الخائنَ يهوذا وشركاءَه التجاريين ذ. م. م. يُلقون تعاليمَهم
بمكبراتِ صوت مستأجرة في المهرجانات والأعياد
رامبو الشاعرَ يهديني جاريتَه المفضلة
في جناتِ عدن البائدة
السيابَ يجلسُ على ضفة ساقية بويب في جيكور الجائعة
ويقدمُ لي أوراقَ اعتماده شاعراً، لأشفعَ له يومَ القيامة.

مكتبة
الفكر
الجديد

كثيرون مروا من أمامي واختفوا
آخرون كثيرون أيضاً غرقوا في الطوفان
فلم أسمعْ حتى صريرَ أسنانِهم
في الليالي الباردة.

مكتبة
الفكر
الجديد

الشاعر واقفا على ساحل المحيط

عندما تهبطُ الموجةُ العارمة
في ظلامِ المحيطِ، وتنبثقُ الذكريات
من الكوةِ المعتمة
للزمانِ القديمِ وقد جرفتها السيول
الى ساحلِ الواقفين
على الصخرةِ النابتة
سترى أيها الشاعرُ الوثني
سائراً في الطريقِ الطويل
أن ما تكتبُ الآنَ في الرملِ ستمحوه كفُّكَ يوما
وأن الطريقَ الذي قد مشيتَ عليه قديماً
سوف تسلُكه مرةً بعد مرة
عائداً في النهايةِ نحو البداية
إذ يدورُ الزمانُ ولا ينتهي
مثل خيطِ رفيعٍ بمغزلِه الأزلي
فتمضي إلى قلعتِك الشامخة
فاتحاً لنفسك بابَها الموصدة
ماشياً في دهاليزَ تعرفُها مثل راحةِ كفك

مكتبة الفكر الجديد

لتبدأ حيث انتهيت
فكلُّ الذي قد رأيت
ستنساهُ في زحمةِ السالكين.

سترى أيها الملكُ المُبتلى بجرائمِ روحِه الدامية
أنك الآن أفقرُ من فأرةٍ في كنيسةَ
حصانُك في التيهِ مضى
الى هضباتِ الصقور
وقلعةُ روحِكَ محتلةٌ، لا جسورَ تقودُ اليها هنا
في ممر الدهور
طويلا بحثتَ عن الكنزِ سراً، وطفتَ المدينة
فلما وجدتَ المنازلَ مهجورةً
والشوارعَ يذرعُها النملُ في زمنِ الميتين
والرعودَ تهز البيوت
والذئابَ تجرجرُ أطرافَها في الزقاقِ الطويل
جلستَ على الرملِ منتظراً غدَكَ المستحيل
حالماً بكواكبَ طالعةٍ من رمادِ العصور.

سترى أيها المتنزهُ في ساحلِ الأبدية
واقفاً على ساحلِ هذا المحيط
تحدقُ في أفقٍ من غيوم
وتنتظرُ السفنَ القادمة
أن مركبَك الخشبيَّ هوى إلى القعرِ منذ البداية
وأنك لا تملكُ الآن شروى نقير.

مكتبة الفكر الجديد

سترى أن ما قد أردتَ العثورَ عليه
وأنت تشقُّ عبابَ البحار
لم يكن فضةً، ذهباً أو لآلئَ مطمورةً
في جزر الذكريات
كان يكفيكَ أن تحتسي من نبيذِ الحياة
جرعةً لترى جنةَ الخالدين
بيد أنك قد جرعتَ كؤوسَك حتى الثمالة
ونسيتَ حياتَك في حانةِ العابرين.

كفاك جلوساً هنا أيها الخاسرُ الأبديُّ الملول
باكياً، شاكياً، في رهانِ الخيول
ساهياً، راثياً مثل طفلٍ يتيم!
تعال الي لأحملَك الآن على كتِفي
عائدَينِ إلى بيتِنا في الجحيم
وحتى إذا ما أضعنا الطريق
فسوف نقولُ بأنا ثملنا بخمرِ الحياة
وماذا يهم الذي جرعَ الكأسَ حتى الثمالة
أن يُضيعَ الطريق؟

هذه الموجةُ النائية
في ظلامِ المحيط
سوف تحمِلُنا نحن غرقى المحبة
عالياً مرةً ثانية.

مكتبة
الفكر
الجديد

صانع المعجزات

أنا الساحرُ، وكيلُ الأرواحِ الضالة
القطيعُ والراعي
الميتُ والجنازة
أعبرُ السماءَ لأصلَ إلى الأرض
أغرفُ الجمر بيدي من موقدِ الآلهة
وأسرقُ لؤلؤةَ المعبد
من تحت وسادةِ الكاهنِ المحتضر
بأصابعِ اللصِ الماهرة
أنا صانعَ المعجزات
أشربُ كأسي وحدي كل مرة
وأمضي في طريقي
هذا أنا.

مكتبة الفكر الجديد

اشهد اني عشت حياتي

أشهدُ أني عشتُ حياتي:
جربتُ ألوفَ الأشياء
ونسيتُ ألوفَ الأشياء
أحببتُ نساءً لا عدَّ لهن بكينَ لأجلي أحياناً
لاقيتُ صحاباً في السراء
وصحاباً في الضراء
صادقتُ ضحايا منسيين
وخَبِرتُ سياطَ الجلادين
في الزنزاناتِ على ظهري
ووقفتُ أمام محاكمَ جائرةٍ، متهماً بالحبِّ الأعمى
من صحراءَ إلى صحراءَ سريت
خيمتُ طويلاً في وادي عبقر
وسقيتُ حصاني ألفاً من نبعِ الكوثر
نمتُ مع العيارين على شاطئ دجلةَ حينا
وسكنتُ قصورَ ملوك حينا
سافرتُ كثيراً في مدنٍ معتمةٍ أبداً
في الشمسِ جلستُ وأحياناً تحت الثلجِ مشيت

مكتبة الفكر الجديد

غيرتُ بلادا ببلاد
إستبدلتُ حذاءً بحذاء
أحرقتُ جسوراً ـ ما أكثرَها! ـ خلفي
وعبرتُ بحاراً لن يبلغَها بعدي بحّار
في زمنِ المَحْلِ نثرتُ بذاري في وادي الأمطار
في الظلمةِ أشعلتُ ألوفَ الشمعات
تحت القمرِ الساهرِ أطلقتُ ألوفَ الآهات
وتشردتُ طويلاً بين القارات
ما أكثرَ ما شيدتُ قصوراً من ورقٍ في الأَحلام
ما أكثرَ ما استبدلتُ الواقعَ بالأوهام
أصدقتُ القولَ وفي بعضِ الأحيانِ كَذَبت
خالطني الشكُّ قليلاً وقليلاً أيضاً آمنت
دخنتُ سجائر من كل الماركات
وشربتُ خموراً فاخرةً في الحانات
وكتبتُ قصائدَ لم يكتبها أحدٌ قبلي
وضحِكتُ كثيراً في هذا العالم
وبكيتُ طويلاً في هذا العالم
جئتُ كضوء يبرق في ليل ومررتُ
جئت، بقيتُ، رأيتُ، مضيتُ
أشهدُ أني عشتُ حياتي.

مكتبة الفكر الجديد

عابر الجحيم إلى الجنة

في ذاك الليلِ رأيتُ جهنمَ تَغلي مرعدةً
ومحارقُها تنفثُ في الريحِ دخانا
يحرسُها خازنُها الشرير
في يدِه سوطٌ من نار
يجلدُ منتفخَ الأوداجِ به أضلاعَ الموتى
في سردابِ ضحاياه المعتم
مليونُ محيطٍ من غسلين
مليونٌ آخرُ من قطران
مليونٌ من دمعٍ
مليونٌ آخرُ من قير
وعلى الساحلِ تشتعلُ النيران
في مدنٍ لا عدٌّ لها، يحكمُها الشيطان
وتوابيتٌ موقدةٌ جمرا
حياتٌ كبغالٍ تلهثُ في البرية
وعقاربُ من صخرةِ سِجّين
أيُّ سماءٍ هذه؟
أيُّ ممرٍ سري هذا؟ أيُّ جحيم؟

مكتبة الفكر الجديد

أين أنا يا ضيفَ طريقي؟
أوهذا كله من أجلي؟
أوهذا كله كي أعترفَ الآن على نفسي؟
آهٍ، مجلسُنا لن يُعقدَ في هذا المعبد
فاصعدْ بي، مبتعداً
عن هذي الأرضِ الملعونة
نحو الشلالِ الهادر
نحو حياتي الأُخرى
نحو الجنة.

مكتبة الفكر الجديد

سفن كثيرة تنتظرنا على الساحل

ممر ضيق بين المجراتِ، والدغلُ يرتجفُ مرتفعاً أعلى من سياجِه. برؤوس محنية في العاصفة الشمسية نمرُّ إلى اليومِ التالي، نُعَوِّدُ أنفسنا على اليقظة في الخنادق الطينية لندافعَ عن ذكرى أصدقائِنا القتلى. النجمُ القطبي يلتمعُ أمامنا ككف تُشيرُ إلى البلدِ الأمينِ الذي نسيناه من فرط المحبة. كنعانيون يمرقون إلى البحرِ.

سفن كثيرة تنتظرنا على الساحل والآلهةُ تنحدرُ كقطيع أيل شارد من الجبل، مباركةً إيانا، نحن الذين سنموتُ ثم نحيا، لنرى البنّاءَ يهدِمُ معبدَه ويبنيه من جديد، حتى تظل كلمتُه مسموعةً إلى الأبد.

رائحةُ العطن تفتك بالوردة في الغابة. الدمُ في الوريدِ والدودةُ في التفاحة. لكن الشجرةَ تنمو دائماً والجرحَ يلتئم والدودةَ تَبلى في التراب. مليارُ انفجار في شمس واحدة. شمس مهجورة والدمُ يدلقُ من الجرح، لكن الروحَ ترتدي جلبابَ عيدِها وتخرجُ إلى الشارع لتهلل للجزيرة العربية.

مشركون داخل دباباتهم في الطريق إلى يثربَ والمدافعُ تقصفُ ناقةَ صالح، منحدرةً من التل إلى الوادي. نقالاتُ إسعاف تسوقُها الملائكةُ تُصفِرُ في رمال الربع الخالي، ناقلةً الشهداءَ إلى الجنة.

مكتبة الفكر الجديد

ونحن ننطلقُ من نجمة إلى أخرى، من مدينة إلى أخرى، من منفى إلى منفى، من بحر إلى بحر، من زمن إلى زمن، مهتدين بإسطرلاباتنا الأكرية.

الشفقُ القطبي وراءنا. الزمانُ والمكانُ أيضاً. لا لن أضيعَ هنا، سائراً في مهبط النور. أهلُ مكة أدرى بشعابِها. القديمُ سيكون جديداً تحت نير الثورِ الدائرِ في الطاحونة. القمحُ وحده يعرفُ ثقلَ الحجر.

هناك نقطةٌ إن وصلتَها لن تعودَ أبداً. فانطلقْ أيها المجنون! هذه اللوثةُ في دمك تقولُ لك ذلك.

مكتبة الفكر الجديد

البرابرة في الطرقات

فيما مواكبُ البرابرةِ تسير صاخبة في الطرقات
مدججةً بالفؤوس
نجلسُ هنا مرتجفين
وننصتُ من بعيد
الى صهيلِ الخيولِ في الحلبة
وزمجرةِ الأسود.
حين ينتهي ذلك، حين ينتهي ذلك كله
نُخرجُ أوراقَنا ثانيةً
لنواصلَ لعبتَنا الأثيرةَ على الحياة.
واحدٌ منا سيكون النارَ
والآخرُ الرماد
ولسوف نقامرُ على العالم حتى النهاية
تزجيةً للوقت.

مكتبة الفكر الجديد

ايكاروس في جزيرته

هذا أوانُ الذهابِ إلى النهر لأغتسلَ من آثامي
لأتخلى عن سفاهتي في العدو وراء عرباتِ موتى فالتة بلا حوذيين
وعن كسلي في أن أنظرَ إلى وجهي في متاهة المرايا
لأرى آدم يخرجُ من مكمنه القديم ويسلمُ علي صاغراً
وأن أحلقَ لحيتي النازلةَ حتى السرة
ناسياً وعثاءَ السفر.
هذا أوان العودةِ إلى البداية
لأخرجَ من غرفتي إلى الشارعِ الصاخب
لأوقظَ أهلَ الكهف من نومهم الطويل
لأُهديَ كلبَهم الجائعَ عظمتَه المنسية
لأحررَ العبدَ من أغلالِه وأهدم زنزانته المظلمة
لأحرسَ الشمس الناهضة في الليل
لأجلسَ على مصطبة في حديقة
وأقصَ على الحياةِ كل ما لا تعرفه عني
هذا أوان صعود الجبل، غائباً في السحاب

مكتبة الفكر الجديد

لأركزَ في قمته البيضاء رايتي
لأمنحَ ايكاروس ثقتَه الضائعةَ بنفسه
وأن أبسطَ ذراعي وأطير
في سماء هذه الجزيرةِ المهجورة.

مكتبة
الفكر
الجديد

الريح تنتظر الريح

إسمعي أنتِ يا جزيرة أقطع شوارعها كل يوم
مشياً على الأقدام في أحلامي
هاك كفي، خذيني إلى بستانِك الرملي
لأشم رائحةَ أجدادي الغابرين
اقذفي بمراكبي في اوقيانوس ماضيك الهادر
وأعيدي لي خرائطَ حياتي الضائعة
أنتِ يا جزيرة طالعة من آخر ذكرياتي
لا ماءَ هنا في هذا النهرِ الناضب للعالم
هذه المدينةُ ليست اور
وهذه الخرائبُ ليست بابل!
هنا الحجرُ وحده يغني للحجر
فيما قطارنا جاراً وراءه عرباتِه المتربة
يُصفِرُ منذراً بالوقوف
في محطة الأشباح
نافثاً دخانَه في العاصفة
هنا ما من أحدٍ ينتظرُ أحداً
الريحُ وحدها تنتظرُ الريح

مكتبة الفكر الجديد

لكن ما همني إن وصلتُ ام لم أصل
ما دمتُ أعرفُ أني سأعودُ إلى البئرِ ذاتها
لأشربَ من مائِها ثانية
والى الشجرةِ لآكلَ من ثمرتِها المحرمة؟
ما همني إن ضل الدليلُ طريقَه
ما دمتُ أعرفُ أني سوف أسلك الطريقَ ذاتها
في كل مرة؟

مكتبة
الفكر
الجديد

العائد نحو الأرض

شمس صاعدة أخرى، شمس هادرة أخرى، موت وحياة، نار
لاهبة فوق جبال، رمل وصخور. آثارُ خطى لذئاب ميتة، آثار
جمال وقبائلَ في دربِ التيه.
آهٍ، فلتذهبْ يا فاضل
يا توأم نوحٍ بعد الطوفان
منطلقاً في الليل إلى آخر هذا المنفى
لترى الأمواجَ، تقودُ سفينتَك المرميةَ في بحر الأهوال
حتى الساحل!
هذا الناهضُ من نومه ليس سواك
فانهضْ واغسلْ وجهَك في ساقيتي
واشربْ من كأسِ حياتك صافيةً خمرتَها
في نخب العالم كله
لتعيشَ على ذكرى نفسك.
هذا الكاتبُ أشعارَه في كهفه بالنارِ على جدران زمانِه
سيعلمُكَ الأسماءَ جميعاً
وستبني ما هدمته الريح.
آهٍ اذهبْ وارم عصاك بعيداً في بادية العالم

مكتبة الفكر الجديد

حيث يمر الماضي بقوافله الكبرى ليقيمَ عواصم أخرى في المستقبل
من ذهبِ الأيام
لضحاياه المنسيين
وتذكرْ أنك مهما في الأسفارِ نأيت
ستعودُ كما أسريت
في يوم آخر، من أقصى معراجك بين الظلمة والنور
في زمن أخر يدفقُ من نبعِ سري مسحور
نحو رعاياك المنتظرين
بين ربيع وخريف
بين شتاء في الثلج وصيف قائظ
منحدراً في منطادك بين الأشجار
او مبتهجاً تهبط من طبق طائر
فوق الصخرةِ عند الأخدود
مثل ملاك موعود
لتسيرَ وحيداً ثانية في هذا الشارع.

مكتبة الفكر الجديد

كتاب ضارب الأمثال

١

سائراً إلى حيث تقودني قدماي أكتشف متعة الخطى المتعبة.

٢

يمر الرائي دائماً من هنا. الطريق ذاتها. ثمة آثار أقدام محفورة على الحجر. العشب مندى بالذكريات، سوى انه سوف ينسى ما تعلمه في حياته، ليكون حراً تماما.

٣

فيما النهر يتدفق بين الصخور إرم حملك على العشب وبت ليلتك، على أي ضفة شئتَ تحت السماء، وحين تستيقظ تذكر أنك قد شربتَ دائما من النهر ذاته.

٤

صاعد القمة سيهبط في النهاية إلى قريته في أسفل الوادي.

مكتبة الفكر الجديد

٥

لتبدأ كل مرة من جديد إتبع آثارك وحدها.

٦

طالب المجد يتسول رزقه في الأبدية.

٧

في مكتب عمل التاريخ ثمة دائماً وظيفة شاغرة للجلاد.

٨

ـ هل تعرف لماذا ظل الملك لير يناجي الرياح فيما كانت مملكته تغرق تحت قدميه؟
ـ لأنه لم يجد أحداً غيرها يسمع صوته.

٩

ما يكاد يعتقد المرء انه صار الحوذي الوحيد لعربة التاريخ حتى يجد نفسه أمام الهاوية.

١٠

ليس ثمة ما هو أقبح من الزي الموحد، وبخاصة عندما ترتديه الأفكار الجميلة.

١١

ثمة جلادون عن هوى وجلادون بالفطرة.

مكتبة الفكر الجديد

يقول ضارب الأمثال:

إن كان هؤلاء يشبهونني حتى في نزواتي فكيف إذن صرت الضحية؟

١٢

ثمة موتى يستأجرون قبورهم من الأحياء من دون أن يفكروا بالطريقة التي يسددون بها أقساطهم.

١٣

يلتصق الكلام بالشفة طلباً للحنان.

١٤

قال الخلود: كللوني بالورود الذابلة!

١٥

عابر المتاهة سيحرق خرائطه ليكون وفياً لنفسه.

١٦

إذ لا أحد هنا في هذه الأرض المهجورة سوانا تعوي الذئاب ليلاً في أحلامنا، فنفتح بأصابع اللص الماهرة آخر شباك في منفانا، ثم نقرفص ضجرين في سردابنا، لنواصل لعبتنا حتى النهاية.

١٧

لا تشتمِ الدهر لأن أحداً قبلك اكتشف النار. إكتشفها ثانية!

مكتبة الفكر الجديد

١٨

على مدى النظر تسيل العصور، وتتقذف الكواكب في سديم الكون من دون أن نسمع هديرها فيما كلب جاري يعوي في الشرفة، مقلقاً هدوء الليل.

١٩

يعوي الذئب بعيداً في صحرائه، ليذكرنا بنواياه. الخروف سيطمئن نفسه بالسكين التي يحملها الراعي في وسطه.

٢٠

كل ضحية هي مشروع جلاد في المستقبل.

٢١

تخرج الحقيقة إلى الشارع مرتدية بدلتها الجديدة. كثيرون سيمرون بها فلا يعرفونها. لطخها أيها العابر بالوحل لتراها السابلة!

٢٢

قال البرقُ للرعد اتبعني!

٢٣

في الطريق الذي سيمر منه الأدلاء، صاعدين إلى القبة المنيرة يحتشد القديسون والدراويش أمام خيامهم قبالة الصحراء ويحدقون في الأبدية بنواظيرهم الرخيصة.
الرائي وحده سيحدق في قلبه بمنظاره.

مكتبة الفكر الجديد

٢٤

وحدها القمم العالية تطل على بعضها.

٢٥

يظهر الملاك دائماً حين لا تعود بنا حاجة اليه.

٢٦

ماذا يفعل البلبل إن لم يخرج صباحاً إلى الوردة؟
ماذا تفعل الشجرة إن لم تفتح بيتها للطيور؟
هنا هابطاً من صخرتي العالية، إذ الشمس في ظهري وظلي مرمي على الوادي، أسير إلى مستقبل زماني، سامعاً ورائي هدير الرعود.

٢٧

الأسودُ تحلم بطرائد تؤمن بها.

٢٨

قالت النظرية للحياة: تعالي أدلك على الطريق!
غصت الحياة بالضحك، مجيبة: ولكني أنا الطريق.

٢٩

ترتدي الأكذوبة قميص الحقيقة في الحفلات التنكرية.

٣٠

حين لايعود ثمة بد من الذكرى تكف الحياة عن ايلامنا. في النهاية دائماً يرمي الصياد بشباكه الممزقة في النهر.

مكتبة الفكر الجديد

٣١

بالوهم يدفع عابر السبيل ثمن الحقيقة، غالياً في معظم الأحيان. سيكون وهمي بعد اليوم: أن ألغي كل وهم.

٣٢

أمام كل شاعر كبير ألف شاعر صغير، يمهدون له الطريق. وخلفه ألف آخرون يمسحون آثاره.

٣٣

بعد قرون، إذ بلغ بنا العمر عتيا، شكونا بؤس حالنا إلى الزمان. وقفنا أمام باب قصره المنيف، وذكرنا حارسه الأدرد بحقوقنا المغتصبة. لم نكن نملك حتى أكفاناً نلف بها عظامنا المرتجفة ولذلك تشبثنا بكل قشة رأيناها طافية في البحر واقتفينا أثر ألف قوس قزح كاذب وجدناه في طريقنا بعد الطوفان.

أخيراً استلمنا رقاع دعوتنا من الملك. لكننا إذ وصلنا كان كل شيء انتهى. الموائد رفعت والضيوف انصرفوا، فقادنا الخدم إلى المطبخ لنجلس مع الكلاب.

يقول البؤس: هذه وجبتي السامة، كلوها!

٣٤

الشعوب نفسها تدفع رواتب الشرطيين الذين يضعون الاغلال في أيديها.

مكتبة الفكر الجديد

٣٥

لا يفقد المرء الأمل حتى في المنفى. فالقمر الذي يراه المنفي من نافذة غرفته سوف يطل بعد قليل على وطنه أيضاً.

٣٦

الأيديولوجيات بطاقات هوية في جيوب الملائكة.

٣٧

الى أين تقودني يا ملاكي الصغير في هذا الدرب الموحش؟
الأسواق والأزقة تركناها وراءنا
واختفت حتى القباب والمنائر عن الأنظار.
آه، لقد نثرت ورائي في الطريق مثل لآلىء مسروقة من كنز الزمان
أعوام حياتي التي نسيت أن أعدها وأنا أجر خطاي ورائي،
آملا اللحاق بك
فانتظر لحظة وقل لي: إلى أين الطريق؟

٣٨

ثمة دائما مهرج يسير على حبل معقود ما بين السماء والأرض، مقدماً لنا ألعابه المدهشة.
حينما يبلغ النهاية سوف نشكر العاصفة على رأفتها به، ونحن نضع أيدينا على قلوبنا الواجفة.

٣٩

تشرق الشمس كل صباح، آمرة الوردة بالنهوض من النوم.

مكتبة الفكر الجديد

٤٠

كلنا نؤيد الثورات لأنها تعلم الشعوب كيف تصفق.

٤١

عندما يكون الملك عارياً لا بد من أن نقول له ذلك، فقد يُصاب بالبرد أو الزكام.

٤٢

ما أعجب الدنيا! الطغاة أنفسهم كانوا أطفالاً ذات يوم.

٤٣

في كل قصيدة حقيقية كنز مدفون، تعرف به، لكنك لن تعثر عليه مهما حفرت.

٤٤

صحيح أن التاريخ الانساني دُمِغَ بالعنف دائماً، لكن هذا بالذات هو ما يجعل منه تاريخاً للبربرية.

٤٥

أسوأ من الإمبراطور الذي خرج إلى الشارع عارياً هو مهرجه الذي حمل ثياب سيده الوسخة القديمة إلى السوق وراح يعرضها للبيع بأي ثمن، طمعاً في الحصول على المزيد من النقود.

مكتبة الفكر الجديد

٤٦

ما يكاد المرء يعثر على درويش يتبعه حتى يجده قد مات.

٤٧

لو لم يحارب دونكيخوته طواحين الهواء من كان سيتذكر سانشو بانسا الآن؟

٤٨

فأرة إصطادت قطاً إبتلعها.

٤٩

كالساحر يسير في المطر ولا يتبلل، مرتدياً معطفه الواقي.

٥٠

رجوت الخريف أن يكنس أوراق أشجارنا الذابلة.

٥١

كل ماض كان مستقبلا ذات يوم.

٥٢

للإنسان يقول ضارب الأمثال:
أنت أعتق من أن تكون شقيقي.

مكتبة الفكر الجديد

٥٣

ليسلي الرجل عصفوره حمل القفص معه إلى الغابة.

٥٤

نطلق أسماء أسلافنا على الأبناء لنثبت أن العالم يكرر نفسه.

٥٥

لتخلف أثرا ما للذين يأتون بعدك
كن كريماً مع العالم كله!
أترك الشمس وراءك للمحتاجين إلى الضوء!
تبرع بالقمر للعشاق الواقفين على الشرفات!
دعِ الريح تغنِ لنفسها
والشجرة تزهر في كل الفصول.
إن أردت الوصول إلى النبع اصعد الجبل حتى القمة!
هذا هو كل ما في الأمر.

٥٦

لماذا تقتلني، أنا العاصي، أيها الحاكم؟ لقد قبل الله نفسه رهان إبليس حين تحداه. وبعد كل شيء فأنت لستَ الله وأنا لستُ إبليس بالتأكيد.

٥٧

أستغرب من حاكم يلعق الدم ثم يرفض أن يدعى وحشاً.

مكتبة الفكر الجديد

٥٨

لو لم يكن الشيطان موجوداً من كان سيؤمن بالملائكة!

٥٩

قبل أن تصعد في قطار التاريخ تأكد من أنك اشتريت بطاقة سفر على الأقل، حتى لا يرغمك المفتش على النزول وسط الطريق.

٦٠

من قال انك عاجز عن تغيير العالم؟
حين ولدتَ زادَ عدد البشرية واحداً وحين تموت سينقص عددها واحداً أيضاً.
في الحالين لن يكون العالم على ما كان عليه من قبل.

٦١

لو لم يكن يهوذا الأكثر وفاء للمسيح لما خانه. لقد ضحى بنفسه ليكمل أسطورة سيده.

٦٢

ما أجشع البشر! تطالبني دائرة الكهرباء كل شهر بدفع فاتورتها عن قليل من النور في الليل، في حين تضيء الشمس الكرة الأرضية كلها مجاناً كل يوم.

٦٣

قالت النار للحطب: أما من مزيد؟

مكتبة الفكر الجديد

أصمت، لا توقظ النائم من سباته!
دعه ينهض رويداً رويداً، ليعرف طعم اللحظة التي تفصل ما بين النوم واليقظة.

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

هنا فوق الكرة الأرضية

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

كل طريق أسلكه يبدأ مني

كل طريق أسلكه يبدأ مني
وعلى أرصفتي
تقف البشرية تشحذ شمسي
ظامئة تأتي
من كل صحارى العالم
كي تشرب من بئري.

مملكتي
لن يبلغها صقر
في أعلى جبل المستقبل
بيتي.

إن شئتُ فلقت البحر الهائج أمواجا بعصاي
وإن شئت على النار مشيتُ
وإن شئتُ مسيرا في الليل بقافلتي
أشعلت كواكب أطلقها
في كون آخر

مكتبة
الفكر
الجديد

أنقش في مدخله إسمي.

عميان أنتم
في الضوء تسيرون إلى حفرتكم
مغتبطين.

ما جدوى أن أحترق الآن بناري
لأكون الشمعة
في عتمتكم؟

٢٠٠٤

مكتبة
الفكر
الجديد

شعراء في وادي العشاق(*)

نحن الشعراءَ المبتهجين الممتلئين سلاماً
نخرجُ للنزهةِ في وادي العشاقِ،
نغنّي كالأطفالِ نشيدَكِ يا صحراءَ العربِ المسجونةَ
في الأحلام.
نسري تحت خِباءِ نجومٍ تتدلى
موقدةً فوق الكثبانِ إلى المدنِ الملغومةِ بالأعداءِ،
مخضّبةً بجراحِ ضحاياها الأبديين المرميين على الرملِ،
نُهلّلُ للأسلافِ المنحدرين من الماضي
في عرباتِ المستقبلِ، طالعةً من جسدِ الأيامِ،
كأشباحٍ هائمةٍ في طرقاتِ الأجيال
نتسللُ مثل لصوصٍ في ليلِكِ بين الأسوارِ
ونهدمُ في الريحِ العاصفةِ الرملية
بأظافرِنا
أسوارَ سجونِكِ، غائمةً بين غيومٍ،

(*) هذه القصيدة كتابة جديدة لقصيدة «ها أنذا أصرخ في شوارع الجزيرة العربية» المكتوبة في العام ١٩٦٩.

مكتبة الفكر الجديد

جارحةً مثل بكاء في مركب أشباح مثقوب،
نقلعها حجراً حجراً،
في كلِّ رمادٍ في واديك نموت ونحيا ونقولُ:
سلاماً يا قائدةَ البدو المحتشدين أمام خليجِ العالم!

في النارِ وقفتُ لأكتبَ تاريخَكِ
في دفترِ أحلامي الضائع
في النارِ فتحتُ المستقبلَ موعوداً نافذةً لي
وصعدتُ إلى أعرابِكِ،
منحدراً من آخرِ برقٍ في هذا الأفق النائي
متشحاً مثل نذيرٍ مهمومٍ برداءِ خساراتِه
يمضي بين مغولٍ يلتهمون قلاعَكِ في الظلمة
فاجتزنا في وحدتنا الأنهارَ المفروشةَ بالطُحلُبِ والعوسجِ والبردي
جيشٌ وثنيٌ في وادي الآلام.
سألتُ، حيث يسيلُ الدمُ من نبعٍ في خاصرةِ الأرضِ.
أأقدِرُ أن أحذفَ هذا التاريخَ الدمويَّ
وأكتبَ تاريخي وحدي؟

في ليلِكِ أصرُخُ يا صحراءَ جدودي مبتهجاً:
ليعمْ وديانَكِ حبي
حتى إن كنتِ تراباً مغسولاً بدمائي
او وطناً من دمع يُسكبُ فوق حجارِكِ في الفلوات
نهراً يجرفني حتى آخرِ مرسى

مكتبة الفكر الجديد

في ضفتي
سيفاً في عنقي
أو بلطةَ جلادٍ في أطرافي.
بدويون يعانون الوحشة!
بدويون بروحٍ وبدويون بلا روح
يسرون كأسرى أبداً في السيلِ العارم
مشدودين إلى قاربِكِ الجانح!
بدويون يلوذون بنارِكِ من أنفسِهم في العتمة
بدويون ينامون على كتفيكِ
لينسوا في وحدتهم ضجر الأعوام،
تلف على مغزلها الدائر.

آهٍ، هاتِ يديكِ، اقتربي مني
يا صانعةً تاريخي
فأنا الواقفُ بين الموجةِ والموجةِ،
كلُّ حرائقِ ثوراتِ العالم، هادرةً تبدأُ مني
أتسلقُ سلَّمَكِ الممتدَّ إلى آخر روحي
في معراجي

أبحثُ عن كنزِكِ مدفوناً في ذاكرتي
أصعدُ فوق الصخرةِ في تلٍ يعصمني
مكتويا باللعنةِ والحمى
وأنادي:

مكتبة الفكر الجديد

أين النَسَغُ الساري في أعراقِ الأشجارِ؟
وأين العربيّ القادمُ من منفاه
يواسي نفسه مثل ملاكٍ مطرودٍ في الأغلال؟
آهٍ، أنتِ الأُخرى، أيتها الممتدةُ كالصرخةِ يا طرقي
انبلجي، انبثقي
في وجهِ قوافلِكِ المنسيةِ تائهةً
في بيداءِ الربعِ الخالي
خارجةً من جرحِ الأجيال!

إنفتحي، احترقي
بشموسِكِ أحملُها أبداً في كفي،
أدلُقها واحدةً بعد الأخرى
من أجلِكِ فوق ظلامِ العالم،
لأضيءَ وأمضي، يكبرُ بي ألقي
فأنا الوثنيُ الموعودُ أرى الرعدَ،
أرى البحرَ الخالقَ يأتي،
أرمي نفسي في لجته، أَغرقُ فيه
وفي فمي الكِلْمةُ، أُطلِقُها مثل نشيدٍ سري
أترددُ بين الحاضرِ والماضي
أسألُ: هل أصعدُ أم أهبطُ في واديك السحري؟
وكيف أشقُّ طريقي في بيدائك
إن لم يغمرني فجرُكِ،
مطلياً بنجومِكِ تومضُ في دربِ التبانة؟

مكتبة الفكر الجديد

فأراكِ مُجللةً بسوادِك
تأتين اليَّ الليلةَ بعد الأخرى لتُناديني
فنسيرُ معا نتنزهُ بين خيامِك في الجنة
ونشمُّ ربيعَ جداولِك المسكوبةِ
في الواحات.

ها أنذا آملُ أن أعبرَ وديانَكِ نحو مضاربِ آبائي
أن أجلسَ في فردوسِك،
هذا المنسيّ، أُناجي أيامَ الإنسانِ الطالعِ
مثل ربيعٍ في غابة
من كل رمادٍ مسكوبٍ في الريح
من كل دمٍ مسفوحٍ في البرية
ها أنذا أسمعُ أجراسَكِ تقرعُ،
أسمعُها أبداً تقرعُ صاخبةً لي.

آهٍ، في الليلِ وقد صُلِبَ العاشقُ والمعشوقُ هنا
في حفلِك، هذا القائمِ من أجلي أبداً،
حيث يغني قديسوك المهووسون قصائدَهم للريح
في الليلِ وقد فار التنورُ علينا
أيقظتُ رجالي
سافرنا في الأمطارِ
الى أوطانٍ لا تعرفنا
فرأيتُ البحرَ امرأةً حبلى بي
والملكَ المجنون

مكتبة الفكر الجديد

بالسيفِ يموت.

أيتها الراعيةُ المسحورةُ في خيمةِ أجدادي،
يا ناهضةً كالشمسِ المرة في مملكةِ البدو المخمورين من العشقِ،
أنا العاشقُ
أجرعُ من قربتِك الملأى خمري
في صوتي غضبُ الريح،
أنا البازغُ من نفسي
جسدي الصحراءُ
الليلُ
الموتُ
الغابةُ
والمنفى.
هل أهربُ من نفسي
أم أتركُ مرتعباً لذئابِ عاويةٍ أبداً جسدي؟

في واديكِ المهجورِ أرى أجيالاً تصعدُ نحو قرى العميانِ
وأنا أبحثُ عن خارطةٍ لتضاريسِ حياتي
فيفورُ على قدمينا البحر الآتي
ونعودُ مع الموجةِ،
مطرودينِ إلى ساحلِكِ الرمليّ
لنبدأَ رحلتَنا
قبل وصولِ الطوفان.

مكتبة الفكر الجديد

أصعدُ مجروحاً بحياتي بين طريقينِ
وأقصدُ ينبوعاً يتدفقُ بين صخور
أتجولَ في أحلامي
فألاقي رجلاً مجنوناً يُشبهني
يتقدمُ صوبي في قافلةٍ تزحفُ غاضبةً
تطلبُ رأسي
تتحركُ قربي غاباتٌ موحشةٌ
فأضيءُ كبرقٍ فوق رؤوسِ الأشجار
واؤاخي في ليلِكِ نفسي.

آه، أين الإنسانُ المطرودُ من الجنةِ؟
هذا الجالسُ في مقهى العالمِ
يصطادُ الألفاظ؟
هذا القادمُ من حربٍ خاسرةٍ أبدا؟
هذا الواقفُ عند بيوتِ المنفيين؟
آهٍ اطلقْ صرختَنا
حتى إن لم يسمعها أحدٌ في الريح
حتى إن ظلت خرساءَ على فمِكَ الأخرس
وتعالَ ادخل مملكتي
من نافذتي المفتوحةِ من أجلك منذ عصور
لنؤلفَ جيشَ العودةِ،
حيث نقاتلُ في صفِّ المنسيين
ونبني عاصمةً أخرى للعالم.

٢٠٠٢

مكتبة الفكر الجديد

مهرجان في الأبدية

الى سعدي

مثلما في الأساطير عينتُ نفسي نبيا،
على الماء سرت، ورائي تسف الطيور، لأصنع معجزتي
رائيا في مسيري البحار العصية ترزح تحت نعالي
بأمواجها الصاخبات، مغنية في الرياح
إذ الشمس تنهض من نومها في يميني
وفي خيمة الليل يأتلق القمر المتنزه بين الغيوم
لينثر فضته في يساري
عابرا أفقا يتفتح في زرقة الأرض تسطع، هادرة في السماء
بأفجارها
مثل قوس ترف عليه النوارس، صاعدة
أطلقتها يد الله من سجنها
لتذكرنا بالحياة التي تتجدد فينا بأحلامها
كل يوم.

للحياة أقول، أنا نهرها المتدفق، غيمتها الممطرة
في الصحارى اليبابِ

مكتبة الفكر الجديد

وفي الأبدية كلمتها المضمرة
تقتفي خطواتي الدهور، وتمشي ورائي البشريةُ
قادمة تتدفق من كل حدب وصوبِ
لأمسح ميراثها الدمويَ بممحاة روحي
وأكتب تاريخها من جديد بحبر دمي
فاتحا باب بيتي لكل الذين يمرون بي.

حاملا على كتفي ضحايا العصورِ
أمر كبرق على العالمين،
وحين يحل الظلام الشفيف على الجرف والمنحنى
وينام الشتاء على باب بيتي
أمد يدي، فرحا بحياتي،
كطفل إلى الشمسِ،
ـ إن شئتُ ـ أقطُفها وردةً تتفتحُ،
أقذفها في مدار الفصولِ
أضيء بها الكونَ آن وصولي
وأمضي إلى الريحِ أطلقها تتلوى
كأفعى تفح على غصنها
لتدل الربيع إلى غابتي
في أعالي الجبالِ ووديانها
والطيور إلى ضفتي
تتحدر من ألف قوس
يزقزق لي

مكتبة الفكر الجديد

في السماء مودعة شمسها الغاربة
لأبوح بآخر أسرار قلبي
أنا الثمل المحتفي بحياته
في هذه الحانة الصاخبة.

إذ تمر المواكب عابرةً قوس نصري
وتنبجس الذكريات كنهر يفيضُ سيولا من النور
من كوة للحنين إلى كل ما مر بي
في حياتي القصيرة، هادرة في شوارع روحي
وتأتي الشعوب، مبهرجة بنياشينها،
من مهب الرياح إلى حفلتي
أمتطي فرسي، قاصدا خيمتي في الأقاصي
لأبسط للمتعبين السكارى بخمر المحبة مائدتي
رافعا رايتي
ناثرا كلماتي سلالم أسلكها كنذير
الى كل مستقبل أرتقيه لأغري به
في عبوري
ملائكة تتنزه بين المجرات في فلكها
تتنزل،
تصخب في ليل روحي
وتأكل من كبدي
يتعقبني قدري
وأمامي الحياة، أراها تسير مجللة بالجمال إلى عيدها

مكتبة الفكر الجديد

في هوادجها ذهبي
فأقومُ أشق ممر العصور إلى أرخبيل العواصف،
أستقبل الصاعدين إلى قمتي العالية
لأباركهم واحداً واحداً
وعلى ساحل البحر أترك شمسي تضيءُ
بفانوسها الأبدي
لضيوف حياتي الطريق
قادمين إلى مهرجاني قوافل من كل فج عميق.

للزمان أقول:
أنا شاعر الكون في فجره الأزلي
أقتفي نجمتي وحدها،
لأدل البرابرة التائهين
الى قلعتي النائية.

كلما مسح الليل ظلي
جعلت الكواكب جسرا
تسير عليه القوافل بعدي وقبلي
مشيت الحياة إلى نبعها
أنا شاعرها الوثني السعيد
لأرد لها دينها،
بادئا سفري من جديد.

٢٠٠٤

مكتبة الفكر الجديد

بعد كل حفلة

واصلين إلى زمن تتأجج ناره تحت الرمادِ
حملنا إلى الروح جمرتها
إرتدينا أمام المرايا،
معلقة بخيوط العناكب في كهفها
حلة الأنبياء.

في الصباحات، فيما الطيور
تحلق قادمة من بعيد
فتحنا النوافذ في بيتنا
للفراشات،
مسحورة بنداء الربيع
وأبوابنا للضيوف السكارى، يغنون أفراحهم
عن زمان قديم مضى وانقضى
ثملين بخمر الحياة. وفي الغرفة الحكماء
جلسوا ساهمين إلى المائدة
الفطور الأخير أعد لهم. فقرأنا لأحفادنا
في الجرائد قصتهم،

مكتبة الفكر الجديد

حين مر الزمان بهم
ذات يوم
وكانوا نياما بباب المغارة، مع كلبهم
فاختفى ذكرهم.

ذاهبين إلى حفلة الآلهة
مسرعين سمعنا ـ وقد شاخ من صبرنا صبرنا ـ
جرس الأبدية يقرع في أبعد الطرقات
لينبئنا بنوايا السعاة الذين سيأتوننا،
حاملين لنا كتب الأولين،
مبللة بغبار الزمان
لنحفظها للذين يظلون هنا بعدنا.

جملة في كتاب الحياة محتها الدهور
بأصابعها الناحلة
برهة في القطار المسافر،
إيماءة في وداع الضحايا
سنذكرها أبدا
كلما صعدوا معولين سلالمهم.
من وراء الزجاج الشفيف
رأينا الصواعق تضربهم
تاركين لنا ظلهم
في الممر الذي سيمر به في الزمان الجديد

مكتبة الفكر الجديد

سماسرة
يحتسون نبيذ الكلام الذي سوف ينسونه
في مهرجان اللصوص.

هكذا فجأة ينتهي الليل،
تشرق شمسُ الصباحِ
فننهض من نومنا
لنعيد إلى القلب أحلامه الضائعة
ونوزع أسلابنا سعداء على صبية
سوف يروونا بعد حين،
كأسطورة عن أباطرة،
هبطوا فجأة بمظلاتهم
من ظلام السماء
أناخوا قليلا ركائبهم
في العراء
اشتروا زادهم للطريق الطويل
الى بيتهم
ومضوا مثلما قدموا،
قاصدين المجاهل، تتبعهم ريحهم.

ثم حين يحل المساء الأخيرُ
وتعوي العواصف بين الرمال
كجرحى بألف فم صارخ في البرية

مكتبة
الفكر
الجديد

نخرج ثانية من مخابئنا
في الكهوف وبين الصخور
حاملين فوانيسنا نحو أقصى البوادي
لنوقد نيراننا الوثنية بين الخيام
طاردين الذئاب التي ستشم الظلام
من وراء العصور.

في سديم الكمائن يمشي المدجج بالأسئلة
حائرا في متاهته،
والطريق الذي سيمر به، صعداً نحو أعلى الجبال
طريق وحيد يدور على نفسه.

ليس بعد الوصول وصول
الى الحفلة القائمة.

٢٠٠٤

مكتبة الفكر الجديد

العادلون

وحدهم
حفروا في الجبال الصخور
بأظافرهم
ليشقوا النهار
الينا
الى بعضنا

ثمة النار أفعى سرت
في الهشيم
تحت أقدامهم
فاحترقنا بهم

أطلق الليل صرختهم
دائما
في المتاهة

مكتبة الفكر الجديد

من أجلنا

في الظلام رأوا
كل شيء

٢٠٠٤

مكتبة
الفكر
الجديد

فيلم فاشل

أستلقي فوق أريكة أحلامي في صالة روحي
لأشاهد نفسي في فيلم تعرضه الأبدية
لي وحدي.

ثمة ثلج يهبط ـ بطرسبورغ رافلة بالأسمال تغني وحدتها
عربات بخيول هائجة تجري
وسكارى يصطادون بغايا في الشارع.
في الحانة أجلس، أرقب من زاويتي، وأمامي قنينة فودكا،
راسكولنيكوف الثمل السائر
في الليل بمعطفه الخلق البالي
وقلنسوته الألمانية، يقصدني
متبوعا بأراملِه الثكلاتِ
ليرهن عندي بلطته المغسولة بالدم
وعلى مقربة من موقف باص
في ميدان يقصده السياح
يوقفني هاملت،
يتشبث بي أن أكتب قصته ثانية

مكتبة
الفكر
الجديد

لألفن شكسبير
درسا في تاريخ القلب البشري
معترفا لي بوساوسه الخرقاء
كي أنقذه من والده الناعق في رأسه
مثل غراب مأخوذ بالثأر
في قلعته الحجرية في الدانمارك.

في مدخل زقورة اور المنسية
أسمع صرخة أنكيدو،
ينقله الموتى في قاربهم
عبر بحار تزفر جمرا،
غامرة عالمه السفلي بماء النار
فيما كلكامش يخرج من شق جدار
في غرفة بيتي البارد
ويفاجئني كصديق آت من سفر
بعد عصور:
«هيا انهض لتكون دليلي في هذا العالم!»

في الغابة نمضي، نبحث عن أفعى غادرة
نهبت نبتته السحرية.

أبطال روايات وملاحم تروى للأطفال
أبطال حروب رابحة وحروب خاسرة

مكتبة الفكر الجديد

أبطال من تنك في سوق الصفارين
أبطال من قش ينقصهم عود ثقاب
أبطال للزينة في الحفلات العامة
أبطال للذكرى
أبطال للنسيان ـ

أفاقون وشريرون،
ملوك وفلاسفة،
جنرالات، حكماء، شعراء
يأتون كأشباح هاربة من مدن الأيام
يمضون إلى قلبي أبدا
في أسراب تطرق بابي
فأجالسهم مسكونا بالحيرة.
اللعنة!
أية أقدار ألقت بي
في هذا الوادي الصاخب بالأموات؟
من دل الماضي المجلود بسوط النار
الى بيتي في العتمة؟
هذي القصة ليست لي
وأنا لست الله
لأحمل وزر ضحايا البشرية
في هذا الدهليز السحري
على كتفي.

مكتبة الفكر الجديد

لكني وكما يحدث في العادة
أنهض مرتجفا، مرعوبا
أتلمس في الظلمة زر الضوء،
فيشتعل العالم نورا
وأرى الأشجار تغني لي ثانية
في الشارع.

شكرا لله! أقول لنفسي.
الآن فقط
يمكن لي أن أخلد للنوم
وأنسى
هذا الفيلم الفاشل.

٢٠٠٤

مكتبة
الفكر
الجديد

على صخرة الكون نكتب ميثاقنا

في قديم الزمان ـ وكان الزمان بطوفانه
في سديم البداية برقا يشق السماء
ويكتب أسطورة الكون بي
مضمرا بالنوايا،
ولم يكن الخارجون إلى النبع عادوا
رأيتُ الغزالة في هضبات حياتي
تسير إلى نهرها المتدفق بالذكريات
فتبعت خطاها،
كذئب وحيد لأبلغ نفسي،
ولكنني إذ وصلت
وجدتُ المراكب تمخر بحري بأمواجه
في زفاف الخليقة،
عابرة جسدي في الظلام، تضيء
بتجارها الغامضين
وفي حفلات البرابرة الصاخبين
رأيت القوافل، هابطة من شقوق العصور
تمر بصحراء آبائي الخالدين

مكتبة الفكر الجديد

وتطرقُ بابي
لتشحذ من موقدي جمرة للشتاء الطويل
ومن قش إسطبلي كومة للجمال الكليلة،
وهي تغذ الخطى في الطريق إلى واحتي النائية.

أيها السائر الليل كله، قل لي:
الى أي واد أردت الوصول وكل طريق يؤدي اليك؟
تركت وراءك أعلى الجبال
وفي زمهرير المتاهات خضت العواصف،
حتى إذا ما بلغت المدينة في فجرها
ورأيت الذي لا يُرى
رحت تجري هنا وهناك،
تداري الزمان الذي يدور كطاحونة في مهب الرياح
لعلك تفتح في سجنك الأبدي إلى الشمس بابا.

آه، من سيلم العقيق المبعثر في ذكريات الغريب هنا؟
من سيتبعنا بعواء الذئاب
ونحن نجازف، منطلقين بأطباقنا بين نجم ونجم،
بأعلامنا الأزلية،
ممتلئين حنينا إلى ساحل يتموج خلف الصخور بأشجاره
في سديم المجرة، حيث الحبيبة تنهض من نومها
وتغني لمن سيعودون يوما اليها
بكل الذي ضاع منها ومنا؟

مكتبة الفكر الجديد

سفراؤك في مدن التيه قد وصلوا،
أيها المبتلى بشريعته،
قاطعين المفازة، بيتهم الريح في زهوها.

هو ذا الليل ينشد قصتهم للقلوب الرقيقة،
فيما تمر الدهور عليهم بأجنحة من غبار
وتمسح أسماءهم من كتاب الرماد المدون قبل الزمان،
وثمة نحن الذين خبرنا البراءة نترك آثارنا خلفنا
للخطاة الذين سيأتوننا بقرابينهم،
معولين على باب معبدنا الوثني،
لنغفر، نحن الشهود، لهم
كل آثامهم.

نتقفى بأحلامنا، أيها العابر المستبد، الطريق اليك
لنبدأ من حيث جئنا،
وليس لنا في النهاية غير ممر نسير عليه طويلا،
بلا شمعة في الظلام
وراء أدلاء موتى يقودوننا في السلاسل،
مؤتلقين بوحدتنا،
مشرفين على جنة يستظل بها التائهون،
وفي فمنا حرقة الأبدية في نهرها
تتدفق هادرة،
كاتبين على صخرة الكون ميثاقنا.

مكتبة الفكر الجديد

هكذا نتقاسم أسلابنا،
هكذا نتصالح في عرينا مع أحفادنا،
وعلى ضفة من رماد نبدد صرختنا،
عاليا في الفضاء نصيح
لنغري الحياة التي نسيت نفسها فنسينا،
كأنا لم نكن أبدا ذات يوم ضيوفا عليها هنا،
بالقدوم إلى حفلنا.

ها هنا يفتح العسس الساهرون مزاليج قلعتهم
لبرابرة سوف ينحدرون مع الفجر
من هضبات النسور بأفخاخهم،
مالئين الوهاد ضجيجا.
في السماء الغيوم تمر مبللة بالسواد،
وبارقة بالرعود،
بليل هزيل يجر عواصفه خلفه بسياطه نحو الحقول
ونحن السكارى
ننادم أشباحنا
في انتظار الدخول إلى حانة نصفها في الظلام.
هنا حيث لا أحد في المتاهة يعرفنا
نسترد من الفاتح المستريب خرائطنا
لنواصل رحلتنا.
رافعين الأكف، نصلي لآلهة من حجار،
مكومة في المعابد، أعلى التلال

مكتبة الفكر الجديد

تراودنا الليل كله عن نفسها.

هنا، في أرخبيل اللصوص
نلاقي قراصنة يهجرون مرافئهم،
حاملين صناديقهم فوق أكتافهم،
ناقلين كنوز الزمان إلى كهفهم في الأعالي
فننهبهم فرحين،
ونطلق صرختنا الأبدية
في أذن البشرية توقد نيرانها في أعالي الجبال،
ليسمعها القادمون إلى عيدنا.

كلهم يخرجون إلى نبعهم في البراري
كلهم دائما
في الطريق الينا.

٢٠٠٤

مكتبة الفكر الجديد

في ساحل البحر

جالسا
كيتيم على ساحل البحر
أنصت للموج يغسل بالضوء جرح الصخور
وخلفي كهفي
أمامي السماور، متقدا فوق سجادة الرمل،
أشرب شايي
وأرقب، مغتبطا، في البعيد جبال غيوم،
تغطي الثلوج معابرها،
فاجأتني السعادة، خارجة تتنزه بين البساتين،
فاتحة صدرها البض لي،
فاحتفيت بها.

إنتظرنا المراكب، في الأفق المزدهي بالطيور،
تمر علينا أخيرا،
لنختم قصتنا ونعود إلى بيتنا.
«كل نهر يتوق إلى نبعه»
قلت مغتبطا بالطبيعة حولي.

مكتبة الفكر الجديد

لفحت وجهي الشمس، ناهضة في سرير الكون
من نومها في الصباح،
وفي الشجر الريح، خافتة،
كتبت بأريج المحيطات سيرتها،
والزمان مضى بعصاه كشيخ بطيء الخطى،
يتسول بين الحقول.
هناك ـ وكنت سعيداً ـ
سمعت بكاء المحبين في حفلات الذئاب،
يلوذون بي من وراء العصور سدى،
فازدريت العدالة، رافعة رأسها،
مثل فزاعة، فوق دكتها، عند باب المدينة،
تحمل عمياء ميزانها الذهبي،
مواسية أنبياء، يحفون مغتبطين بها.

في حضور الشعوب
أزحت القماشة عن ناظريها،
وسلحتها بنشيد البراءة ضد سماسرة برؤوس أفاع
يبيعون آلهة،
تتصيد رهبانها في الجحيم.

عائدا نحو كهفي بأعلى الجزيرة، حيث تقيم النسور
رأيت العصور تدون حكمتها في الصخور لعشاقها،
فقرأت رسالتها.

مكتبة
الفكر
الجديد

فتنتني المحبة في خدرها،
فاستبحت جلالتها.

دائما حين يرخي الظلام ستائره،
وتغني الحياة لأجلي قصيدتها
أرقص الليل كله،
مبتهجا في مضيف دراويش يحترقون بنيرانهم،
يضربون الدفوف، سكارى،
وأحلم مثل بشير بعصر جديد،
أنا الشاعر المصطفى، سادن الصبوات،
دليل السراة إلى نبعهم في الصحارى،
بفجر يجر مراكبه خلفه،
أرتقيها إلى قدري في الأقاصي،
لأنصب مائدتي لضيوف زماني،
وأبدأ يومي مع الشمس، مشرقة من جديد.

آه، كل المراكب مثقوبة وأنا في الجزيرة وحدي.
هجرتني السعادة، هاربة تحت جنح الظلام
مع خلانها الغادرين
والدراويش ماتوا من الحب في معبد العاشقين
فبقيتُ هنا في السواحل بين الوحوش،
أجالس نفسي، أمامي السماور،
أنصت للبحر يرغي بأمواجه تتكسر فوق الصخور

مكتبة الفكر الجديد

أرصد الأفق الأبدي بمنظار قلبي
لعل السفينة تأتي أخيرا
والحياة تمر بكهفي.

٢٠٠٤

مكتبة
الفكر
الجديد

عرض سحري في الهواء الطلق

إرتقى البهلوان المنصة، مرتديا جبة من حرير
أزاح الستارة ـ بعد خطاب قصير ـ
عن المسرح الخشبي
المتألق بالشمس في ساحة البلدية
أقصى المدينة
فانتظر الحشد مني أنا سارق النار
أن أمسخ الحبل أفعى
وأطير.

*

لم أكن ساحرا أبدا
بتعاويذ يجترح المستحيل
وما كنت يوما نبيا.
لذلك ناديتهم:
أنظروا! هذه الكأس بالسم طافحة
سوف أجرعها الآن حتى الثمالة
ثم أغني لكم بعض شعري
لشمل روحي.

مكتبة
الفكر
الجديد

هو ذا كل سحري.

*

رجل من رماد تسلل من فتحة في جدار
وصافحني دونما سبب واضح
طالبا في النهاية أن يطلق النار في ساحة الخالدين علي
ليؤمن بي
عارفا أنني لن أموت.

*

في البعيد رأيت حياتي تضيء كلؤلؤة
فسرت اليها بأمتعتي، صاعدا قصرها
فوق مرتفع بسلالم في قلعة في الضباب
وأقفلت بابي
لأشرب كأسي المريرة
منتظرا قاتلي في الظلام
لأحيا.

*

إعتلى البهلوان المنصة،
معتذرا للجماهير باسمي
وطار.

٢٠٠٤

مكتبة الفكر الجديد

الحاضرون والغائبون

يخرج الحاضرون،
ويدخل بعدهم الغائبون
ليبوحوا لنا بالذي كان
او سيكون.

*

كل يوم تمر طوابير
ترفع أعلامها
في الشوارع، قارعة
تحت ثقل السماء
دفوفا تزف الحياة الينا.

*

بالسياط يقود الموسوس أيامه
كوعول مدجنة
في حضور المهرج
يرقص فوق الحبال.

*

عربات محملة بفواكه مسمومة

مكتبة
الفكر
الجديد

وموائد منصوبة
في الشوارع
يأكل منها الجميع.

*

لا وصول لهذا الذي يذرع الطرقات
باحثا عن مناجم وهمية
في الخرائب
تحت التراب.

*

في امتداد العصور الخوالي
الصواعق تبرق خلف الجبال
والضيوف الذين أتوا
حملوا كل ما جلبوه لنا فوق أكتافهم
ومضوا
تاركين الحياة على بابنا
تقضم الذكريات.

*

هذه الأبدية، أقطعها لحظة لحظة
وأعمد بالنار قلبي المتيم،
ينبض بالبرق والرعد، محترقا
في الظلام.

*

كل شيء على ما يرام.

٢٠٠٤

مكتبة الفكر الجديد

سائراً في شارع طويل

في الشارع أمضي، مختبأ خلف قناعي
أرقب مندهشا أقداما تسرع، قادمة أو ذاهبة
الكل هنا يمضي نحو مكان ما
لا أجرؤ أن أسألهم. من أين؟ إلى أين؟

سيدة من نار بشفاه قاتلة
تمضي، حاملة كلبا أبيض بين ذراعيها،
لابسة فستانا أزرق فضفاضا
تنتظر الآن قطارا يخرج من نفق
أرقبها تصعد، ذاهبة
للقاء عشيق يجلس منتظرا
في حانة.

أتسلى بالعالم،
مبتكرا قصصا بتفاصيل عن
المارة يمشون أمامي.

مكتبة
الفكر
الجديد

هذا الرجل الواقف تحت عمود
يبدو جاسوسا في الـ CIA؟
قبعة مائلة بعض الشيء على الجبهة
النظارة سوداء،
جريدته في يده كالعادة
لكن لا شرطي هنا يتعقبه.
أمر يدعو للحيرة حقا.

كقطيع أيائل مندفع نحو النهر
أراهم يضطربون أمامي
لكن ما من أسد يتسلل بين الأحراش ليفزعهم.
أجلس في مقهى الغابة
وأقول لنفسي:
لا شيء جديد تحت الشمس هنا.

صيادون كثيرون مضوا في الغابة قبلي
لم أعرفهم
وطرائد فرت ناجية، لا عد لها
لم أعرفها أيضاً.
كم فخا نصبوا؟ كم هاوية حفروا؟
خطئي أني لم أتقن أبدا حفظ الأرقام.

لكن ما جدوى ذلك كله؟

مكتبة الفكر الجديد

الأفضل أن أجرع فنجان القهوة هذا
قبل غروب الشمس
وأمضي
الأفضل أن أنسى هذا الحشد السائر فوق الجسر
الى الطرف الآخر في العتمة.
فهنا لا أحد يطلب شيئا،
لا أحد يسأل عن أحد أبدا.

هذا الشارع، مرتبكا بحنين الأرض إلى الماشين عليها،
أذرعه المرة تلو الأخرى
كسجين بين جدارين ذهابا وإيابا
فيؤاخيني بحنان،
مرتكبا واجبه اليومي بلا شكوى
منتظرا إياي بصبر ليل نهار
كي أقطعه ثانية في يوم آخر.

٢٠٠٤

مكتبة الفكر الجديد

تحت ضربة الفأس

هنا في هذا المشهد الحزين
على ضفة نهر دجلة القديم
حيث يتشبث بنا من فرط المحبة
سومريون وآشوريون، كلدانيون وأكديون
متروكون منذ الأبد في القفار
مادين أذرعهم الينا من وراء الدهور
لننفض عن جبينهم التراب
حيث تتمدد الآلهة على طاولة التخدير
تحت مبضع النسيان
ويسكب الكهنة الحجريون
دموع التماسيح
في حضور الملائكة
نعقد النية على المسير
تاركين وراءنا فاتحين سكارى يثرثرون أبدا
في حانات الأجيال القادمة
حيث تسرح الأسود المزمجرة في المراعي المسيجة حولنا
والنحل يطن ليدل الصيادين إلى عسله المبذول بكرم

مكتبة الفكر الجديد

في الوديان
هنا حيث تفح الأفعى
تحت مخدع الأسلاف
ننطلق على صهوات خيولنا المجللة بالسواد
عابرين صحارى تعج بالذئاب
قاصدين كل مدينة ضربها الزلزال
لنعيد بناءها ثانية
فنسرح بأصابعنا العظمية المسناة كمشط إفريقي
شعر التاريخ المسدل الطويل على أكتافنا
قبل الدخول إلى القاعة المعتمة
في قصر المرايا.

ليس ثمة بعد من معجزة.

تحت ضربة الفأس في لحم الشجرة الخضراء
نسمع صرخة الضحية المنسية
تطلقها قوافل بائدة خلفناها وراءنا
في ضجة الغابة
تحت أقواس نصرها المكللة بالزهور الذابلة
نرى برابرة العالم ينحدرون من أوعر الجبال
جارين وراءهم وعولهم النافرة
خارجين من كهوف الزمان السرية
ليقيموا طقوسهم الوثنية الجديدة

مكتبة الفكر الجديد

في رياح بابل العاصفة.

مغتبطين بالموتى وبالأحياء
بالساهرين وبالنائمين
بالسائرين وبالجالسين
بالعادلين وبالظالمين
يتعقبون آثارنا الزائلة
نترك القمر يسفح أشعته على كل قمة عالية صعدناها
آملين بعصور آتية أخرى
ممتلئة بالشفقة.

أصعب المواثيق عقدناها مع أنفسنا
دائما.

تحت ضربة الفأس.

٢٠٠٢

مكتبة
الفكر
الجديد

المسافر

قم أيها المسافر السائر بين الليل والنهار
قم افتح النافذة المغلقة
وانظر إلى الشمس التي تضيء في الخارج
مطلة عليك من عليائها هناك
تزهو بها حديقة السماء
كوردة وحيدة أيقظها الربيع من سباتها العميق
فامتلأت بعطرها الرياح
قم نادها لتغمر القطار
بضوئها الدافئ
وتجلب الصباح
ثانية اليك.

وفي الليالي جالسا وحدك في قطارك المندفع الهادر
تقرأ في كتاب
او ترقب الظلام
يهطل كالثلج على الأشجار
قم افتح النافذة المغلقة

مكتبة الفكر الجديد

دع شمسك المشرقة
تخرج إلى العالم
محتفيا بضجة المارة في الشوارع
بقمم الجبال إذ تغمرها الثلوج في الشتاء
بخضرة الوديان والوهاد في آذار
وزرقة المياه في البحار.

قم أيها السائر بين الليل والنهار
قم أيها الشاعر
كن وحدك السكة والمسافر!

ما همك الدليل
إن جاءك الآن يجر خلفه خطاه
او أخلف الموعد
فنام مخمورا على الدكة في الحانة
ما دامت الشمس معك
تضيء لك
طريقك الطويل؟

٢٠٠٢

مكتبة
الفكر
الجديد

الموت من فرط الخلود

من سوء حظ الخالدين
أنهم يموتون أيضا
لذلك شيدت لنفسي في قريتي الواقعة على البحر
أجمل قبر أتمدد فيه مطمئنا على راحتي
في ذاكرة الأجيال القادمة
فرشته بطنافس من ديباج صيني
وحولته إلى متحف ملأته بآثاري الكاملة
يحرسه تمثال من رخام يشبهني
أوقفته في الباب
ليبعد عني بعصاه الشعراء الموتى الهائمين
على وجوههم في المقابر
حيث تعوي الكلاب السائبة ليلا،
متبولة على الشواهد
ورحت أنتظر وصول السائحين بلهفة
فوجا فوجا
من القارات البعيدة
ليقرأوا الفاتحة

مكتبة الفكر الجديد

على روحي الحائرة
في حياتي الحاضرة.

كثيرون مروا بالتجربة قبلي
وماتوا من فرط الخلود:
سلفادور دالي هدد أن يلتهم زوجته غالا حتى العظم حين تموت
ليتحد بها إلى الأبد
لكنه حين رآها راقدة بلا حراك
فر من البيت مولولا كفأر مذعور
خشية أن يرغمه الهواة
على طبخ لحمها الشائخ
ثم راح يسلي نفسه ممسدا بكفه الكبيرة
على أقفية الصبايا الصغيرات
في محترفه المليء باللوحات
لينسى طيفها القادم من الآخرة
بيكاسو رأى الدنيا عاهرة قوادها الموت
وهو يضطجع بينهما
أراغون ترك غرفة ايلزا تريولي مفتوحة دائما
بانتظار عودتها إلى البيت
سارتر قال: إنتظروني مئة عام أخرى
قبل أن تقرأوني ثانية
حسين مردان أوصى أن يرموا بجثته للكلاب
لأن كل ما أحبه كان موجودا

مكتبة
الفكر
الجديد

في هذا العالم
لكنهم اقتادوه رغما عنه في سيارة جيب
الى النجف
وواروه ثرى الصحراء
شمران الياسري أخذوه وحيدا بدون فلاحيه
الى مقبرة للشهداء في بيروت
ودفنوا بلند الحيدري وإخوته في لندن
الجواهري والبياتي في مقبرة للغرباء في الشام
هكذا تركوهم وحيدين في البراري
تعبث بهم يد الزمان الغادر.

إشتروا أيها الشعراء قبورا تليق بمقامكم
قبل فوات الأوان
لتضمنوا الخلود!

٢٠٠٠

مكتبة الفكر الجديد

رسالة من آخر الشهود

تبت يداك يا أبا لهب!
من الجحيم طالعا تنبعك الأشباح
منحدرا من غيمة
في آخر الليل إلى العالم
تعصف في أعقابك الرياح
تسير في الشوارع المقفرة
ونحن في بيوتنا نجلس صامتين
ننتظر الموت على الأبواب
يطرقها واحدة واحدة، في يده منجله القديم
فنختفي بين الثقوب تارة
وتارة نقوم مذعورين
ننظر عبر شرفة الماضي اليك، أيها الماضي
توزع النياشين على أجيالك الخائنة
مرتديا بزتك العتيقة البالية
بين ضيوف خانهم زمانهم
يمشون خلف طبلك العتيق
يقرعه مكتشفون غامضون يرحلون دائما من كثرة السأم

مكتبة الفكر الجديد

ننظر من خلف زجاج صالة الأيام
من طرف النوافذ المغلقة
من فجوة الستائر المسدلة
ننظر من مستنقع التاريخ، في حفرته، يضج بالأموات
اليك في وحدتنا، حيث تمر الدهور
تسير فوق الجثث الملقاة في العراء
تنهشها الذئاب.

تبت يداك يا أبا لهب!
حيث مضيت راكبا حصانك الهارب من إسطبل العدم
أحرقت في طريقك الجسور
هدمت كل ما بنيناه هنا في دورة العصور
وزوجك التي تجر خلفها حمارها، حمالة الحطب
تنفث من سمومها في صرر العقد
مشدودة من جيدها بحبلها المسد
اليك إذ تسير في طريقك الطافح بالدموع
تنبح من ورائها الكلاب.

بلطتك التي نسيتَها على التراب
في مسرح الجريمة
يقطر منها الدم.

من ألف ألف عام

مكتبة الفكر الجديد

منتظرين المنقذ الخارج من متاهة الأبد
نصرخ أو نبكي من الألم:
كيف؟ لماذا نقرع الناقوس كي يسمعنا الأحياء
في زمن الموتى
ولا يأتي إلى نجدتنا أحد؟
كيف؟ لماذا كل ما نكتبه في دفتر الإنشاء
تمسحه أصابع الرياح؟

نسمع من بعيد
صافرة الإطفاء
نؤمل الباقين بالنجاة.
نفتح من فرحتنا النوافذ المغلقة
نصرخ بالآتين:
ها هو ذا هناك
يذبح في المغارة العصفور
ها هو ذا هناك
يفتك بالوردة في الحديقة
ها هو ذا هناك
يمد كفيه إلى السماء
يطفىء في مدارها النجوم
والشمس والقمر
تتبعه أصنامه الحجر!

مكتبة الفكر الجديد

لكنهم يمضون في طريقهم
أعينهم مغسولة بعتمة النسيان، ما من أحد يراه،
ما من أحد يسمعنا.

نحن الضحايا، آخر الشهود
نحترق الآن هنا.

تبت يداك يا أبا لهب!

٢٠٠٣

مكتبة
الفكر
الجديد

جمهورية الرمل

١

مطرودا من جنة آدم
شاهدت عبيدا بسياط يقتادون شعوبا معولة
تدّافع فوق صراط يمتد عميقا
في العتمة.
مرتبكا ألقيت ذنوبي
في ميزانهم الذهبي ورحت أغني
لأسلي نفسي
لكني حين سمعت الجلاد يناديني
بأصابعه كي يقطع رأسي
ألقيت الريح على كتفي
وفررت لأنقذ روحي
في محكمة لا ينجو فيها أحد أبدا.

٢

متبوعا بكلاب تنبح خلفي

مكتبة الفكر الجديد

كان علي، أنا الحامل جرحي،
أن أمضي قدما
في الدرب الموحش وحدي
كي أبلغ أرضا
لم يبلغها أحد قبلي.

ليل أطفأ قنديله، فيما الأشباح
مشتتة في المنفى تبعثني
وطبول قرعت في ماض أخرس،
معلنة بدء القصة.

٣

في شاحنة ملأى برمال
ألفيت التاريخ أمامي
في وديانه أسست، أنا الشاعر، من طين الجنة
جمهورية أحلامي
شيدت لنفسي وطنا
سلمت مفاتيحه، محكوما بالحب لمكتشفين
أتوني بالحكمة،
أنثرها في الصحراء
نقشت بإزميل النار على بوابته إسمي
وملأت مداخله بالأشجار
ليفرح قلبي

مكتبة الفكر الجديد

أطلقت نجوما لا عد لها
وفراشات تومض في الليل
لتسلية الموتى في آشور المتروكة في الوديان
كتبت قصائد أيامي في الرقم الأولى
وعلى الأبراج رفعت بنفسي
علمي الوطني
لأدل الريح إلى بستاني
في كل ربيع.

٤

في الصحراء رأيت قوافل قادمة
من أبعد قارات العالم
كي تشرب من بئري.
أعراب من ظلمة قلبي
خرجوا
جاؤوا
طحنوا قمحا بزؤان واستلقوا في الخيمة قربي
تركوا في الوديان جمالهم التعبى ترعى عشبي
أعطوني ميثاق حياتي في صندوق مختوم
بطلاسم من سحر الماضي
ومضوا في الصحراء ليبنوا مدنا أخرى
في رمل العالم.

٢٠٠٣

مكتبة الفكر الجديد

حورية خارجة من القمقم

عارية فوق سرير الآهات
شاحذة شهوتها من بثري في العتمة
ألقيت اليها بجديلتها مرتعشا كي تتسلقها
فاحتضنتني خارجة من قمقمها
بعد غياب دام عصوراً
لتمثل في أحضاني
أجمل أدوار ملاحمها المنسية.

في خيمتنا السفرية،
مضطجعين على الشاطىء
ننتصت للأمواج تغنيها الريح
رأيت العالم يحيا في شفتين تفيضان على ساحل تاريخي
عسلا بريا
ترتعشان لنهجر هذا الوادي
قبل هبوط الليل الأعمى
لأضم إلى مرعى صدري نهديها الظبيين
ونأخذ حصتنا من تفاح الجنة.

مكتبة الفكر الجديد

متشبثة بذراعي مثل ملاك في حلم
لابسة فستانا أحمر منقوشا بقرنفل غابات العالم
خارجة لتصلي في معبد أفراحي
صلت من أجلي.
محتالين على حارسه الوثني رشونا كاهنه الزنديق
ليتركنا نعبد آلهة لا تكرهنا
فأشار بلحيته المصبوغة بالحناء علينا
أن نصعد في قارب ربان
سيقود سفينتنا
في بحر منذور أن نعبره يوما
في الطوفان.

تحت الأنقاض وجدت خزائن كنزك ملأى ذهبا
في البرد وجدتك شمسا تسطع عبر الأشجار
لتدفىء أعضائي
ليكن لك يا سيدتي الساحرة الموعودة بي
ما شئت من الذكرى
ليكن لك نولك، إذ تغزل أعوامك أعوامي
خيطا، خيطا
لرداء ألبسه كقناع في حفلات ملائكة تسهر في بيتك
حتى الفجر
لأسلك هذا الدرب إلى معبد أحلامك
مأخوذا برواياتك عني.

مكتبة الفكر الجديد

في الغاب هنا، في أور المنسية
كل الزقورات صعدناها
لنرى أوجهنا في مرآتك
كل الأسفار قرأناها ونسيناها
في سفرك وحده، مهجورا فوق الرف
قرأنا قصتنا،
إذ لا الجملة تختم في فمك المسحور
ولا الشاعر يتعب من إنشاده،
في السر بكينا وضحكنا
ومسحنا كل دم مسكوب فوق رخام التاريخ
غسلنا في ينبوعك أيدينا.

إرمي القمقم في بحر حياتي لنبدأ قصتنا ثانية
إبني ياسيدتي
خيمتنا السفرية في الأبدية.

٢٠٠٣

مكتبة الفكر الجديد

هبوط فاضل إلى العالم

١

كلما بلغت مدينة فاجأني المطر
ماسحا آثاري.

من أين أتى هذا القطار إلى هذا الربع الخالي؟
من أية مدينة؟ أية قرية؟
ما من علامات طريق
في طريق عابر الجبل
ما من بوصلة في يد مكتشف القارات.

لم أكن ميتا أو حيا.
كان ذلك كل مجدي.

لذلك عبأت حقائبي بأمتعة اشتريتها من المستقبل كيفما اتفق
من أول حانوت على قارعة الطريق.
في موقد الشتاء القارس

مكتبة الفكر الجديد

أشعلت حطب الماضي
لأدفىء أعضائي اليابسة
وجلست أنتظر على رصيف هذه المحطة النائية.

لم تكن معي حتى بطاقة سفر.

ثم حين أتى القطار أخيرا، بصافرته المنذرة
كأرملة نائحة في الليل على زمانها الغادر
نافثا دخانه في السماء الملبدة بالنجوم
كأفعى تتلوى بين طيات ثوب الرمال المنفوش
رأيت آدم العارف بالأسرار
يرسف في الأغلال
محشورا في عربة صاخبة، ضاجة بالسكارى والعاهرات
بين شرطيين يلعنون حظهم العاثر
ناظرين إلى الأفق بنواظيرهم المقربة
متلصصين على جواسيس يتخفون وراء جذوع أشجار الزقوم
يتنصتون على آخر أخبار الآخرة.

٢

«ماذا تفعل هنا يا آدم؟»
ناديته بمحبة
لكنه لم يقل شيئا،
لوح لي بيده من وراء النافذة

مكتبة الفكر الجديد

محييا إياي بجواز سفره الملغى
في مركز شرطة الفردوس
مطرودا إلى مدينة رأيتها
ذات مرة في الأحلام
كان اسمها النسيان
تاركا لي وراءه قنينة خمر عبأها بنفسه في الجنة
فسكرت بها، حامدا الله على نعمته.

مضى القطار به،
لا أحد سأل عني.

٣

في قرية بعيدة في الضباب
رأيت سيد الزمان يبلل ريقه بين الكلمة والكلمة
ملقيا خطبه المزلزلة
من خلف ظهري على العالم
كجنرال أحمق يعتلي منصة التاريخ.
رأيت شعوبا تحتشد في الميادين العامة
تصفق لأشباح هابطة بالمظلات من الإنفجار الأول
وسط الألعاب النارية في مهرجان الخليقة
متنقلة من مجرة إلى أخرى
ناثرة بذارها المشبوهة
في كواكب سعيدة.

مكتبة الفكر الجديد

٤

في فيلم يعرض مجانا
فيلمي الذي مثلت فيه قصة حياتي
ألف مرة
وجدت طائرا يبكي
في قفص نسيه الصياد
في غابة الجاحدين
ذهبت فأطلقت سراحه،
مرفرفا أجلسته في راحة كفي
ملتهبا بالسعادة
صار جمرة أحرقت كفي
رميتها في الظلام
آملا أن يلتقطها أحد غيري.

لم يكن فيلمي.

٥

على الرصيف في محطة نائية
جلست على حقيبتي، لألملم أشلاء نفسي
محدقا في جدول القادمين والمغادرين
ـ كان لا يزال ثمة الكثير من الوقت أمامي ـ
مع سائحين يتلمسون محفظات نقودهم،
خشية السرقة.

مكتبة
الفكر
الجديد

ثمة من رآني فأومأ برأسه، محييا من بعيد
آخرون مروا بي دافعين عرباتهم أمامهم
غير ملتفتين الي.

٦

ليس ثمة الكثير الذي أذكره الآن عن حياتي الماضية
ليس سوى انني كنت ذات مرة ملطخا بالدم
وقابلة تغسلني داخل طست بماء بئرنا المالحة.
حتى الصرخة التي أطلقتها في مهدي من الألم
دوت في أذن المدينة،
كأغنية أطلقها سكير عائد من الحانة
في آخر الليل
فابتسم المارة في الشوارع
عارفين أن الأطفال يصرخون دائما
ليثيروا قلق أمهاتهم
مانعينهن من النوم.

مطر غزير غسل العالم من أدرانه
في الخنادق توقفت الحرب
والمدافع أخرجت من الوحل
لتزييتها.

أشرقت الشمس،

مكتبة الفكر الجديد

مرحبة بميلادي السعيد.

٧

ملاك صغير بأجنحة فراشة،
تقول أمي
هبط من شجرة الجوز الوحيدة
في فناء بيتنا
مائعا من الخجل
حاملا في يده باقة زهور الي.
لم يقل لنا كيف عرف بالخبر
الجرائد لم تنشر شيئاً عني
ولم يحدث أمي عن الروح القدس،
كما يفعل عادة
ولا عما يجب أن أفعله بحياتي القادمة
كل ما قاله هو انه جاء
ليطمئن على وصولي بالسلامة
ناقلا الي تحيات سيده الأعلى في السماء
فشكرته على حسن ظنه بي.

٨

وشاة كثيرون أذاعوا أخباري
في كل مصر وقرية
الملك الأعمى أرسل جنوده ليقطعوا رأسي
فافترستهم الذئاب في الصحراء.

مكتبة
الفكر
الجديد

لذلك تركت مصيري للأقدار
وانتظرت وصول المجوس إلى محلة جقور
سائرين وراء ضوء نجمة قادت جمالهم المنهكة الي
منحدرين من أسطورتهم
عبر سلالم قلعة كركوك الحجرية
ليزفوا لي البشرى.

النساء الجالسات أمام أبوابهن على الحصائر
في زقاق الأنبياء
يقشرن التفاح، جارحات أصابعهن
صحبة زليخة، وقد استبد بها الشبق
في انتظار خروج يوسف من الحمام
رأينهم يسجلون إسمي في دفاترهم العتيقة
تاركين لي معهن المر واللبان.

لم أر ما كتبوه عني
لم أر الدم يقطر من أصابعهن.

٩

كتب كثيرة قرأتها
تحت أعمدة الكهرباء في الشوارع
وكتبت أشعارا تحت ضوء القمر
تارة عن ليلى العامرية، تلوح لي بيدها

مكتبة
الفكر
الجديد

من فوق سطح الجيران
وتارة عن صبية شكسبير الحسناء ـ
جولييت الخارجة على أعراف عشيرتها ـ
مثيرا غيرة حبيبها الواقف تحت الشرفة
يناجي النجوم، مهددا بالإنتحار.
وحين كبرت أدمنت الجلوس في المقاهي
بين شعراء بدويين
يدربون قرائحهم على اجتراح القصائد
او يحتسون الشاي بالنعناع في وادي عبقر القريب من بيتنا
وفلاسفة يخفون في جيوبهم حجر الفلاسفة
مثيرا ملل الجواسيس الجالسين على التخوت لصقي
من كثرة الكلام عن كل من هب ودب.

١٠

ليس هناك الكثير الذي أرويه عن حياتي الآتية.
أذكر أني كنت ذات مرة قبطانا في سفينة ترجرجها الريح.
لم أكن عوليس على أية حال
ولم أكن عائدا إلى ايثاكا.
كل ما في الأمر هو انني أشعلت ناري في أعلى الجبل
آن وصولي الجزيرة
صائدا في طريقي ظبية شاردة قدتها إلى خميلتي
تاركا السفن التائهة في البحار
ترسو في ساحلي الآمن

مكتبة الفكر الجديد

والبحارة الجائعين يطرقون بابي
لأولم لهم قلبي.

١١

ـ صباح الخير أيها الشاعر!
ـ مساء الخير أيها الشاعر!
هكذا ظل غوته يحييني كلما رآني جالسا
في حانته الأثيرة «اوبير باخ كيلر» في لايبزيج
كما تقتضي عادة العباقرة
ظانا أنني مفيستو الذي اشترى منه روح فاوست المسكين
لقاء حفنة من الماركات الذهبية
فأنهض وأرفع قبعتي احتراما،
داعيا اياه إلى قدح من البيرة المثلجة
نشربها في نخبنا،
نحن منفيي العالم.

١٢

في التراب رميت لآلئي
ليبحث عنها العميان.

في النهاية كل ضوء حجاب.

تركت الشيطان يضرب أخماسا بأسداس
هاشا بعصاه الغليظة

مكتبة
الفكر
الجديد

خرفانه الضالة ترعى العشب في وادي الجحيم.

هناك بعد أن أسدلت الستارة على المشهد
وغادر المتفرجون القاعة
رويت للأطفال أجمل القصص
لتظل مؤامرتي
قائمة إلى الأبد.

١٣

لم تقع أحداث خطيرة بعد ذلك.
بضع حروب فقط
لتزجية وقت التاريخ الطويل
أعوام في السجن
لدراسة تاريخ الحشرات
ربع قرن في المنفى
بدون وثيقة تخرج من معاهد الطغاة
وقصائد
نسيتها في البارات
على موائد السكارى الخالدين.

١٤

ثمة الروح تنزف وما من أثر لجرح
فيما الحقيقة تغرف دعواها
من بئرها الطافحة بالأكاذيب.

مكتبة
الفكر
الجديد

ما يمتلىء به الفم يردده اللسان الطويل
تاركا الماضي يبعثر أوراقه
على منضدة المبشرين
واللغة تتقلب على سريرها
فيما صراخ الغائبين
يطرد النوم من العين
والصباح يتزلفنا
بالبلبل يغني على الشجرة
لنستيقظ ونشرب شاي الصباح
قبل الخروج إلى العمل
مع آخر الأحياء.

١٥

كل هذه الأساطير رويت من قبل
كأننا لم نكن أبدا هنا
نتنصت إلى الرواة
يتحدثون عنا
جالسين على عروش الحكماء.

هناك، والحفلة قائمة من أجلنا
رأيت الحياة تجلس مثل سيدة فاتنة في صالة الضيوف
تضع رجلا على أخرى
متكئة على مقعدها المطرز بورود العصور الذابلة

مكتبة الفكر الجديد

محدقة بالمزهرية تسقط
على الأرض الخرساء
فيما الموت يخرج من غرفة الخدم
ويكنس نثارها.

١٦

في الغرف المقفلة
يضيء الكهنة شمعداناتهم
جالسين أمام شاشات التلفزيون
يراقبون بعيون جاحظة مشاهد يوم القيامة
كخبر عاجل وصل لتوه من عرش السماء
تاركين الموتى يزهرون مع العشب
في الحدائق العامة
من أجلنا نحن الناجين من الغرق
نحن الذين ضحكنا ذات مرة
وبكينا
نحن الذين خرجنا
لننشد مدائحنا في البرية
ممشطين شعر أسلافنا المجعد
قبل الذهاب إلى الحفلة
مع آخر الضحايا.

١٧

رجال ونساء وأطفال حملوني على محفة من السعف

مكتبة
الفكر
الجديد

ذهبوا بي إلى مدينة لا أعرفها.
لم أعترض أو أقبل.
سمعتهم يتحدثون عني، لم أقل شيئا.
في آخر الأمر
لا أحد يموت من الحب.

١٨

حجارون كثيرون ضربوا بمعاولهم الصخور قبلي.
ضربتها أنا الآخر
رائيا الشرارة تبرق بأنين الحجارة العمياء
والصقر يعود إلى عشه في أعلى القمم
متسلقا صدر الزمان الحي بمخالبه الجارحة
حيث الجبل يبدد ثلوجه الكريمة
على الوديان البعيدة
آمرا منحدراته السامقة أن تهدر سيولا
تتدفق أنهارا فائضة
في الصحارى القاحلة.

ذهب حياتي
نثرته في طريق المستقبل ورائي
رفضت أن أستلم براءة ذمتي من العالم.

في هذا الليل سأرفع كفي

مكتبة الفكر الجديد

كنذير بحياة أخرى
أصعد صخرة هذا المنفى
ألتقط الجمرة من موقد تاريخي
أقذفها في عتمة أيامي
وأسير في الشارع وحدي
كي أبلغ نفسي.

٢٠٠٣

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

للمؤلف

مجموعات شعرية

- سلاما أيتها الموجة، سلاما أيها البحر - بيروت ١٩٧٤
- الشجرة الشرقية - بغداد ١٩٧٦
- الأسفار/ الصحراء/ عويل العنقاء - بغداد ١٩٧٦
- رجل يرمي أحجارا في بئر/ النشيد المضاد - لندن، بيروت ١٩٩٠
- صاعدا حتى الينبوع - بيروت، عمان ١٩٩٣
- في نهاية كل الرحلات/ في كل بئر يوسف يبكي - كولونيا، بيروت ١٩٩٤
فراشة في طريقها إلى النار دمشق ١٩٩٨
- أعراب تحت سماء غريبة/ من نافذة مفتوحة في طبق طائر - كولونيا، بيروت ٢٠٠١
- هنا فوق الكرة الأرضية - كولونيا، بيروت ٢٠٠٦
- في كل بئر يوسف يبكي In Every Well a Joseph Weeping (باللغة الانكليزية) - نيوجيرسي، أميركا ١٩٩٦
- صانع المعجزات Miracle Maker (باللغة الانكليزية) - نيويورك، أميركا ٢٠٠٣
- في حفلة سحرية Auf einem magischen Fest (باللغة الألمانية) - برلين ١٩٩٨
- خارجا، داخلا Mittenaus, mittenein (أنطولوجيا رباعية باللغة الالمانية) - برلين ١٩٩٣
- غريب على الخليج Etranger sur le Golfe (أنطولوجيا رباعية باللغة الفرنسية) - باريس ١٩٩١

مكتبة الفكر الجديد

روايات

- مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة بغداد ١٩٦٩
- القلعة الخامسة دمشق ١٩٧٢
- الديناصور الأخير بيروت ١٩٨٠
- مدينة من رماد دمشق ١٩٨٩
- آخر الملائكة لندن بيروت ١٩٩٢
- كوميديا الأشباح كولونيا بيروت ١٩٩٦
- الأسلاف كولونيا بيروت بيروت ٢٠٠١

مجموعات قصصية

- الهبوط إلى الأبدية بحبل دمشق ١٩٨٩

نقد ودراسات

- بعيدا داخل الغابة البيان النقدي للحداثة العربية دمشق ١٩٩٤
- الروح الحية جيل الستينات في العراق دمشق ١٩٩٧

ترجمات

- صاحب الفخامة الديناصور - رواية لخوزيه كورديسو بيريس دمشق ١٩٩٥
- سماء وأرض - شعر لكرستيان مورغنشتيرن - كولونيا بيروت ١٩٩٦
- دماغ لينين - رواية لتيلمان شبينفلر - كولونيا بيروت ١٩٩٨
- حياتي مع بيكاسو - لفرانسواز جيلو بغداد ١٩٦٧
- ترجمات منشورة في الصحف والمجلات العربية لجويس، بريتون، همنغواي، فيرلنغهيتي، بريشت، إليوت، باوند، سيميك، إنتزينسبيرغر وروبرت موزيل
- ترجمات من العربية إلى الإنكليزية والألمانية، منشورة في المجلات والأنطولوجيات والصحف الإنكليزية والألمانية.

مكتبة الفكر الجديد

الفهرس

١ ـ في كل بئر يوسف يبكي ٥

إخاء ٧

وليمة ٩

تقاطعات ١٠

في الأسر ١٢

في ساحة الشرف ١٣

بحكم العادة ١٤

قارة قديمة ١٦

رؤيا في باص ١٨

خيانة ٢٠

كيف تكتب قصيدة سحرية؟ ٢٢

روبنسون كروسو ٢٣

ليلة الجنرال الأخيرة ٢٥

في جزيرة بعيدة ٢٧

في أسوأ الأحوال ٢٩

مكتبة الفكر الجديد

ذات ليلة في الشتاء ٣١
دائماً ٣٢
الوصول متأخرا ٣٤
رجل في الذاكرة ٣٦
في أمسيات النصر ٤٠
اغنية نفسي ٤٣
السائر في الحلم ٤٧
صباح الخير أيها الله! ٥٣
يقظة الإبن الضال ٥٧
آثار فوق الرمل ٥٩
تلك الأيام الجميلة ٦١
إنفجارات ٦٣
ذكريات ٦٥
هارباً أصل نهراً ٦٧
حصان نابليون ٦٩
في مملكة الف ليلة وليلة ٧١
عندما وصلنا إلى بيت كافكا متأخرين ٧٣
عزلة ٧٥
الحفلة السرية ٧٦
إنتظار ٧٨

مكتبة الفكر الجديد

مرح ٩/
داخل اوقيانوس تلفه الغيوم ١٠
حديث عن السعادة ١٢
زهرة سامة ١٤
عودة الإبن الضال إلى البيت ١٥
٢ ـ في نهاية كل الرحلات ١٣
حرب قديمة ١٥
قافلة ١٦
سوء تفاهم ١٧
الله والشيطان ١٨
أسئلة ١٠٠
حيرة ١٠١
جندي يتكيء على شجرة ١٠٣
الغرفة ١٠٤
رحلة المنفيين ١٠٥
موعظة الكومبيوتر ١٠٨
الضفدعة ١١٢
التفاحة ١١٣
بعيداً إلى حيثما كان ١١٤
مرثية الاحياء ١١٦

مكتبة الفكر الجديد

٣ ـ فراشة في طريقها إلى النار ١٢٧
الحفلة الصاخبة ١٢٩
في الطريق إلى مكة ١٣١
على ظهر سفينة اسمها الحياة ١٣٧
فيلم في محطة قطار ١٣٩
الحفلة ١٤١
الموكب الصامت ١٤٣
من نافذة مفتوحة على شارع معتم ١٤٥
الزائر ١٤٧
حياة مع الجرذان ١٤٨
انخاب ١٥٠
ليلة الفامبير ١٥٢
في الدقيقة الأولى بعد العدم ١٥٤
النياندرتال الحزين ١٥٦
المهرجان التنكري ١٥٨
في شوارع العالم ١٥٩
لم يعد هناك ما يحدث في أحلامي ١٦١
المقامر ١٦٣
كتاب الأكاذيب ١٦٥
ذات ظهيرة في المقهى ١٦٧

مكتبة الفكر الجديد

جنود الليل ١٦٨
المرثية الروسية ١٧٠
ثمن ١٧٢
مغامراتي مع أبطال قصائدي ١٧٣
وقائع ١٧٥
في مزرعة العنقاوات ١٧٧
الدليل ١٧٩
الرجل اللامرئي ١٨٠
رجل المرايا ١٨٢
مكتشف سيء الحظ ١٨٤
الجارية المنتظرة ١٨٥
القرية الظالمة ١٨٦
حروب ١٨٨
طريق يقودني إلى البدايات كلها ١٨٩
وليمة الحكماء ١٩١
هناك من ينتظرك تحت المصباح ١٩٣
سمكتنا أكلتها الأقراش ١٩٤
وأخيراً أصل إلى مدينة نائية ١٩٦
دع الكرة الأرضية وراءك! ١٩٧
الجثة في السرداب ١٩٩

مكتبة الفكر الجديد

الشيطان المنتظر ٢٠١
إذا ما دخلت مغارة ٢٠٢
صباحاً، في الشارع ٢٠٤
عندما مات دونكيخوته من الملل ٢٠٥
فارة غونتر غراس ٢٠٧
نزهة في حديقة ٢٠٩
قصيدة لو ٢١٠
الارملة في شرفتها ٢١٢
ماذا ننتظر هنا؟ ٢١٣
في كفي احمل جمرة الأجداد ٢١٥
إبراهيم في حديقة النار ٢١٧
إمرؤ القيس في صحرائه، لا تبكِ يا امرأ القيس! ٢١٩
ليلة الذئب ٢٢١
العدو ينتظرك بين الأحراش ٢٢٢
أمام الصنم الكاذب ٢٢٤
نزهة في مدينة جاهلية ٢٢٦
الحلة المسمومة ٢٢٧
الزائر الليلي ٢٢٩
خولة المالكية وعبدها العاشق طرفة، الغزالة النافرة ٢٣١
في شارع الايام ٢٣٣

مكتبة الفكر الجديد

لم يبق أحد غيرك في الحانة ٣٥
حنين ميسون، زوجة الخليفة معاوية إلى الصحراء ٣٧
إسمع يا نوح! ٣٨
نواح المغني القديم ٣٩
أرميش المخالف ٤١
أنشودة اللامطر ٤٢
٤ ـ أعراب تحت سماء غريبة ٤٥
في حروب حياتي الماضية ٤٧
الأسد والحواري ٤٩
أريد أن أغير نفسي ٥٠
في وليمة التاريخ ٥٣
لكل منا شجرته ٥٥
مياه كثيرة جرت في الأنهار ٥٦
حافلة في الليل ٥٨
موعظة النار ٦٠
أحفر قلب الأرض عميقا ٦١
تمثال في ميدان ٦٣
أسمال الحاضر ٦٤
في خرائب الزمان ٦٧
تفاحة نيوتن ٦٩

مكتبة الفكر الجديد

في منفى آخر ٢٧٠
الوثني الأخير ٢٧٢
الحصان الإنكليزي ٢٧٣
البصاص ٢٧٥
في غرفة الإنتظار ٢٧٧
الشرير ٢٧٩
في أوقات فراغي ٢٨٠
العائد من أعلى الجبال ٢٨٢
في حديقة ألمانية ٢٨٤
قبل عبور الحاجز ٢٨٥
خرائط منسية ٢٨٦
فيلم تجري أحداثه في الأبدية ٢٨٩
نسر جلال الدين الرومي الجريح، مالك الأسرار ٢٩١
الأعمى في الضوء ٢٩٢
الشوكة في رجلي ٢٩٣
البحيرة كلها ٢٩٤
حماري البخيل ٢٩٥
في مضيف حافظ الشيرازي، الحمار الطبيب ٢٩٦
نوح بعد الطوفان ٢٩٧
الثمل النائم في الحانة ٢٩٨

مكتبة الفكر الجديد

هنا فوق الأرض ٢٩٩
حينما أموت ٣٠٠
بدلا عن الخنجر والسم ٣٠١
في شوارع مقفرة مع بروفروك ٣٠٣
المفاجأة ٣٠٦
في ساحة لينين في برلين ٣٠٧
في نخب الثورات المغدورة ٣٠٩
في رثاء شبح ٣١٢
فيلم تجري أحداثه في الأبدية ٣٢٧
• ـ من نافذة مفتوحة، في طبق طائر ٣٢٩
كتاب حياتي ٣٣١
الشاعر يكتب وصاياه ٣٣٣
طريق إلى آخر الذاكرة ٣٣٤
الزائرون الغرباء ٣٣٥
الجسد يعول والروح تنادي ٣٣٦
عابر الوادي ٣٣٧
ضيوف الماضي ٣٣٩
في سفح الأزمنة الآتية ٣٤١
مرآة الحجارة ٣٤٤
قوافل سائرة إلى متاهاتها .....

مكتبة الفكر الجديد

خطوة الأعمى ٣٤٦
في مدن الأسلاف ٣٤٨
وراء نجمة الثريا ٣٤٩
المدينة المحاصرة ٣٥٠
داخل ثقب أسود ٣٥٢
ذاكرة الرمل ٣٥٤
بعيداً حتى أبعد الكواكب ٣٥٦
الضوء يقل والمتاهة تنفتح ٣٥٧
في خضم الإنفجار الأول ٣٥٨
الكون كله يرعد بانتظار وصولنا ٣٥٩
إمرأة عارية بين غيوم ٣٦٠
العصفور في الغابة ٣٦١
الموجة تأتي من قلب العدم ٣٦٣
الوصول إلى القرية الأولى ٣٦٤
ألف أرض تتأهب للنهوض ٣٦٦
عندما لم يكن للسماء اسم بعد ٣٦٨
الشاعر واقفا على ساحل المحيط ٣٧١
صانع المعجزات ٣٧٤
أشهد أني عشت حياتي ٣٧٥
عابر الجحيم إلى الجنة ٣٧٧

مكتبة الفكر الجديد

سفن كثيرة تنتظرنا على الساحل ٣٧٩
البرابرة في الطرقات ٣٨١
ايكاروس في جزيرته ٣٨٢
الريح تنتظر الريح ٣٨٤
العائد نحو الأرض ٣٨٦
كتاب ضارب الأمثال ٣٨٨
٦ ـ هنا فوق الكرة الأرضية ٤٠١
كل طريق أسلكه يبدأ مني ٤٠٣
شعراء في وادي العشاق ٤٠٥
مهرجان في الأبدية ٤١٢
بعد كل حفلة ٤١٦
العادلون ٤٢٠
فيلم فاشل ٤٢٢
على صخرة الكون نكتب ميثاقنا ٤٢٦
في ساحل البحر ٤٣١
عرض سحري في الهواء الطلق ٤٣٥
الحاضرون والغائبون ٤٣٧
سائراً في شارع طويل ٤٣٩
تحت ضربة الفأس ٤٤٢
المسافر ٤٤٥

مكتبة الفكر الجديد

الموت من فرط الخلود ٤٤٧
رسالة من آخر الشهود ٤٥٠
جمهورية الرمل ٤٥٤
حورية خارجة من القمقم ٤٥٧
هبوط فاضل إلى العالم ٤٦٠

مكتبة
الفكر
الجديد

هذا الكتاب

«فاضل العزاوي من منبت نادر، جريء، ممتلئ بالفكاهة، تجريبي، ومبتكر بلا نهاية مع مسّ من العبقرية».

جيمس بيرن ـ مجلة «ذي وولف» اللندنية

«فاضل العزاوي هو مندلشتام الحاضر، مع مهارة مایاكوفسكي بأعلى مقياس. هذه القصائد تشهد على مستقبل لا سابق له».

دونالد ريفيل (شاعر أميركي وأستاذ أدب)

«إنها لمعجزة تلك التي قدمها فاضل العزاوي خلال عقود».

خالد مطاوع

«مجموعة مدهشة من شاعر عراقي كبير يفتح أمامنا كل خيبة ورقة أزمنتنا».

أرييل دورفمان (شاعر، روائي ومسرحي أميركي)

«مع فاضل العزاوي ظهر موقف شعري جديد».

خالد المعالي

«قصائد فاضل العزاوي تجعل الغامض السري من خلال وصفها الدقيق مألوفاً. ثمة شفرة تحكم هنا، لا تتجلى سلطتها إلا من خلال الوقائع اليومية».

«كوارترلي ريفيو اوف ليتريتشر» الأميركية

«يتحول حتى النثر إلى شعر عند فاضل العزاوي».

«الغارديان» البريطانية

«لغة مختزلة، مكثفة. لغة بيضاء. نصفها في الكلام ونصفها الآخر في الصمت».

بول شاوول

مكتبة الفكر الجديد